

نكوندا چيل

تاريخ الفرخة غزاة بيت المقدس

نقله الى الإنجليزية مع مقدمة وهوامش

جون فيرميل لوريتا هيل

جامعة هوستون

نقله الى العربية وعلق عليه

دكتور

حسين محمد عطية

كلية الآداب - جامعة طنطا

تقديم

الأستاذ الدكتور

موزيق نسيم يوسف

أستاذ تاريخ العصر العباسي

كلية الآداب - جامعة القاهرة

٥١٥٨/١/١

الطبعة الأولى

١٩٨٩

دار المعرفة الجامعية

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور

جوزيف نسيم يوسف

صاحب بداية الحركة الصليبية في أواخر القرن الحادى عشر الميلادى تطور فن الكتابة التاريخية في الغرب الأوروبى . . إذ لم يقتصر التدوين على نظام الحوليات الذى كان سائدا من قبل ، بل تحول إلى الكتابة تفصيلا فى مواضيع متخصصة . ولقد خلفت تلك الحركة التى شغلت ثلاثة قرون من الزمان ، عشرات المصادر لمؤرخين شاهدوا أحداثها أو كانوا على مقربة من مسرح الأحداث . وكانت الحملة الصليبية الأولى أوفر حظا من غيرها . إذ شارك فيها كثير من الفرسان الذين كانوا شهود عيان لمعظم المعارك التى دارت رحاها فوق رقعة الشرق الأدنى الإسلامى مثل المؤرخ المجهول الذى صاحب بوهيموند النورماندى فى الحملة ، وفوشيه دى شارتر Foucher de Charters ، واتين دى بلوا Etienne de Blois ، والبرت دكس Albert d'Aix ، وريمون داجيل Raimond d'Agiles وثمة عدد غير قليل ممن لم يشتركوا فيها ، ولكنهم حفظوا لنا أخبارها التى كانت ترد إليهم فى الغرب عن طريق الرواة والمخجاج وشهود العيان فى كتب لا تزال باقية إلى اليوم مثل مؤلفات روبرت الراهب Robert le Moine ، وجيبرت دى نوجان Guibert de Nogent ، وتيديبودة Tudebodus ، ويودرى دى بورجى Baudri de Bourgueil ، وراول دى كان Raoul de Caen ، وكفارو الجنوى Caffaro de Caschifelone .

ويحتل مؤلف ريمون داجيل الذى وضعه باللاتينية بعنوان "Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem" ، أى « تاريخ الفرنجة الذين استولوا على بيت المقدس » ، مكانة مميزة بين مؤلفات غيره من مؤرخى الحملة الأولى . لقد عاصر أحداثها ، وكان شاهد عيان لها ، ويعتبر من أوائل من كتبوا عنها . كان من كبار الفرسان المقربين إلى ريمون دى سان جيل كونت تولوز وأحد زعماء الحملة الأولى . كما كان على علم بما يدور فى مجالس الحرب التى عقدها زعماء

تلك الحملة . الأمر الذي يضمن على كتابه أهمية خاصة تجعله لا يقل في قيمته عن تأليف زملائه ممن شاركوا فيها وكتبوا عنها .

ولما كان ريمون داجيل محدود الثقافة والتعليم فقد وضع كتابه بلغة لاتينية ركيكة . والمتصفح للكتاب يلاحظ أن مؤلفه كان يتردد أحيانا في سرد بعض الأحداث حتى لا يقع في أخطاء . كما قال هو عن نفسه - قد تقلل من قيمة الكتاب . وإن كان هذا لا يمنع من أنه في بعض الأحيان كان يتقبل ما يروى له أو ما يسمعه كحقيقة ثابتة . أما الوقائع التي كان شاهد عيان لها أو التي شارك فيها بشخصه . فقد اتسمت عموما بالدقة والوضوح والإسهاب . وإن كانت عاطفته الدينية - بالإضافة إلى كونه من رجال الدين - تجعله يتخذ في كثير من المواقف جانب التحيز لئني جنسه من اللاتين الكاثوليك ضد كل من المسلمين والبيزنطيين الأرثوذكس وإمبراطورهم الكيس الأول كرمين . الذين كانوا في نظر الكنيسة الرومانية ذوى عقيدة متطرفة . كما أن المدقق في الكتاب يدرك أن مؤلفه كان يدافع عن سيده ويتحمل له مختلف الأعذار إذا أخطأ أو تهاون في أمر من الأمور . وبلغ من احترامه له أنه عندما كان يتعرض له يكتفى في معظم الأحيان بقوله « الكونت » دون حاجة إلى ذكر اسمه . فهو في نظره غنى عن التعريف . ورغم كل ذلك . لا لوم عليه . فقد كانت تلك هي سمة العصر في الغرب اللاتيني . إذ اهتم المؤرخون اللاتين بصفة عامة بتسجيد الملوك والأمراء من قادة تلك الحملات . واتصفوا بتحيزهم لئني جلدتهم من أهل الغرب . واتسمت كتاباتهم بسمة دينية واضحة اختلط فيها السحر بالدين والأسطورة بالحقيقة لافصل بين النقيضين سوى خيط رفيع . الأمر الذي يفرض على الدارسين والباحثين توخي الحيلة والحذر عند تناولهم لهذه المؤلفات . ومع ذلك . يجب أن تسجل هنا أن ريمون داجيل حفظ لنا في مؤلفه الكثير من الوقائع والأحداث المتعلقة بالحملة الأولى والتي إنفرد بها ولم ترد في الأصول الأخرى من لاتينية وغربية وبيزنطية وأرمينية وسريانية . الأمر الذي يسبغ على الكتاب أهمية مضاعفة .

ومؤلف ريمون داجيل منشور في الجزء الأول من مجموعة بونغارس Bongars

المعروفة باسم « الأعمال التي أتاها الفرنجة بفضل الله » ص ١٣٢ - ١٨٣ (طبع هانوفر ١٦١٢) . وفي الجزء الثالث من مجموعة « مؤرخي الحروب الصليبية - المؤرخون الغربيون » ص ٢٣١ - ٣٠٩ (طبع باريس ١٨٦٦) . وقد قام بنقل هذا الكتاب من الأصل اللاتيني إلى اللغة الإنجليزية كل من جون هيو هيل John Huge Hill ولوريتا ل. هيل Laurita L. Hill تحت اسم "History of the Franks Conquerers of Jerusalem" أي « تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس » . طبع فيلادلفيا سنة ١٩٦٨ .

وبعد . يسعدني حقيقة أن أقدم للقارئ العربي الكريم الترجمة العربية لهذا المصدر الهام . والتي أعدها أحد شبائنا النابهيين عن الترجمة الإنجليزية للأصل اللاتيني . وهو الدكتور حسين محمد عطية حسن مدرس تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب بجامعة طنطا . والدكتور حسين عطية عشق تخصصه وبلغ فيه . وإن إقدامه بشجاعة على نقل هذا المصدر إلى العربية للمرة الأولى يعتبر إضافة لها وزنها إلى مكتبة تاريخ الحروب الصليبية بصفة خاصة وتاريخ العلاقات بين الشرق والغرب بوجه عام .

لقد مهد المترجم لكتاب ريمون داجيل بمقدمة متعمقة تعتبر بحثا في حد ذاتها . كشف فيها عن أهمية الكتاب من الناحية التاريخية . وسبب اختياره لهذا المؤلف بالذات دون غيره من مؤلفات الحملة الأولى لينقله إلى العربية . كذلك حائفة التوفيق في عرض الظروف التي أحاطت بقيام الحملة في الشرق والغرب . والقوى التي أدت دورها فوق مسرح الأحداث وقتها من صليبية وبيزنطية وإسلامية . وبيّن كيف تصارعت تلك القوى وتشابكت وتداخلت فيما بينها . وكيف تحكمت في سلوكها وتصرفاتها مصالحها الخاصة أولا وقبل أي شيء . آخر . كذلك قدّم دراسة تحليلية نقدية مقارنة بين مؤرخي الحملة من شهود العيان وغيرهم من المعاصرين والمتأخرين نسبيا عن أحداثها من اللاتين والبيزنطيين والمسلمين تتميز بالدقة والعمق . واختتم مقدمته بدراسة طيبة عن ريمون داجيل ومؤلفه أجاب فيها بحدة وفهم وموضوعية ودقة صافية عن كثير من علامات

تصدير الترجمة العربية

منذ أكثر من عشر سنوات مضت ، وخلال قياسي بإعداد بحثي لنيل درجة الماجستير عن « إمارة أنطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدول الإسلامية المجاورة (١٠٩٨ - ١١٧١ م) » ، وتعاملتي مع الأعمال التاريخية التي وضعها مؤرخو الحملة الصليبية الأولى ، ومن بينها تاريخ ريمونداجيل ، شعرت بأن هناك ما يميز الأخير عما سواه من مصادر هذه الحملة ، ولكنني - كمتدري - لم أدرك من طبيعة هذا التمييز إلا القليل . وخلال إقامتي في المملكة المتحدة ، في بعثة إشراف مشترك (بجامعة ويلز) ، لإعداد بحثي لنيل درجة الدكتوراه عن « إمارة أنطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالقوى الإسلامية المجاورة (١١٧١ - ١٢٦٨ م) » ، استكمالاً لموضوع الماجستير ، وتحت إشراف كل من أستاذي الدكتور جوزيف نسيم يوسف أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة الاسكندرية وأستاذي الدكتور بيتر وليام إدبوري Peter W. Edbury أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة ويلز ، تجدد شعوري السابق نحو تاريخ ريمونداجيل . إلا أن الفرصة كانت أمامي كبيرة لأدرك ما يشغلني حول هذا التاريخ ، خاصة عندما حصلت علي الترجمة الانجليزية لهذا العمل ، والتي نشرها الأمريكيان جون هوج هيل والسيدة قرنته لوريتا هيل في عام ١٩٦٨ م . وعكفت على قراءة هذه الترجمة ومقارنتها بالنص اللاتيني المنشور في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (RHC-H. Occ.) . ودفعني إلى نقل هذه الترجمة إلى لغتنا العربية عدة أسباب . أولها أن الترجمة الانجليزية اعتمدت على المخطوط الكامل لتاريخ ريمونداجيل . إلى جانب قيام الناشرين بمقارنة ماورد في هذا المخطوط بكل النسخ المخطوطة المتوفرة لتاريخ ريمونداجيل ، بما في ذلك النسخة المنشورة في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية والنسخة التي نشرها بونيجار في مجموعته . وبذلك توفر للترجمة الانجليزية الإلمام بكل ما سجل من تاريخ ريمونداجيل .

الاستفهام التي ثارت حول موقف المؤرخ عن سيده ريموند دي سان جيل وحيال كل من الصليبيين والبيزنطيين والمسلمين ، وخلص من ذلك إلى رسم صورة دقيقة لشخصية المؤرخ ومنهجه في الكتابة وأسلوب عرضه لأحداث ذلك الزمان .

وأخيراً وليس بآخر ، فإن المتعمّن في هوامش الترجمة العربية سوف يدرك أنها عاجلت العديد من القضايا الهامة التي أثارها ريموند داجيل في كتابه واغفلتها الترجمة الانجليزية أو عرت عليها مروراً سريعاً ، بينما تناولها الدكتور حسين عطية بالدراسة والتحقيق موثقاً إياها بالمصادر والمراجع المتخصصة من عربية وغير عربية .

لكل ما تقدم تعتبر هذه الترجمة التي بين أيدينا بالدراسة التي تسبقها والهامش التي ذيلها بها الدكتور حسين عطية إضافة لها ثقلها إلى المكتبة العربية لتاريخ الحروب الصليبية .

دكتور جوزيف نسيم يوسف

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

محرراً في ١٦ أكتوبر ١٩٨٩

ضمن ما نشره من مصادر تاريخ الحروب الصليبية في مجموعته « أعمال الرب التي تمت بأيدي الفرنجة » Gesta Dei per Francos منذ ما يزيد على قرن من الزمان ، فإن تاريخ رمونداجيل مازال في حاجة إلى دراسة نقدية جديدة ^(١) .

ولاشك أن الدراسة السابقة التي قام بها الناشران عن شخصية رموند الرابع كونت تولوز ، إلى جانب دراستهما الدقيقة لفكر رمونداجيل وثقافته الدينية ، قد مكنتهما من الإلمام بكل جوانب شخصية المؤرخ وتكوينها الفكري .

وبالرغم من ذلك ، فقد مرت الترجمة الإنجليزية على بعض القضايا التاريخية الهامة ، التي أثارها تاريخ رمونداجيل ، مرور الكرام ، دون التعرض لها ، أو الإدلاء فيها برأى قاطع . واقتصرت الترجمة في ذلك - وربما ارتباطا بمهمة ترجمة النص فقط - على نقل النص اللاتيني إلى الإنجليزية . الأمر الذي لا يجعل من مهمة الناشرين نهاية المطاف بالنسبة لتاريخ رمونداجيل ، والذي ترك لي فرصة معالجة هذه القضايا في هوامش منفصلة أحيانا ، أو ترتبط بهوامش الترجمة الإنجليزية في بعض الأحيان .

والى جانب ذلك ، فقد أسعدني أن أقدم لقراء العربية الكرام ، وللباحثين في تاريخ الحروب الصليبية ، في وطننا العربي ، كتاب رمونداجيل - لأول مرة - باللغة العربية .

ولم يكن يتيسر لي ذلك لولا التعاون الصادق ، والترجيح المشعر ، والتشجيع الدائم ، الذي أولاني إياه أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور جوزيف نسيم يوسف ، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة الاسكندرية ، الذي شجعني على إنجاز هذه الترجمة ، وأفادني كثيرا بما أمدني به من توجيهات أضادت قيمة كبيرة إلى هذا العمل .

وكان لما قدمه لي أستاذي الدكتور بيتر وليام إديبوري أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة ويلز من إرشاد وتوجيه أثر كبير في معالجة الكثير من قضايا هذا العمل .

ولا يسعني إلا أن أسجل شكري وامتناني لهذين العالمين الجليلين اللذين كان لتوجيهاتهما دور كبير في خروج هذا العمل إلى حيز الوجود ، وهو ما كان ميلفي من العلم ، وأسأل الله العلي القدير أن ينفع به أمتنا الإسلامية ، والله ولي التوفيق .

الاسكندرية

سبتمبر ١٩٨٩ م

حسين عطية

مقدمة الترجمة العربية

الحملة الصليبية الأولى :

تمثل الحركة الصليبية ظاهرة من أهم مظاهر العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى . فهي أول وأقصى رد فعل للغرب المسيحي ضد العالم الإسلامي منذ ظهور الإسلام . وكان لهذه الحركة وما ترتب عليها من نتائج ، آثار بالغة الأهمية على العالمين المتصارعين ، الشرق والغرب . ولما جذبت الحركة الصليبية أطرافاً متعددة للصراع ، وارتبطت أحداثها ، التي وقعت في بلاد الشام ، بالتغيرات الدولية آنذاك ، وبظهور قوى واختفاء قوى أخرى شاركت بشكل مباشر أو غير مباشر في مسار هذه الحركة ، وفي تحديد طبيعة نتائجها ، فإن ماتم حولها من أبحاث تاريخية ، لم يحتو على كل جوانبها . كما لم يكتب فيها القول الفصل بعد . فما زال موضوع الحروب الصليبية يمثل مجالاً خصبا للبحث التاريخي . وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للحركة الصليبية بصفة عامة ، فإن تاريخ الحملة الصليبية الأولى بصفة خاصة ، وما طرأ عليها - كمشروع بابوي بالدرجة الأولى - من تطورات ، لم تكن في مخيلة البابوية ، ولا من قادوا هذه الحملة إلى بلاد الشام أصلاً ، يحتمل بحوثاً واسعة تجمع بين العلم بأصوله ومنابعه ، الشرقية والغربية على قدم المساواة ، سعياً وراء الحقيقة التاريخية المطلقة ^(١) .

فقد كانت الحملة الصليبية الأولى التي قام بها غرب أوروبا ، استجابة لدعوة البابا أوربان الثاني Urban II (١٠٨٨ - ١٠٩٩ م) في مؤتمر كلير مونت الكنسي (١٨ - ٢٨ نوفمبر ١٠٩٥ م) هي البداية الحقيقية للحركة الصليبية . وإذا كانت هذه الحركة في مجملها تعد مشروعاً فاشلاً ^(٢) ، فإن الحملة

(١) جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ (الطبعة الثالثة) ، ص ١ .

(٢) Peter Charanis, Aims of the medieval Crusades and how they were viewed (٢)

By Byzantium, C. H. 21, 1952, p. 131.

الصلبية الأولى ، بما حققته من إنجازات عسكرية في فترة زمنية قياسية ، تعد أكثر الحملات الصليبية نجاحاً ^(١) .

فمن الناحية العملية نجحت هذه الحملة في تحقيق أهم الأهداف التي حددتها لها البابوية ، واستولى الصليبيون على مدينة بيت المقدس من المسلمين ، ولأن الباب أوربان الثاني لم يشر ، في خطبته في كليرمونت ، إلى مصير فتوحات المستقبل ، فقد بدت الثروات التي وعد بها هذا البابا هؤلاء الذين سيتوجهون إلى الشرق ، وكأنها أسلاب أكثر منها أملاك ^(٢) . وتعدت الحملة هدفها المنشود ، فأسس الصليبيون إمارة أنطاكية على مشارف بلاد الشام ، وأقاموا كونتية الرها على ضفاف الفرات ، ووضعوا النواة الأولى لكونتية طرابلس في وسط بلاد الشام ، وفي فلسطين ، أقاموا مملكة بيت المقدس الصليبية .

(١) بينما فشلت الحملة الصليبية الثانية في استرداد الرها ، أو في وقف تقدم نور الدين محمود وأخطر الإسلامى المحدث بالصليبيين في بلاد الشام ، فقد فشلت الحملة الثالثة في استرداد مدينة بيت المقدس من أيدي صلاح الدين . وكانت عكا هي الهدف الأساسي للحملة ، بينما أصبح دور ريشارد يتحصر في تحكيم مشكلة حكم المملكة الصليبية أكثر من تحرير المدينة المقدسة ذاتها . وجاءت الحملة الرابعة لتوفر لمن قاموا بها فرصة التآمر من بيزنطة . ولم تحقق لفرنج الشام أية مكاسب . وكانت مصر هي هدف الحملتين الخامسة والسابعة . وفشلت كلاهما في فتح مصر ، وفشلت كلاهما أيضا في استعادة بيت المقدس . أما الحملة السادسة ، فبالرغم من نجاح فريدريك الثاني في تحقيق ما فشل فيه غيره من قادة الحملات الصليبية - استعادة بيت المقدس - إلا أن حملته قد بشت بذور الحرب الأهلية بين فرنج الشام ، الأمر الذي أضعف الجبهة الصليبية طيلة العقود الثلاثة اللاحقة من عمر الكيان الصليبي في ديار الإسلام . انظر :

John La Monte, From Crusading Kingdom to Commercial Colony, BPIASA,

111, 1944, PP. 288 - 299.

1. Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, Jerusalem, 1972, p. 34. (٢)

وربما يبدو للوهلة الأولى للمتتبع لتاريخ الحملة الصليبية الأولى أن الفرنج قد نجحوا في تحقيق الأهداف التي حددتها البابوية لهذه الحملة . فاستردوا الأراضي المقدسة من المسلمين ، ومدوا يد المساعدة لإخوانهم مسيحيي الشرق البيزنطيين - مما ينبيء عن رأب للصدع الذي أصاب العلاقات بين الكنيستين الشرقية - كنيسة القسطنطينية ، والغربية كنيسة روما - وبذلك يكون الصليبيون قد فازوا بالغفران الذي وعدهم به البابا ، وفازوا لأنفسهم القادة باقتطاعات خاصة بهم في الشرق ، والعامّة بأسلاب المسلمين والمجنيح بالوقاء . بنذرهم الصليبي بزيارة الأماكن المقدسة ^(٣)

إلا أنه بالنظر في دقائق أحداث الحملة الصليبية الأولى ، والعلاقات التي سادت بينهم وبين الإمبراطور البيزنطي ألكسيس كومنين ، ثم بينهم بعضهم البعض ، يتضح أن إنجازات الحملة الأولى لم تكن تحمل في طياتها إلا بذور الضعف والإنقسام . ففي القسطنطينية ، كان الشك والريبة هما السمات الغالبة على العلاقات بين الإمبراطور وقادة الحملة . الذين لم تترك قواتهم سوى الذكريات المؤلمة لدى رعايا الإمبراطور . على طول الطريق من دوزاكو وحتى القسطنطينية ^(٤) ولم تكن طموحات غالبية قادة الحملة تسمح لهم بالالتزام ببشرود إتفاقية القسطنطينية (مايو ٩٧٠ م) ^(٥) . وخارج أسوار أنطاكية ، ظهرت كوامن بوهيمند

(١) Dana Munro, The speech of Pope Urban II at Clermont, 1095, AHR, XI.

1906, pp. 231 - 242.

(٢) Steven Runciman, The First Crusaders Journey across The Balkan Peninsula.

B 8 1948 pp. 207 - 221.

(٣) لم يكن الإمبراطور البيزنطي يستطيع استرداد أملاكه التي استولى عليها السلاجقة من

قبل في آسيا الصغرى إلا بالتعاون على الفرنج كما حدث في نيقية أو لعدم موافقة

مدن آسيا الصغرى لطامع القسريج وعن بنود إتفاقية القسطنطينية انظر جزييف

- ما عدا بوهيمند - وأغاروا على بلاد المسلمين . كل يحاول أن ينال منطقة لنفسه . وكانت الحملة الصليبية على وشك التفكك . وبقي الجيش الصليبي في شمال الشام سائرا للظروف . ويبرز نصف العام الذي قضاه الصليبيون هناك^(١) التحلل من الإلتزام المسيحي . وبدا وكأن أرض الميعاد تقع على ضفاف نهر العاصي . وليست في بيت المقدس^(٢) . وثبت أن الحركة الصليبية في معناها الدقيق - بالنسبة لقادة الحملة الأولى - لم تكن إلا مشروعا يخص الهابية وحدها . وأن الرحلة إلى الشرق لم تكن فقط من أجل المدينة المقدسة Sancta Cuitas وحدها^(٣) .

ولم يدرك الفرنج أن كل إنجازاتهم . لم تكن ترجع إلى شجاعة تميزوا بها عن المسلمين . أو إلى فنون الحرب والقتال التي اتبعوها . وإنما إلى ضعف المقاومة الإسلامية التي واجهتهم . وماساد الصف الإسلامي من إنشقاق^(٤) . وارتككت

التدريسي ، وغلبت عليه خصاله وكراهيته لبيزنطة ، وكل ما ورثه عن أبيه روبرت جوسكاره^(١) . وعين سقطت أنطاكية في أيدي اللاتين . بدأ بوهيمند يتصرف كسيد أوحدها^(٢) . محطما دون أن يدري . بآمال البابا أوربان الثاني في إمكانية احتواء كنيسة القسطنطينية ، أو اكتساب ولاه الامبراطور البيزنطي لهابا روما^(٣) . وعند هذه النقطة - خارج أسوار أنطاكية - سادت الأحقاد المكبوتة بين قادة الحملة . وكانت خطرا يماثل الخطر الإسلامي . وتبع ذلك . الإقلاص الأخلاقي . وانحلال الجيش الصليبي^(٤) . وكشفت العلاقات بين قادة الحملة عن المعنى الحقيقي للحركة الصليبية . فكثيرا ما توارى الدين أمام المصالح الخاصة بالنهلا . وتأكد الحرص على المصالح الخاصة دون الصالح الصليبي العام . الذي ظهرت بوادره بمجرد انتهاء الفرنج من أعباء عبير آسيا الصغرى^(٥) . ودخل القادة عن أنطاكية

(١) George Ostrogorsky, History of the Byzantine State, English trans. by Joan Hussey, Oxford, 1956, pp. 322.

(٢) عقد بوهيمند مع الجزيرة إنفاقيسة ١٤ يوليو ١٠٩٨ م / ١١ شعبان ٤٩٢ هـ . منحههم بقتضاسها إمتيازات كبيرة في أنطاكية . نظير مساعدتهم له في الدفاع عنها ضد منافسيه . انظر :

H. Hagenmeyer, ed., Duie Kreuzzugsbriefe : Epistolae et Chartae ad historiam primi belli Spectantes, Innsbruck, 1901, pp. 155 - 160.

راجع أيضا الترجمة العربية للعهود المتبادلة بين بوهيمند والجنوية . انظر : حسين عطية : إمارات أنطاكية الصليبية وعلاقتها بالدول الإسلامية المجاورة (١٠٩٨ - ١١٧١ م) . رسالة ماجستير لم تشر بعد . الإسكندرية ، ١٩٨١ م . ملحق رقم ٣ . ص ٣٠٢ - ٣٠٥ .

(٣) Bernard Hamilton, The Latin Church in the Crusader States, London, 1980, p. 17.

(٤) J. Bräuer, op. cit., p. 14.

(٥) تخلص كل من تنكريد وبولدين عن الحملة . وانفصلا عن الجيش الصليبي . وراح الأول يبحث لنفسه عن وضع متميز في سهل قيليقية . بينما قام الثاني بنفس المحاولة على سفان الفرات . وللمزيد عن حملة بولدين وتنكريد على الرها وقيليقية . انظر :

Fulcher of Chartres, Gesta Francorum Iherusalem (ed. by Frances Rita Ryan, as A History of the Expedition to Jerusalem), Tennessee, 1969, pp. 88 - 92. Radulf of Caen, Gesta Tancredi, RHC-H. Occ., III, pp. 629-649.

(١) تمكن الصليبيون من التصدي لمحاولة كبريغا - أتابك الموصل - الفاشلة لانتفاذ أنطاكية

وتأكد استيلائهم على أنطاكية في ٢٨ يونيو ١٠٩٨ م / ٢٦ رجب ٤٩٢ هـ . وتحركت قوات كروت ترولو عن معرة النعمان في طريقها إلى بيت المقدس في ١٣ يناير ١٠٩٩ م /

١٧ صفر ٤٩٣ هـ . انظر : ابن الفلاس : ذيل تاريخ دمشق . بيروت (مطبعة الأباء

السويجين) ١٩٨٨ م . ص ١٤٣ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ١٢ ج . القاهرة

(المطبعة الأزهرية) ١٣٠١ هـ . ج ١ . ص ١١٥ . ابن العديم : زينة الحلب من تاريخ

حلب . ج ٣ . تحقيق سامي الدغان . دمشق . ١٩٥١ م . ج ٢ . ص ١٤٣ . راجع أيضا :

Anonymi, Gesta Francorum et Aliorum Hierosolymitanorum, ed. by Rosalind

Hill as The Deeds of The Franks and The Other Pilgrims to Jerusalem,

London, 1962, p. 69.

Prawer, op. cit., p. 14.

(٢) Ordric Vitalis, Historia Ecclesiastica, ed. and trans. by M. Chibnal, 6 Vols,

Oxford, 1969 - 1978, Vol. 5, p. 6.

(٣) C.W.C. Oman, A History of the Art of War in the Middle Ages, 2 Vols,

London, 1924, Vol. 1, p. 233.

القوى الصليبية في بلاد الشام ، وفي أوروبا ، على دوام هذا الحال ، دون اعتبار لأي احتمال بأن تقوم جبهة إسلامية موحدة في يوم ما . فانشغلت أوروبا - بالصراع بين البابوية والامبراطورية - عن ركائزها في بلاد الشام ، بالرغم من تلاحق الاستغاثات التي بعث بها قادة فرنج الشام إلى حكام الغرب الأوربي دون طائل ^(١١) . حتى أطاح صلاح الدين الأيوبي بجهد ما يقرب من مائة عام على الجبهة الصليبية ، وبشط الحياة Modus Vivendi الذي توصل إليه الصليبيون في بلاد الشام ^(١٢) .

وإذا كانت مملكة بيت المقدس قد سقطت على أيدي صلاح الدين ، فقد كان ذلك لأن صلاح الدين قد أدرك ما لم يدركه الصليبيون من قبل . وعرف أنه من الممكن توجيه ضربة ساحقة تودي بالكيان الصليبي بسهولة ، إذا ما توحدت القوى الإسلامية . كما أدرك الرجل أن الجبهة الصليبية متصدعة ، ومن السهل تقويضها ، يمثل سهولة التي استرد بها زنكي مدينة الرها من الفرنج وقضى على الوجود الصليبي في أعالي الفرات في ١١٤٤ م / ٥٣٩ هـ . فقد كانت العوامل التي مكنت فرنج الحملة الأولى من تحقيق إنجازاتهم ، هي التي مكنت زنكي من

(١١) توالى رسائل الاستغاثة التي بعث بها كل من عموري الأول ملك بيت المقدس (١١٦٢ - ١١٧٤ م) وريشدي شاتين أمير أنطاكية (١١٥٣ - ١١٦٠ م) وريشدي الثالث (١١٦٣ - ١٢٠١ م) وإيمري دي ليمورج بطريرك أنطاكية اللاتيني (١١٤٠ - ١١٩٣ م) وبرتولد بلاتكفورت مقدم الداوية (١١٥٦ - ١١٦٨ م) على بلاط الملك الفرنسي لويس السابع (١١٣٧ - ١١٨٠ م) طلبا للمعون ضد خطر نور الدين محمود المحدث بالإمارات الصليبية . انظر

Epistolarum Regis Ludovici VII. RHGF. 16. pp. 27 - 28, 39 - 40, 52 - 53, 55 - 60, 61 - 62.

راجع أيضا الترجمة العربية لرسائل ريشدي شاتين وإيمري دي ليمورج - انظر : حسين عطية : إمارة أنطاكية ، الملتحقين الرابع والخامس ، ص ٣١٢ - ٣١٤ .

(١٢) حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ م ، ص ٢٠٩ .

استرداد الرها ، وهي التي ستمكن صلاح الدين من استرداد بيت المقدس ، وهي عوامل الإنقسام . وعوامل انقسام الفرنج أيام زنكي ترجع في الحقيقة إلى زمن الحملة الأولى .

فما شجر من خلاقات بين بولدين وتكريد في قيليقية ، ثم بين بوهيمند وكونت تولوز في أنطاكية . استمر بين هؤلاء ، حتى بعد أن تغيرت أوضاعهم في بلاد الشام . وتوارثه من خلفوهم في حكم أملاكهم . فلم تكن العلاقات بين بولدين ملك بيت المقدس (١١٠٠ - ١١١٨ م) وبين تكريد أمير الجليل (١٠٩٩ - ١١٠٠ م) والوصى على أنطاكية (١١٠٠ - ١١٠٣ م) ، أفضل من العلاقات بينهما في قيليقية ^(١) . كما كانت الخلاقات بين ريموند بواتيه أمير أنطاكية (١١٣٦ - ١١٤٩ م) وبين جوسلين كونت الرها (١١٣١ - ١١٤٤ م) وخلف بولدين الثاني فيها ، سببا في سقوط كونتية الرها وعودتها إلى الخطيرة الإسلامية إلى الأبد ^(٢) .

(١) بينما وقع الصدام بين بولدين وتكريد حول طرسوس ، وتقاتلا حول أذنة والمصبمة ، فقد تحرز بولدين من وجود تكريد أمير الجليل على مقربة منه في مقر حكمه كملك لبيت المقدس ، ولم يته فرصه قيام الصدام بينهما من جديد سوى وقوع بوهيمند في أسر التركمان في ١١٠٠ م . ورجل تكريد إلى أنطاكية ليحكم كوصى عليها حتى عودة خاله من الأسر . انظر :

Radulf of Caen, op. cit., pp. 629 - 641; Albert d'Aix, Liber Christianae, RHC - Occ. IV, pp. 537 - 538.

(٢) تحالف جوسلين مع سوار حاكم حلب ضد ريموند ، كما أدى جوسلين بطريرك أنطاكية رادولف ومفرنت (١١٣٥ - ١١٤٠ م) الذي أعده ريموند عن كرسي بطريركية أنطاكية . وأدى هذا الحلف إلى تقاعس ريموند عن مساعدة جوسلين في الدفاع عن الرها ضد عماد الدين زنكي . انظر :

William of Tyre, History of Deeds done beyond the sea. 2 vols, trans. by Emily Babcock and A.C. Krey. New York, 1943, Vol. 2, pp. 133 ff.

وللمزيد عن العلاقات بين جوسلين الثاني وريموند بواتيه ، وعن عوامل سقوط الرها في أيدي زنكي انظر : محمد الشيب : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها (١٠٩٧ - ١١٤٤ م) . الاسكندرية ، ١٩٧٢ م ، ص ٣٥٦ - ٣٧٠ .

لكل ما سبق . فإن تاريخ الحملة الصليبية الأولى لم يكن هو استيلاء الصليبيين على بيت المقدس من المسلمين . وتأسيس الفرنج للإمارات الصليبية في الرها وأنطاكية وطرابلس فقط . وإنما يضاف إلى ذلك ما ألم بالحملة من تطورات لم تكن محسوبة من قبل . وما قام بين قادة الحملة وبين البيزنطيين من جهة . وبين هؤلاء القادة بعضهم البعض من جهة أخرى من علاقات كان لها أكبر الأثر في تحديد معنى الحركة الصليبية الدقيق . والمصير المحتوم للكيان الصليبي في بلاد الشام . ولم يكن من السهل الوقوف على كل ذلك دون التمعن في المصادر التاريخية التي تضمنت صفحاتها كل دقائق تاريخ هذه الحملة .

الإنجاز الأدبي للحملة الصليبية الأولى :

وقد كان للحملة الصليبية الأولى إنجاز آخر لا يمكن مقارنة أوجه التصور فيه . بالشالب العسكرية والروحية للحملة نفسها . فلحسن الحظ . أن تأثير دعوة البابا أوربان الثاني للمجتمع الأوربي الغربي للاشتراك في الحملة الصليبية الأولى . لم ينحصر على الحكام والعامة من طوائف هذا المجتمع . بل تعدى هؤلاء إلى طائفة أخرى . لا يقل دورها في حقيقته عن دور المقاتلين الصليبيين أنفسهم . إن لم يكن قد فاقه أهمية . بالنسبة لدارسي تاريخ الحروب الصليبية . فقد شارك بعضهم سائر الطوائف التي حيت مليحة دعوة البابا لقتال المسلمين . وساهموا في تحقيق هدف الحملة المنشود . ونجاحها الذي لم تصادفه أية حملة صليبية أخرى . وهؤلاء هم مؤرخو الحملة الصليبية الأولى أنفسهم . الذين سجلوا تاريخها . وأعمال الفرنجة في الشرق الأدنى الإسلامي . منذ قدومهم إليه وحتى تثبيت أقدامهم فيه . وكان عدد هؤلاء المؤرخين الرفير من الزايا التي تميزت بها هذه الحملة أيضا عما تلاها من حملات . فهم شاهدو عيان لأحداثها . ومن أتباع قادتها . ويتسّر ذلك لهم الاطلاع على مختلف القرارات الصليبية . وتعد أعمالهم - إلى جانب الوثائق والخطابات الصليبية - أهم مصادر المعلومات التاريخية أصالة .

وهكذا أمدتنا الحملة الصليبية الأولى بوفرة من المؤرخين اللاتين . الذين سجلوا لنا تاريخ الإمارات الصليبية في الشرق . منذ خروج الصليبيين من بلادهم في عام ١٠٩٦ م / ٤٩٠ هـ . وحتى عام ١١٢٧ م / ٥٢١ هـ . ويتسم مؤرخو هذه الفترة إلى قسمين . الأول منهما ويضم ثلاثة مؤرخين شاهدي عيان . وهم المؤرخ المجهول صاحب كتاب « أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس » Gesta Francorum et Aliorum Hierosolymitanorum . ورومونداجيل صاحب كتاب « تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس » Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem . ثم فولشر أوف شارتر الذي وضع كتاب « أعمال الفرنجة الحاجين إلى بيت المقدس » Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium^(١) . وهؤلاء أمدونا بمعلومات عن الحملة الصليبية الأولى منذ خروجها من أوروبا وحتى سقوط بيت المقدس في أيدي الصليبيين . وقد حظيت علاقات الصليبيين بكل من البيزنطيين والأرمن والمسلمين بنصيب وافر من كتابات هؤلاء . وإذا كان مؤلفا الأول والثاني منها يتوقفان بذكر أحداث (١٢ أغسطس ١٠٩٩ م / ١٤ رمضان ٤٩٢ هـ) وانتصار الفرنج على القوات الفاطمية . فإن كتاب فولشر يغطي الفترة حتى عام ١١٢٧ م / ٥٢١ هـ . وفيما يخص الفترة بين عامي ١١٢٠ م / ٥١٤ هـ و ١١٢٧ م / ٥٢١ هـ . يعتبر تاريخ فولشر هو المصدر اللاتيني الوحيد المعاصر . وبعد أيضا تاريخا لكل الإمارات الصليبية في بلاد الشام . حتى يدلى وليم رئيس أساقفة صور بدوره في تكملة تاريخ الصليبيين في الشام حتى عام ١١٨٤ م / ٥٨٠ هـ .

(١) عن هؤلاء المؤرخين وأعمالهم وسيرتهم الذاتية . انظر :

Claud Cahen, La Syrie du Nord a l'Epoque des Croisades, et la principauté Franque d'Antioche, Paris, 1940, pp. 3 - 10; Jean Richard, Raymond d'Aguilers, Historien de la Première Croisade, JS, 1971, pp. 206 - 212; Harold Fink, Fulcher of Chartres Historian of The Latin Kingdom of Jerusalem, SMG, 5, 1975, pp. 53 - 55.

راجع أيضا : جوزيف تسيم يوسف : العرب والروم ص ٢ - ٧ . حسين عطية : إمارة أنطاكية . ص ١٢ - ١٨ .

أما عن القسم الثاني من المصادر اللاتينية التي عالجتها هذه الفترة ، فمنها ما سجله ألبرت دكس عن تاريخ حملة جودفري دوق اللورين السفلى وأول حكام بيت المقدس اللاتين بعنوان « كتاب الحملة المسيحية لأخذ وعظيمة واسترداد مدينة بيت المقدس » Liber Christianorum Expeditionis Pro Ereptione . Erundatione et Resurrectione Sanctae Hierosolymitanae Ecclesiae وكتاب رادولف أوف كان « أعمال تنكريد في الحملة إلى بيت المقدس » Gesta Tancredi in Expeditione Hierosolymitana . وأخيرا كتاب إيكهارد دونا « بيت المقدس » Hierosolymitana^(١١) . وإذا كان هؤلاء لم يشاهدوا وقائع الحملة الصليبية الأولى ، فقد استقوا معلوماتهم من مصادر أصلية مثل أعمال مؤلف الجستا وفرلشر وريونناجيل ، كما استمعوا إلى روايات من عادوا إلى أوروبا من الصليبيين . وهذا ينطبق على ألبرت دكس ، أما رادولف فقد كان كاهنا خاصا لتنكريد ابن أخت بوهيمند والرصى على إمارة أنطاكية أثناء أسر بوهيمند وبعد رحيله نهائيا إلى غرب أوروبا . ويرى له تنكريد ذكرياته عن الحملة الأولى وأحداثها ، فوضع تاريخا لأعمال سيده تنكريد ، أصبح تاريخا لإمارة أنطاكية . أما إيكهارد ، فقد أتى إلى فلسطين عام ١١٠١ م / ٤٩٥ هـ . وعاد إلى أوروبا ليضع كتابه الذي اعتمد فيه على ذكرياته الشخصية في الشرق ، وروايات الآخرين التي تتفق مع روايات كثيرة ذكرها غيره من المؤرخين اللاتين . ويقطع كتاب ألبرت دكس الفترة حتى عام ١١٢٢ م / ٥١٦ هـ ، بينما ينتهي كتاب رادولف بأحداث عام ١١٠٥ م / ٤٩٩ هـ .

ومن كتبوا عن أحداث الحملة الصليبية دون أن يشاركوا فيها أو يأتوا إلى الشرق أبدا ، المؤرخ الأنجليز نورماندي أوردريك فيتاليس Ordric Vitalis الذي

(١١) عن هؤلاء المؤرخين وأعمالهم ، انظر :

Oliver J. Tischer. Critical work on the Sources of the First Crusade, ARAHA. 1, 1900, pp. 502 - 505. Henri Glaesener, Raoul de Cass Historien et Ecrivain. RHE, 46, 1951, pp. 5 - 21; Cohen, op. cit., p. 11.

وضع كتابا بعنوان تاريخ الكنيسة Historia Ecclesiastica^(١٢) الذي امتدح مادته التاريخية من أكثر من خمسين مصدرا تاريخيا . إلى جانب ما استقاه من الوثائق والروايات الشفهية . وكتاباه على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لتاريخ الحملة الصليبية الأولى ، وعلاقة البيزنطة بالصليبيين . وتعد المعلومات التي أوردها عن الحملة الأولى وما تلاها من أحداث حتى عام ١١٢٣ م / ٥١٧ هـ من أهم المعلومات التاريخية الأصلية . فقد استقاه من روايات من عاد من الفرنج إلى فرنسا . وما وصل إلى أوروبا من تقارير عن أحداث هذه الفترة . وكان فيتاليس محايدا بالنسبة لمشكلة أنطاكية التي قامت بين الكيس كومنجن وبوهيمند ثم تنكريد من بعده . وأكدت روايته عن تلك المشكلة حسن تبة الإمبراطور البيزنطي تجاه الفرنج ، وعدم تخليه عن الحملة كما اتهمه الفرنج بذلك .

(١٢) مع أن فيتاليس عاش في نورمانديا ، إلا أنه ولد في إنجلترا في عام ١٠٧٥ م . لأب نورماندي Odelotius d'Orleans وأم انجليزية Angligna . جاء أبوه إلى إنجلترا فيما بين عامي ١٠٦٦ و ١٠٦٨ . وفي سن الخامسة درس فيتاليس في كنيسة شروسميري Shrewsbury . وفي العاشرة أرسله أبوه إلى نورمانديا حيث صار راعيا في دير القديس إفرول St. Evroul وعاد إلى إنجلترا في زيارة قصيرة في عام ١١١٥ م / ٥٠٩ هـ . وأثر ارتباطه بالإنجلترا على كتاباته التاريخية لارتباطه بالإنجلترا بنورمانديا (وطن النورمان الأصلي) ثقافيا وسياسيا في عصره . وتأثر كثيرا بالمؤرخين الأنجليز . وتكرر كتابته لسرد تاريخ كنيسة إنجلترا ونورمانديا . وضعه بنا . على طلب ريجر أوف إلى الباب Roger of Sap . استقل فير إفرول (١٠٩١ - ١١٢٧ م) وشكون الكتاب من ١٣ فصل ، تغطي الفترة من ١ - ١١٤١ م . ووضعه فيما بين عامي ١١١٤ م و ١١٤١ م . وتأثر فيتاليس بالمؤرخين الأنجليز مثل بيد Book ووليم مالنسيري William of Malmesbury وبعض المؤرخين النورمان مثل وليم أوف برايبه William Fitzess . ومات فيتاليس في عام ١١٤٣ م . وللمزيد عن حياة فيتاليس وأعماله . انظر :

Antonia Crossden. Historical writing in England (C. 550 to C. 1307). 2. Vol. London, 1974. Vol. 1. pp. 151 - 83

راجع أيضا : حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمين (١١٧١ - ١٢٦٨ م /

والى جانب قيتاليس - من المؤرخين الذين لم يشتركوا في الحملة الصليبية الأولى وكتبوا عنها في أوروبا - هناك المؤرخ الأنجلو نورماندى أيضا وليم راهب ديرمالسبرى William of Malmesbury الذى وضع كتاب «أعمال ملوك الإنجليز» Gesta Regum Anglorum ، الذى تناول فيه أحوال ملوك إنجلترا وعلاقاتهم بملوك أوروبا والبابوية . وترجع أهمية الكتاب إلى اعتماد المؤلف على مصادر معلومات مفقودة . وقد أورد معلومات قيمة عن سقوط أنطاكية في أيدي اللاتين ، وكان المؤرخ الوحيد الذى وقف على مدار بين كيروغا وستيفن بلوا من معادلات حين بحث قادة الفرنج بالآخر إلى المسلمين لإنهاء كيروغا عن التمرش للفرنج الذين حاصروهم داخل أنطاكية فور استيلائهم عليها ^(١١) .

والى جانب كل هؤلاء ، فقد ودت معلومات هامة عن الحملة الصليبية الأولى في أعمال كل من كفافرو الجنوى «تحرير مدن الشرق» Leberatis Civitatum Orientis ، وكتاب جيبيرت دي نوجان Guibert de Nogent «أعمال الرب التى قتت بأيدي الفرنجة» Gesta Dei Per Francos ، وكتاب Historia Iherosolimimana «تاريخ بيت المقدس» الذى وضعه روبرت الراهب ، وكتاب بربرى دي بورجى الذى يحمل نفس العنوان ^(١٢) .

وإذا كانت الحملة الصليبية الأولى قد أخرجت لنا العديد من الأعمال التاريخية اللاتينية التى أمدتنا بالمعلومات الوفيرة التى تميزت بالدقة والأصالة ،

(١١) ولد وليم في عام ١٠٩٥ م / ٤٨٩ هـ . لوالدين أحدهما نورماندى والآخر الإنجليزي . وبدأ حياته راهبا في دير مالسبرى . ثم تولى إدارة مكتبة هذا الدير . وبعد كتابه تاريخا لإنجلترا منذ قدوم السكسون إليها (٤٤٩ م) وحتى عام ١١٢٧ م / ٥٢١ هـ . وقام وليم بوضع عدة كتب أخرى أهمها «أعمال أساقفة الإنجليز» Gesta Pontificum Anglorum . ومات في عام ١١٤٤ م / ٥٢٨ هـ .

Antonia Granden, op. cit., vol. 1, pp. 167 ff.

Cahen, La Syrie, p. 11.

فإن الشرق اللاتينى لم يخرج لنا - منذ توقف كتاب فولشر أول شارتر وحتى عام ١١٨٤ م / ٥٨٠ هـ - سوى مؤرخ لاتينى واحد . يرجع اليه الفضل في التعرف على كثير من الحقائق التى رسمت صورة دقيقة لأحوال الفرنج الشرق وعلاقاتهم السياسية بالمسلمين من جهة ، وبعضهم البعض من جهة أخرى . كما شمل كتابه تاريخا كاملا للحملة الصليبية الأولى . وهذا المؤرخ هو وليم الصيرى ^(١٣) الذى وضع كتابه «تاريخ الأعمال التى قتت في بلاد ما وراء البحر منذ وقت خلفاء محمد (على الله عليه وسلم) وحتى عام ١١٨٤ م من الميلاد» Historia rerum in Partibus transmarinis gestarum a tempore successorum Mahumeth usque ad annum Domini MCLXXXIV ليكون أكثر المصادر اللاتينية دقة وصراحة . وإذا كان وليم قد أتم كتابة تاريخه بعد عام ١١٨٠ م / ٥٧٦ هـ . وبدأ في عهد عيسى بن الملك بيت المقدس (١١٦٣ - ١١٧٤ م) . ولم يشهد شيئا من أحداث الأربعين عاما الأولى من الوجود الصليبي في بلاد الشام (ولد وليم في عام ١١٢٠ م / ٥٢٤ هـ) فقد نقل ضمن سيقوه من المؤرخين اللاتين المعاصرين للحملة الأولى وشاهدى العيان لأحداثها . إلى جانب تميزه بعد النشر والحسن التاريخي والذي لم يجعل منه مجرد ناقل للأخبار بل وثاقدا للأحداث أيضا ولكثير من الشخصيات التى لعبت دورا فيها . ولم يكن وليم يجهل أحداث الفترة الميكزة من الحروب الصليبية وحتى عهده هو .

(١٣) عن حياة وليم الصيرى وأعماله التاريخية : انظر :

R. B. C. Huygens, Guillaume de Tyre dominant les chapitres (XIX, 21) de son "Historia" retrouvée, Latamius, 21, 1962, pp. 311 - 329; R.H.C. Davis, William of Tyre, in Relations between East and West ed. Derek Baker, Edinburgh, 1973, pp. 64 - 76; P.W. Edbury and J.G. Rowe, William of Tyre and the Patriarchal election of 1180, EHR, 366, 1978, pp. 1 - 25; D.W.C. Vagstad, William of Tyre and the art of Historiography, MSt, 35, 1973, pp. 433-458.

والتي جانب المصادر اللاتينية التي سجلت أحداث الحملة الصليبية الأولى هناك مصدر بيزنطي لا يقل قيمة عن المصادر اللاتينية وهو كتاب الألكسياد Alexiad الذي وضعته الأميرة البيزنطية آن ابنة الامبراطور البيزنطي الكيس الأول كومنين^(١١) ويعتبر كتابها مصدر ثقة في دراسة العلاقات بين البيزنطيين وصليبي الحملة الأولى . وخاصة طوال الفترة التي قضاها الفرنج في أراضي الدولة البيزنطية وفي التسلطية بالذات . إلى جانب تطوير العلاقات بين الامبراطور وبين الفرنج أثناء رحلاتهم في بلاد الشام من أنطاكية وحتى استيلائهم على بيت المقدس .

هذا عن مصادر الحملة الصليبية الأولى من لاتينية وبيزنطية . التي قدمت بالأهمية القصوى بالنسبة لدارس تاريخ الحروب الصليبية (والحملة الأولى بصفة خاصة) نظرا لعدم توفر المصادر الإسلامية المعاصرة لأحداث الحملة الصليبية الأولى . فلم يكن هناك من المؤرخين المسلمين المعاصرين سوى ابن الفلاس صاحب كتاب « ذيل تاريخ دمشق » الذي عالج فيه تاريخ بلاد الشام منذ غزو السلاجقة له وحتى عصر صلاح الدين^(١٢) . ولذا تفوقت الكتابة التاريخية اللاتينية على

(١١) ولدت الأميرة آن في نهاية عام ١٠٨٣ م / ١٠٧٥ هـ . وتزوجت من تقيود من بيزنطوس وهو متزوج بيزنطي وتوفيت في عام ١١٤٨ م / ٥٤٣ هـ . عن ٦٦ سنة . وهي ابنة الكيس من زوجته إيرين بولغار . وقام أخوها هذا الثاني كومنين بحبسها في أحد الأديرة بعد وفاتها والدها . فمكثت آن على كتابة التاريخ . وهي غريبة العرف وعلى رواية بأدب اليونان وكتب اللاهوت والشعر والفلسفة الاغريقية القديمة . ووضعت كتابها باللغة السائدة وقتذاك ليكون مجلا لأعمال والدها . وهو يغطي الفترة من عام ١٠٦٩ م / ٤٦١ هـ إلى عام ١١١٨ م / ٥١٢ هـ . وبدأت في كتابته في عام ١١٣٧ م / ٥٣١ هـ وأتمت في عام ١١٤٨ م / ٥٤٣ هـ . انظر :

Cahen, La Syrie, p. 95; George Ostrogorsky, History of the Byzantine state, English trans. by J. Hussey, Oxford, 1956, p. 311.

(١٢) عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب . الاسكندرية . ١٩٧٦ م . ص ١٦ ، السيد البارودي : تاريخ الحروب الصليبية . القاهرة . ١٩٦٢ م .

مبداها العربية زمن الحملة الصليبية الأولى حتى يتعكس الأمر خلال النصف الثاني من القرن ١٢ م / ٦ هـ بتفوق الكتابة التاريخية العربية بظهور دولة صلاح الدين الأيوبي في مصر . التي شهدت تغييرا هاما في الكتابة التاريخية العربية . وذلك بظهور وفرة من الأعمال التاريخية العربية استحدثت انطلاقها من تأثير توحيد صلاح الدين لمنطقة الشرق الأدنى الاسلامي تحت لوائه من بلاد السودان وسكة جنوبا إلى جبال طوروس شمالا . ومن ديار بكر شرقا إلى مصر غربا . ورفع الأرواح فوق سياسة التحزب والانقسام . فكان لقيادة المذهب السني في البلاد أثر في اختفاء النزعة الشيعية . بنهاية الدولة الفاطمية . في كتابات المؤرخين المسلمين . وكتب الجميع تاريخ البلاد في هذه الفترة . وحتى نهاية الحروب الصليبية . ونقلوا عن بعضهم البعض بلا غشاضة^(١٣) . الأمر الذي حد النقض الذي خلفته لنا الكتابات التاريخية اللاتينية التي تقلصت بتقلص ممتلكات الفرنج على أيدي صلاح الدين . وفي الوقت الذي نجسد فيه من يكتب عن دولة صلاح الدين أو عن جزء من تاريخها أو عن الرجل نفسه . أعمالا تسمر حتى نهاية الدولة الأيوبية . لمجد مؤرخ واحد أو اثنين على الأكثر من المؤرخين اللاتين الذين أكملوا تاريخ ولیم الصوري^(١٤) .

وهكذا لم يكن للحصول على إيجازها العسكري فقط . بل وإيجازها الأدبي . والانجسازين معا لم يتحققا لأي من الحملات الصليبية التي تلها .

وكان كتاب ريمونداجيل - محل دراستنا هذه - من أهم الأعمال التاريخية التي تناولت تاريخ الحملة الصليبية الأولى .

وكان من الممكن أن بطول الحديث عن المؤرخ ريمونداجيل وعن الكتاب الذي وضعه بنقته . إلا أنه من الأوفق عدم تكرار ما جاء في تقديم الكتاب وفي مقدمة الترجمة الإنجليزية . عن الرجل وتاريخه . كما أنه من الأوفق تسجيل التعليق على ما يشوبه القسوس من قضايا تناولها الكتاب . أو ما يتعارض مع الحقيقة التاريخية الخالصة ، في حواشي الكتاب . أما هنا فنشير فقط إلى ما يميزه كتاب ريمونداجيل من قضايا لم يلق عليها الضوء بعد . فريمونداجيل رجل دين صليبي أولاً ، ثم صليبي يروفسالي بعد ذلك . ثم تابع لكونت تولوز . الرجل الذي اشترك في الحملة الصليبية الأولى كرتيس علماني لها - إلى جانب وتيسها الروحي أدهيسار - وحصل على هذا النصب من البابا نفسه ^(١١) . ثم حظى بثقة الامبراطور البيزنطي ألكسي كومنين - بعد أن أشعر الامبراطور بأهمية وضعد بين أقرانه من قادة الحملة - وتصرف على هذا الأساس - أثناء سير الحملة من القسطنطينية وحتى غزو الفرنج لبيت المقدس - كحامي لمصالح الامبراطور . إلا أن الكونت صدم لعدم جدوى كما ما حصل عليه من البابا والامبراطور في آن واحد . فلم تشفع له زعامته للحملة . ولا علاقته الخاصة بالامبراطور أمام طموحات ريموند الشيرماندي ، ولا أمام الرأي العام الصليبي في لحظة إختيار حاكم علماني لمدينة بيت المقدس . ففشل في الحصول على أنطاكية لنفسه أو المحافظة عليها لمصالح الامبراطور ، كما فشل في الحصول على تاج تسكة بيت المقدس الصليبية . وعلى وظيفة أول ملك لها ^(١٢) .

وكان من الطبيعي أن ينعكس أثر ذلك على المؤرخ وتاريخه في آن واحد . فرجل الدين - في داخل ريمونداجيل - المتشبع بأفكار البابوية عن المسلمين ، يحاول جاهداً أن يجعل من كل ما أتى به الفرنج من أعمال ضد المسلمين

وأعمالهم . وحتى أماكنهم المقدسة . عملاً من أعمال الرب ^(١٣) وإن لم تكن مشروعة تتم على أيدي جند المسيح Militia Christi . وحتى يسبح الشرعية على أعمال الفرنج ضد المسلمين . وحتى يجعل رواياته ، عن انتصارات الصليبيين . وعن كل ما اختلقه من أحداث ، تحظى بثقة واحترام قراء كتابه الذين يعيشون في غرب أوروبا . في عصر الإيمان أو عصر تسلط الكنيسة ، فقد أُنجم ضمن أسطر تاريخه إقتباسات من الكتب الدينية (خاصة العذراء والإنجيل) . أما عن الصليبي البيروفسالي الذي يمثله ريمونداجيل . فمن الطبيعي أن تحظى أعمال الجيش البيروفسالي وقائده - سيد المؤرخ - كونت تولوز بالجانب الأكبر من تاريخه . ومن الطبيعي أيضاً - والبيروفسال أصلاً من اللاتين - أن يشارك بقية مؤرخي الحملة من اللاتين كرههم للبيزنطيين . وأن يكيل لهم الاتهامات بخيانة القضية الصليبية المسيحية وبالتخاذل في تحقيق مشيئة الرب Deus Volt ^(١٤) . أما عن التابع البيروفسالي لكونت تولوز - ريمونداجيل - فيظهر استياءه من تصرفات ريموند . ولو أدى الأمر إلى اتخاذ جانب الإمبراطور البيزنطي في

(١١) اصطلحت الحركة الصليبية بالصيغة الدينية في عقول الفرنج بتأثير من كلمات البابا أوربان الثاني التي احتوتها خطبته المشهورة في كليرمونت ١٠٩٥ م ٢ . ومن القرارات والوعود التي وعد بها البابا المشتركين في الحملة ضد العالم الإسلامي . فهناك مخفران للفرنج كل من يحمل الصليب ويشارك في هذه الحملة . كما كان هناك قرار الحرمان ضد من يتعاس عن المساعدة فيها وهو قادر على ذلك . فبينما رأيت الحشود المسعفة إلى كلمة البابا خارج كنيسة كليرمونت أن الحركة الصليبية هي « إرادة الله » « Deus Volt » . فقد رأى روبرت الراهب Robert le Moine - كما رأى ريمونداجيل - أن الحركة الصليبية « من عمل الله وليست من عمل الإنسان » . أنظر :

Robert le Moine. Historia Hierosolymitana. in R.H.C. - H. Occ., vol III. p. 723.

راجع أيضاً : جوزيف تسيم يوسف : الإسلام والمسيحية ومصادم الفري بينهما في العصور

مشكلة أنطانية^(١) كما يحاول الحفاظ على ماء وجه سيده . كونت تولوز حين يجده شخصا غير مرغوب فيه لأن يكون ملكا لبيت المقدس . فيؤكد رفض سيده لشغل هذا المنصب الذي عرضه عليه الفرنج قبل اختيارهم لجورجى دوق اللورين^(٢) . ونحن نرى ريمونداجيل - تابع كونت تولوز - إثمراض بني جلدته عن مساعدة سيده وسيدهم في هذه المشكلة^(٣) . لم يجد المروخ بدا من أن يتصرف كرجل دين وليس كتابع بروفسالي للكونت . ويشير إلى أن شح الكونت وجشعه حين لم يورث الجزيرة التي أخذها من بني عسار في طرابلس على الفقراء من جنوده . كما كان قسله في حصار عرقه . وتشككه في حقيقة الحرية المقدسة بعد أن أظهر اقتناعه برقى بطرس بارتلسيو . وقبل كل ذلك صداقته للإمبراطور البيزنطي . كل ذلك كلته عرش بيت المقدس . وكل ذلك بالطبع كان من دواعي غضب ريمونداجيل رجل الدين الصليبي . والبروفسالي على كونت تولوز^(٤)

وإذا كان ريمونداجيل قد تعرض لتصرفات الحملة الصليبية والعلاقات التي سادت بين طبقة الأمراء والنبل . فقد مر أيضا . وعن قرب . الوسط الذي عاش فيه فقراء الصليبيين الذين كانوا موضع عنايته . وأوضح - كرجل دين - اهتمام هذه الطبقة بالإيفاء بطورها الديني حين تلتكأ قادة الحملة في شمال الشام . متصارعين حول الأسلاب والممتلكات^(٥) وبين كيف جاهد فقراء الفرنج في سبيل تحقيق هدف الحملة المنشود . حتى أنه لم يهتم بما سوف يكون انطباع القارىء عن بني جلدته حين يذكر أنهم أكلوا جذور النباتات وقت الأزمات . الأمر الذي استغله رادولف أوف كان لينتقد سلوك البروفساليين أمام رقى النورمان^(٦) وهذا يوضح

(١) انظر ما يتقدم . ص ١٦٤

(٢) انظر ما يتقدم . ص ٢٥٧

(٣) انظر ما يتقدم . ص ٢٥٨

(٤) انظر ما يتقدم . ص ٢٥٨ - ٢٢٢

(٥) انظر ما يتقدم . ص ١٧١

(٦) انظر ما يتقدم ص ١٦٦ . راجع أيضا Radulf of Caen, p. 675

أن الصدام الذي كثيرا ما تكبر بين قادة الحملة الصليبية . والمناقشة التي اشتملت بينهم . وعدم الثقة الذي شاب علاقاتهم ببعض . قد أمتد إلى مؤرخيهم أيضا . الأمر الذي يوضح طبيعة وأخلاق القوات الصليبية . وطبيعة الحركة الصليبية نفسها .

وفي الحقيقة . لم يقتصر التمعن في تاريخ ريمونداجيل على الوقوف على الجوانب الصليبية في العلاقات بين القوات الصليبية وقادتها من نورمان وفرنسيين وألمان . بل إن تاريخ ريمونداجيل يلتقي بعض الضوء على البدايات الأولى لكثير من نظم المجتمع الصليبي في بلاد الشام . ويشير أن هذه البدايات كانت وليدة الظروف التي مر بها صليبيو الحملة الأولى . ومثال ذلك أننا نرى زعماء الحملة يسهمون في إنشاء صندوق - وصيد - لضمان استرداد الخيول التي يفقدها القربان أثناء القتال أو وقت المجاعات^(١) .

ولاشك أن إشارة ريمونداجيل إلى هذا التقليد هي أول النصوص التي تشير إلى مبدأ الاخوة Confraternitas الذي قامت على أساسه كثير من الجماعات العسكرية مثل جماعات الفرسان الرهبان من الداوية والإسبانية والتيموثيين وغيرها من الجماعات الدينية الأخرى التي تعد من المؤسسات التي نشأت في المجتمع الصليبي في بلاد الشام دون إقتباسها من الغرب الأوربي مثل سائر النظم الأوربية التي أتبعها فرنج الشام^(٢) .

(١) انظر ما يتقدم . ص ٩١

(٢) أخذ الرجوع الصليبي كل أفكاره ونظمه من التجارب الأوربية . ونادرا ما غامر بإشباعها

في الشرق إلا إذا أجبر على ذلك نتيجة ظروف محلية . ومن التجارب التي غاشها الرجوع الصليبي في بلاد الشام . دون الارتكاز على التجارب الأوربية فخرشان . أمثلة الذئب العنان لقدراتهم في حوزها . وهذا إنشاء الجماعات الرهبانية العسكرية . ثم الحزب وبناؤه الاستحكامات . انظر :

مشكلة أنطاكية^(١١) كما يحاول الحفاظ على ماء وجه سيده - كوت تولوز حين يجده شخصا غير مرغوب فيه لأن يكون ملكا لبيت المقدس - فيؤكد رفض سيده لشغل هذا المنصب الذي عرضه عليه الفرنج قبل اختيارهم ليوغري دوق الليرين^(١٢) - وحين يرى ريمونداجيل - تابع كوت تولوز - إغراض بني جلده عن مساعدة سيده وسيدعم في هذه المشكلة^(١٣) ، لم يجد المذبح بدا من أن يتصرف كرجل دين وليس كتابع برونسالي للكونت - ويشير إلى أن شح الكونك وجشعه حين لم يوزع الجزية التي أخذها من بني عسار في طرابلس على الفقراء من جنوده ، كما كان فعله في حصار عرقه ، وتشككه في حقيقة الحرية المقدسة بعد أن أظهر اتضاعه برؤى بطرس بارتلسيو ، وقبل كل ذلك صداقته للإمبراطور البيزنطي ، كل ذلك كلّفه عرش بيت المقدس - وكل ذلك بالطبع كان من دواعي غضب ريمونداجيل رجل الدين الصليبي ، والبرونسالي وعلى كوت تولوز^(١٤)

وإذا كان ريمونداجيل قد تعرض لتصرفات الحملة الصليبية والعلاقات التي سادت بين طبقة الأمراء والنبلاء ، فقد من أيضا ، وعن قرب ، الوسط الذي عاش فيه ققرا الصليبيين الذين كانوا موضع عنايته ، وأوضح - كرجل دين - اهتمام هذه الطبقة بالإيفاء بنذرها الديني حين تلكأ قادة الحملة في شمال الشام ، متصارعين حول الأسلاب والممتلكات^(١٥) وبين كيف جاهد ققرا الفرنج في مسيل تحقيق هدف الحملة المنشود . حتى أنه لم يهتم بما سوف يكون انطباع القارىء من بني جلده حين يذكر أنهم أكلوا جذور النباتات وقت الأزمات ، الأمر الذي استغله رادولف أوف كان لينتد بسلك البرفمنساليين أمام رقى النورمان^(١٦) وهذا يوضح

(١١) انظر ما يتقدم ، ص ١٦٤

(١٢) انظر ما يتقدم ، ص ٢٥٧

(١٣) انظر ما يتقدم ، ص ٢٥٨

(١٤) انظر ما يتقدم ، ص ٢٥٨ - ٢٢٢

(١٥) انظر ما يتقدم ، ص ١٧١

أن الصدام الذي كثيرا ما تكرر بين قادة الحملة الصليبية ، والمناقشة التي اشتملت بينهم ، وعدم الثقة الذي شاب علاقاتهم ببعض ، قد امتد إلى مؤرخيهم أيضا ، الأمر الذي يوضح طبيعة وأخلاق القوات الصليبية ، وطبيعة الحركة الصليبية نفسها .

وفي الحقيقة ، لم يقتصر التسعن في تاريخ ريمونداجيل على التعرف على الجوانب الصليبية في العلاقات بين القوات الصليبية وقادتها من نورمان وفرنسيين وألمان . بل إن تاريخ ريمونداجيل يلتقي بعض الضوء على البدايات الأولى لكثير من نظم المجمع الصليبي في بلاد الشام ، ويثبت أن هذه البدايات كانت وليدة الظروف التي مر بها صليبيو الحملة الأولى . ومثال ذلك أننا نرى زعماء الحملة يسهرون في إنشاء صندوق - وصيد - لضمان استمرار الخيول التي يقدونها الفرسان أثناء القتال أو وقت المجاعات^(١٧) .

ولاشك أن إشارة ريمونداجيل إلى هذا التقليد هي أول النصوص التي تشير إلى مبدأ الاخوة *Confraternitas* الذي قامت على أساسه كثير من الجماعات العسكرية مثل جماعات الفرسان الرهبان من الداوية والإسبتارية والبيروتون وغيرها من الجماعات الدينية الأخرى التي تعد من المؤسسات التي نشأت في المجتمع الصليبي في بلاد الشام دون إقتباسها من الغرب الأوربي مثل سائر النظم الأوربية التي اتبعها فرنج الشام^(١٨) .

(١٧) انظر ما يتقدم ، ص ٩١

(١٨) أخذ الوجود الصليبي كل أشكاله ونظمه من التجارب الأوربية ، ولنا دلائل كثيرة على هذا

في الشرق إلا إذا أُجبر على ذلك نتيجة ظروف محلية . ومن التجارب التي قاضها الوجود الصليبي في بلاد الشام ، دون الارتكاز على التجارب الأوربية فخرشان . أطلق الفرنج العنان للفرقة في حوزتها ، وهذا إنشاء الجماعات الرهبانية العسكرية . ثم الحرب وبناء الاستحكامات . انظر :

مقدمة الترجمة الإنجليزية

استمرت الحروب الصليبية في شد الإثارة ، بالرغم مما كتبه البروفيسور لامونت La Monte منذ عدة سنوات ، بأنه في ضوء المجالات الأخرى للتاريخ الراسخ ، فإن الحروب الصليبية قد قُلت بحثا ^(١) . ومن فترة وجيزة فقط ، وضع هاتر ماير في كتابه المتأثر « مصادر تاريخ الحروب الصليبية » ، وضع قائمة تضم حوالي ٥٢٧٧ عمل في مجال الدراسة حتى عام ١٩٥٨ ^(٢) . وبالعودة إلى الماضي ، ندرك أنه لم تكن لدى البابا أوربان الثاني فكرة عن التصادم الأدبي الناتج عن خطبته التي ألقاها في ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥ م على الجمع المحدث على التلال المتفرجة في كليرمونت ^(٣) . ولكن الدفع بعالم شبه يهري من اللاتين ضد المجتمع الإسلامي شغل بال ذرية أوربان . فاستجاب المؤرخون والشعراء والقصاصون وعلماء النفس ، وحتى رواد السينما الحديثة جميعا للجذب العاطفي لحركة التاريخ غير العادية هذه . وارتبطت قوحة الرومانسية والمثالية السامية بالتمهلات الصليبية في القرن العشرين ، ولا يزال تعبير « حملة صليبية » يستعمل بحرية عند الأيديولوجيات المتصارعة .

ولقد دثت دعوة البابا أوربان الثاني الحملة الصليبية الأولى ، أكثر الحملات الصليبية نجاحا ، وأكثرها تعقضا للجدل . ولقد نوقشت دوافع البابا أوربان على نطاق واسع ، ولا تزال خططه تثير الجدل العلمي ^(٤) . وبالمثل ، ثار الجدل حول مقدمات الحروب الصليبية ، وأيضا حول دوافعها . كما أولى المؤرخون انتباههم لكثير من جوانب الحملة الصليبية الأولى بما في ذلك الشرن العسكرية ، وهزائم الفرنج ، وتتابع الأحداث ، والقادة ^(٥) . وبالإضافة إلى ذلك ، لم يقتصر الاهتمام على بلد بذاته بالرغم من زيادة فرنسا وألمانيا في هذا المجال . وفي الولايات المتحدة ، أدى تحمس البروفيسور مونترو ، ومن أتوا بعده ، إلى استنتاج أن ستيفن رتسيمان قد أسف على التنافس مع حشد الآلات الكاتبة في هذا

وهكذا يلقي تاريخ ريمونداجيل الضوء على جوانب كثيرة من جوانب تاريخ الحروب الصليبية وحياة الصليبيين في بلاد الشام ، ويجعلنا نكتشف في كل لحظة معلومات جديدة في نص ربما يدفع إلى الاعتقاد بأنه لم يعد أحد يقرأه ، أو لم يعد يأتي بجديد من فرط ما اقتبس عنه . وربما يرجع ذلك إلى أن تاريخ ريمونداجيل يحفل بالفقرات التي تتعلق بالرؤى ، والتي تلقى بظلالها على النص كله ، وتدفع إلى الظل بكثير من المعلومات الأكثر قيمة بالنسبة لتاريخ الحروب الصليبية ، وطبيعة وخصال الفرنج أنفسهم . أما عن إنفراد - دون غيره من مؤرخي الحملة - بسرد تفاصيل رؤى بني جلندة ، وتقصي زوارهم السماويين ، فيرجع ذلك إلى أنه أتى على رأس مجموعة من المتحمسين الذين أقادوا من حسن تية ، وخزعبلات الصليبيين ومذاجتهم الدينية . فقد كان ريمونداجيل ، بمساعدة بعض المتواطئين ، هو الذي خطط ونفذ خدمة اكتشاف الحرية المقدسة في أنطاكية . ولما وُجد إليه هذا الإتهام ، فقد كتب تاريخه عن الحملة الصليبية كدفاع عن نفسه ، ولكنه أثناء محاولته تبرأة ساحته ، قد كشف - دون قصد - عن ذنبه . وبالرغم من كل ذلك ، فإن كتاب ريمونداجيل قد أبرز الكثير مما يتعلق بفرنج الحملة الأولى ، وعلاسات هذه الحملة ، وكشف عما اكتنفه الغموض في كتابات بقية مؤرخيها المعاصرين ، الأمر الذي يمنح تاريخه أهمية تاريخية كبيرة ^(٦) .

وفي النهاية لم يكن من السهل الوقوف على كل تلك المعلومات - على سبيل المثال لا الحصر - إلا بالاطلاع على تفاصيل تاريخ ريمونداجيل ، الذي لمس جوانب كثيرة من تاريخ الحملة الصليبية الأولى لم تنطرق إليها كتابات أقرانه من مؤرخي الحملة . وكان لشخصية المؤلف وثقافته وفكره والبيئة التي أتى منها أثر كبير في تميز تاريخه عما سجله غيره عن هذه الحملة ، الأمر الذي يؤكد ضرورة الرجوع إليه للإلمام بكل ما هو جديد بالنسبة لها .

وبالرغم من وفرة الكتابة عن تاريخ الحروب الصليبية ، فمازال هذا الكثير ليكتب عنها (٨) . ولقد نعت الحاجة إلى الدراسة المستمرة من سوء الاستخدام للمصادر المتوفرة ، بالإضافة إلى أخطاء المؤرخين المركبة ، حيث زعموا أن يعتمدوا خدمات المتخصصين في المجالات المرتبطة بالتاريخ . بالإضافة إلى ذلك ، فقد حاول مؤرخو القرن العشرين أن يطبقوا نظرياتهم في الدوافع الإنسانية على ماديات الحملة الصليبية الأولى ، إلى جانب أن تقص المادة العلمية يرجع إلى الاحتمالات الإيجابية التي أخذ بها هؤلاء المؤرخون . فمن بداية الحروب الصليبية كان الكتاب أكثر اهتماما بوسائل الرب منهم بوسائل الإنسان . ودائما ما يصطدم المبتدئ بحقيقة أن السجلات الدورية لا تفي بالغرض . وكثيرا ما تتناقض أسطر قليلة عن غزو الفرنج لبيت المقدس مع أسطر عديدة عن الشهب الهابطة من السماء . وإذا كان من الممكن الوثوق ببعض الشيء في الحوليات ، فإن هذه الحوليات تبين أن أهمية الحرب الصليبية قد لاحت للناس بعد سقوط بيت المقدس ، وبعد وصول تقارير الصليبيين العائدين إلى أوروبا .

ولحسن الحظ ، قلدينا عدد من روايات باقية لشهود عيان ، وفي ضوء التقارير الحديثة ، فإن جميع هذه الروايات لا تفي بالغرض ، كما أنها مليئة بطبع الكثيصة . ولكن بالمقارنة بالفترة المبكرة من العصور الوسطى ، فإن تقارير شهود العيان هذه أكثر وفرة وأكثر نقلا للأخبار . وربما تتضمن مجالات الدراسة المهمة أصول الحروب الصليبية ومشاريع البابا أوربان . ولقد تناقش المؤرخون الحديثون بسبب التكميم ex silentio^(٩) . وينجح المؤرخ عندما يبلغ السيرة الفعلية للحملة الصليبية الأولى . وهناك عدد من الخطابات المتاحة التي تبدأ بخطابات الباباوات ، والإمبراطور ألكسيس ، وقادة الحملات الصليبية وحتى خطابات شيفن كوث بلوا المتوقدة إلى زوجته أديلا طاعدا^(١٠) . وعلى أحسن الفروض ، فإن هذه الوثائق موجزة ، وتحث على عدد من الكلمات أقل مما يحتويه أي تقرير صياحي لسرية من الجيش . وعلى أية حال ، فإن هذه الرسائل تتمتع بالأصالة ، وتعد من أفضل مصادر المعلومات .

ولحسن الحظ ، قلدينا عدد من روايات باقية لشهود عيان ، وفي ضوء التقارير الحديثة ، فإن جميع هذه الروايات لا تفي بالغرض ، كما أنها مليئة بطبع الكثيصة . ولكن بالمقارنة بالفترة المبكرة من العصور الوسطى ، فإن تقارير شهود العيان هذه أكثر وفرة وأكثر نقلا للأخبار . وربما تتضمن مجالات الدراسة المهمة أصول الحروب الصليبية ومشاريع البابا أوربان . ولقد تناقش المؤرخون الحديثون بسبب التكميم ex silentio^(٩) . وينجح المؤرخ عندما يبلغ السيرة الفعلية للحملة الصليبية الأولى . وهناك عدد من الخطابات المتاحة التي تبدأ بخطابات الباباوات ، والإمبراطور ألكسيس ، وقادة الحملات الصليبية وحتى خطابات شيفن كوث بلوا المتوقدة إلى زوجته أديلا طاعدا^(١٠) . وعلى أحسن الفروض ، فإن هذه الوثائق موجزة ، وتحث على عدد من الكلمات أقل مما يحتويه أي تقرير صياحي لسرية من الجيش . وعلى أية حال ، فإن هذه الرسائل تتمتع بالأصالة ، وتعد من أفضل مصادر المعلومات .

ولحسن الحظ ، قلدينا عدد من روايات باقية لشهود عيان ، وفي ضوء التقارير الحديثة ، فإن جميع هذه الروايات لا تفي بالغرض ، كما أنها مليئة بطبع الكثيصة . ولكن بالمقارنة بالفترة المبكرة من العصور الوسطى ، فإن تقارير شهود العيان هذه أكثر وفرة وأكثر نقلا للأخبار . وربما تتضمن مجالات الدراسة المهمة أصول الحروب الصليبية ومشاريع البابا أوربان . ولقد تناقش المؤرخون الحديثون بسبب التكميم ex silentio^(٩) . وينجح المؤرخ عندما يبلغ السيرة الفعلية للحملة الصليبية الأولى . وهناك عدد من الخطابات المتاحة التي تبدأ بخطابات الباباوات ، والإمبراطور ألكسيس ، وقادة الحملات الصليبية وحتى خطابات شيفن كوث بلوا المتوقدة إلى زوجته أديلا طاعدا^(١٠) . وعلى أحسن الفروض ، فإن هذه الوثائق موجزة ، وتحث على عدد من الكلمات أقل مما يحتويه أي تقرير صياحي لسرية من الجيش . وعلى أية حال ، فإن هذه الرسائل تتمتع بالأصالة ، وتعد من أفضل مصادر المعلومات .

وكتب بطرس توديبود ، وهو قس مدينة كيفراى Civray ، قبل عام ١١١١م « تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس » ، الذي يعتبر لسنوات عديدة تاريخ شاهد عيان عام . ولاشك أنه كان حقيقة مشاركا في الرحلة إلى بيت المقدس ، ولكن المؤرخون الحديثون اعتبروا كتابه انتحالا لعمل آخر ، وهو التاريخ المجهول الذي يحمل عنوان « أعمال الفرنجة Gesta Francorum » ، مع الاقتباس من تاريخ ريمونداجيل^(١١) . ومن المؤكد ، من الناحية الجهرية ، أن المعلومات التي وردت في تاريخه ومثيلتها التي وردت في الجستا معلومات متقاربة جدا . ولدراستنا هذا ، يمكن القول بأن هناك تاريخين لشاهدي عيان مهمين جدا لتابعة الحملة الصليبية الأولى منذ بدايتها حتى ختامها الناجح ، وهذان التاريخان بالتحديد هما كتاب مزيج الجستا ، وكتاب ريمونداجيل .

ويعتبر الجستا هو أكثر هذين التاريخين خضوعا للدراسة ، وأكثرهما قهرا لدى المؤرخين الحديثين . وقد تبع المؤرخ المجهول سيده ريموند إلى أنطاكية

واستمر في الرحلة إلى بيت المقدس بعد أن بقي النورمان في أنطاكية بصحبة
مسيبيين آخرين . ومنه قيام فون سيبل Von Sybel بدراسة لهذا المصدر
التاريخي . فقد تمت أبحاث كثيرة حوله . ولم يصل الباحثون إلى اتفاق حول كثير
من جوانب المشكلة . وبقي المؤلف المجهول مجهولا . وبالرغم من أن ستيفن
رتيمان يجد عام ١١٠٠ م (أو عام ١١٠١ م) تاريخا لإقام الجيشتا ، فإن هذا
المشكلة أيضا لم يبت فيها برأي قاطع ، وتضم قائمة المؤرخين ، الذين أولوا
إهتماما كبيرا لكتاب المؤرخ المجهول ، هاجنبر وبيري وويلر وعلي علي سيبل
المثال لا الحصر ^(١١٤) .

ومن الغريب أن لا يتمتع المصدر المتين ، الذي يحمل عنوان « تاريخ
الفرقة غزاة بيت المقدس » بمثل هذا الاهتمام . وإذا كان ذلك حقيقيا فيما يخص
البحث العلمي عن المؤلف أو مناهجه . فإنه من المثير أيضا فيما يتعلق
بالقصير الذي شاب النصوص الموجودة لهذا التاريخ ، الأمر الذي أسف له
رتيمان ^(١١٥) . ولابد لأي مؤرخ جاد ، يتناول تاريخ الحملة الصليبية الأولى .
وأن يتعامل مع تاريخ ريمونداجيل ، بالغ الأهمية لتاريخ الحروب الصليبية . ومع
أن كتاب ريمونداجيل يطابق الجيشتا ، فإنه في بعض الأحيان ، يمتدنا بمعلومات غير
مشرفة في أعمال تاريخية أخرى . فريمونداجيل يقدم لنا تفصيلات عن الرحلة
البوفاشية إلى القسطنطينية غير واردة في روايات بطرس توديبود . كما كان
ريمونداجيل أكثر توفيقا من مؤلف الجيشتا في تعامله مع شخصية أدهمار
(أسقف لي بويه) العاصفة . وجاءت رواية ريمونداجيل عن الرحلة من
القسطنطينية إلى أنطاكية مزججة جدا . ومع ذلك ، فهي تحتوي على بعض
المعلومات الإضافية . وبالرقم من أن روايته عن حصار أنطاكية مضطربة زمتها
في بعض الأحيان ، إلا أنه يضيف بها ، بشكل فعال ، إلى معلوماتنا
التاريخية . وكان وصفه للأحداث منذ سقوط أنطاكية وحتى التخلي عن عرقة في
غابة الأهمية . ويصفه خاصة روايته عن قصة الحرية المقدسة . ومن الغريب أنها لم
تد في الجيشتا . وتسد المعلومات التي أوردها عن الصراعات المكتبة بعد
سقوط بيت المقدس الفراغ الذي تركته الجيشتا .

وباختصار فلا بد من الرجوع إلى تاريخ ريمونداجيل . فريمونداجيل .
أحمد أشهر مؤرخي الحملة الأولى الثالثة . اضطر إلى الرجوع إلى كتاب
ريمونداجيل ، وكذلك قفل مؤرخون آخرون ^(١١٦) . بينما تعلم المؤرخون أنه لابد
لهم من معاشرة هذا النص . فقد أدركوا أنهم تعافوا مع بارون مونتفورد ^(١١٧)
من العصور الوسطى . أقسم أن يكون معروفا أمينا ، والأكثر احتمالا أنه مزج
الحقيقة والخيال بتسهي السهولة . وعين يفشل المؤرخون في إدراك ذلك ، فغالبا
ما يجدون يسعون فهم ريمونداجيل بسبب القموض الشديد الذي اكتشف حياته .
وماذا نعرف بالفعل عن هذا الراوي ، الذي يغزل الروايات الصليبية المسهية ؟
للأسف ، فتحت مضطرب إلى الاعتقاد على كتابه وعلى النقد الداخلي من أجل
الحصول على معلوماتنا عنه .

وقد خلف لنا ريمونداجيل ، مؤلف « تاريخ الفرقة الذين غزوا بيت
المقدس » ، ذو الأسلوب الخاص . أثرا باعيا . ولقد عرفنا به لأول مرة منذ عشرين
عاما . أثناء قيامنا بعمل سيرة منقحة لريموند كوت سانتجيل ^(١١٨) . وإذا كان لنا
أن نحققه ، فقد كان ريمونداجيل قسا خاصا لريموند الرابع كوت تولوز ، ورائق
الكوت في الحملة الصليبية الأولى . وتم تعيينه قسيسا أثناء الرحلة . ويشير
ريمونداجيل إلى نفسه على أنه كاهن لي بويه . ويشير إلى تاريخه ككتاب وضع
لتسليح أسقف فيسيفه Viviers ^(١١٩) . وكانت لي بويه ، البهجة تكريفاها
الركانية ، مركزا حرموقا للنشاط الذي قبل الحملة الصليبية الأولى . ولقد قابل
أسقف لي بويه (أدهمار) البابا ألبان الثاني هناك في ١٥ أغسطس ١٠٩٥ م .
وأصبح رئيس الصلة بالشرايع البابا للحملة الصليبية ^(١٢٠) . وكان دير Chaise-Dieu
Dioc . أحد أساطير العبادة المنسقة لدى كوت تولوز ، قريبا أيضا من
مشاريع العالم . وحتى يشاهد المسافر اليوم كنيسة القديس ميشيل دي أجيل
St Michel-d'Aiguille ومرفقات كوتات بوليغناك Poignac في الطريق إلى
دير Chaise-Dieu . وما يقربه ذلك على الاعتقاد بأن البيعة كانت مناسبة
لشرب مؤرخ الحرب المقدسة ^(١٢١) .

وعلى أية حال ، فإن معظم التفاصيل الدقيقة لحياة ريمونداجيل مفقودة ، وليس هناك تاريخ محدد لمولده أو لوفاته . وتعطى أغلبية المخطوطات المتاحة أشكالاً مختلفة لإسمه مثل Aguilers, Agilers, Agiles, Aguilers . وهذه الهجاءات المتنوعة ليست إلا من عمل النساخ وليس لها أى مغزى . ومن الممكن أن يكون ريمونداجيل ينتمى إلى مقاطعة اللوار الأعلى Haute - Loire . كما يقترح رنسيان . ومرة أخرى فإن هذا لا يعدو كونه مجرد تخمين ^(١٢٢) . ويفضل أن نفكر فى ريمونداجيل ارتباطا بكنيسة بيدل أوف لى بويه Needle of Le Puy ، ولكن ينقصنا الدليل .

وإذا كانت تفاصيل حياته طفيفة ، فكذلك مايتعلق وضع تاريخه من حقائق . فيروى ريمونداجيل أنه قد اضطلع بدراسه كنشروع مشترك مع بونز بالازون Pons of Balazun ، ذلك الفارس الغيور فى حاشية ريموند ماجيل . كما يرى أيضا أنه عنى بوضع كتابه ليخفف من نقد الحملة الصليبية ، ولين كذا مجد وعبدالة جبل الرب . ويوضح ريمونداجيل أنه يعرف أكثر عما يروى ، إلا أنه يفضل أن يكرس وقته لإبراز نشاطات قوات ريموند الرابع كونت تولوز . ولقد سقط زميله المؤرخ بونز قتيلًا ، نتيجة جرح قاتل فى معركة عرقة ، وترك مهمة إكمال التاريخ لريمونداجيل ^(١٢٣) . ويعتقد رنسيان أن ريمونداجيل قد أتم تاريخه فى عام ٩٩٠ م ، ولكنه جانبه الصواب فى ذلك ، لأنه كما ذكرنا من قبل ، فإن المؤرخ كان مطلعًا على تأثير عدم المبالاة بالعرف ، الذى تلا سقوط بيت المقدس . وربما كان كرى Kery أقرب إلى الصحة حين افترض أن العمل فى هذا الكتاب قد انتهى فى عام ١١٠٢ م ، ولكن فى إمكاننا أن نكون متأكدين أنه تم فقط قبل موت ريموند كونت تولوز ^(١٢٤) . وبين تاريخ ريمونداجيل أنه قد ولف روايته مستخدما ملاحظاته وتجاريه الشخصية ، وتواريخ أخرى توفرت لديه . وتشير كل الدلائل إلى أنه رتب مادته التاريخية بتسلسل الأحداث . ولسوء الحظ ، فإن المخطوط الأسمى مفقود ، ويرجع أقدم مخطوطان إلى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى ^(١٢٥) .

ويوضح كتاب ريمونداجيل ، لحسن الحظ ، عبدة حقائق تتعلق بالرجل نفسه ، تعليمه ، ومبولة ، ومشاعره ، وتحيّزه . وقد كتب رنسيان ، فى نقده لكتابنا عن ريمونداجيل ، أننا نرى أن ريمونداجيل كان غيبًا ، وغير دقيق ، ومتحيزًا ^(١٢٦) . إلا أننا كنا نهدف إلى إعطاء انطباع بأنه كان مؤمنًا بالخزعبلات ، ومتحيزًا ، وغير مهتم بالتفاصيل . ولكننا لم تكن نريد أن نرسل فكرة أنه كان غيبًا . وكان ريمونداجيل أمينًا حين اعترف بنواقصه ، ولكنه مثل معظم كتاب عصره ، كان يفتقر سرعة المؤلفات دون الشعور بوخر الضمير . وكان صريحًا فى طلب الصنح من الرب ، وكونت تولوز ، وأنجيش المسيحى . ولكن كان للكاهن اللطيف إنحرافات التى يمكن اكتشافها بسهولة . وكما فعل الكثيرون من كهنة عصره ، فقد ألقى ريمونداجيل بمشولية الكوارث العسكرية الصليبية على الناعرات . وكذلك فقد كره البيزنطيين ولم يبذل جهدًا ليشق فى مناصرتهم للقضية الصليبية . ولكونه مبالًا إلى المبالغة فى إظهار بسالة الصليبيين ، فقد بالغ فى وصف المعارك بمادة شعائرية . وقدم لنا المعجزات لينعش الأحداث الكثيرة للحياة اليومية . ويشير استخدامه للمادة التاريخية المتعلقة بتاريخ القديسين إلى مهارته أكثر مما يشير إلى مذاجه . وقيل كل شئ ، فهو يكشف عن حساسية معينة للأحداث التى تدور من حوله . وأحيانًا يصمم قارئه بطرح تساؤلات تتعلق بشرعية الحروب الصليبية .

وبصفة عامة ، فإن التاريخ الذى وضعه ريمونداجيل يكشف عن رجل على درجة متوسطة من التعليم ، بارع فى أداء الطقوس الكنسية ، ومتشرب بالأراء المادية للنصر النهائى للمسيحية ، رجل حول أحداث الحملة الصليبية الأولى إلى تاريخ إرشادى ، ذلك التاريخ الذى جاء محيرًا بقدر ما أوضح من أمور . وباختصار ، فإنه بالمعايير الحديثة للسيرة الذاتية ، فنحن نعرف القليل عن ريمونداجيل . ولسوء الحظ ، فإن نقص المعلومات غير المرضي هذا ينطبق على مخطوطات كتابه .

مخطوطات الكتاب :

توجد سبعة مخطوطات كاملة أو شبه كاملة لكتاب ريمونداجيل ، كما توجد عدة روايات غير كاملة أو مُحَرَّقة للكتاب . والمخطوط الذي وقع عليه إختيارنا لتقييم ترجمته هو مخطوط سان فيكتور St. Victor الرابع (Ms Latin 14,378) وهو من مقتنيات المكتبة الألفية بباريس . ويضم هذا المخطوط ، على التوالي ، أعمال كل من فولشر أوف شارتر ، ووالتر المششار^(١٢٧) ، وريمونداجيل . وقد أحيف هذا الأخير ، كما أشير علينا ، لأن الرواية استمرت في تفاصيل أكثر مما جاء في تاريخ فولشر . وتوجد أيضا نسخ من كتاب ريمونداجيل مزودة بتاريخ كل من فولشر ووالتر في المخطوط Ms Latin 5131 الذي تملكه أيضا المكتبة الألفية بباريس ، وفي المخطوط Ms Latin 1102 ، بمكتبة الأرسنال بباريس ، والمخطوط Ms Latin 262 بمكتبة دي لا قيل بكليرمونت ، والمخطوط Ms Latin 261 بمكتبة برن ، والمخطوط Ms Latin 8927 بمكتبة المتحف البريطاني . أما المخطوط Ms Latin 5511 A بالمكتبة الألفية بباريس ، فيحتوي فقط على كتاب ريمونداجيل ويحمل عنوان : تاريخ الترجمة غزاة بيت المقدس .

وفي النسخة المطبوعة لكتاب ريمونداجيل ، أدرج برنجارز Bongars في بداية القرن السابع عشر الميلادي في كتابه : أعمال الرب التي قت بأيدي الترجمة "Gesta Dei per Francos" . تاريخ ريمونداجيل مستخدما مخطوط مفقود الآن ، وهو على ما يبدو تنقيحا للنسخ الذي يقدمه المخطوط رقم 5511 A ومخطوط برن 261 . وقد استخدم برنجارز أيضا هذا المخطوط كأساس لطبعته ، وليس تحت أيدينا الآن القراءات المضبوطة لهذا العمل المفقود . لأن برنجارز خلال محاولته لبناء نص من مصادره ، استخدم تهذيبات ، وقدم قراءات من المخطوط 261 (برن) . ونحن متأكدين من أن مخطوط برنجارز قد فقد الأوراق التي تحتوي على رواية معركة عسقلان ، وأن ناسخ المخطوط قد نقل الرواية من مؤلف آخر .

وفي عام ١٨٦٦ م نُشر نص لتاريخ ريمونداجيل في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (المؤرخون الغربيون) (RHC - H. Occ.) . واستخدم المخطوط 14,378 كأساس مع تنقيحات اقتبست من المخطوط 5131 والمخطوط 5511 A والمخطوط 1102 والمخطوط 262 . ولم تُستخدم مخطوطات برن ولندن في هذه الطبعة . مع أنه قد تم اقتباس قراءات مختلفة من برنجارز ، التي يتبع الكثير منها مخطوط برن 261 . وكذلك ، فإن ترجمات كتاب ريمونداجيل لم تحصل إلا القليل من النقد ، وربما لم تحصل شيئا من النقد بالمرءة . ولم يتم القيام بأي شيء مميز حول منهجه منذ أصدر كليمنس مقالته^(١٢٨) .

وفي دراستنا للمخطوطات والطبعات المنشورة لكتاب ريمونداجيل وأعمال النقد حوله ، توجهنا إلى أن النتائج التي اتبعتها هذه الأعمال النقدية واتباعها التخصصيون ، لا يمكن أن تكشف عن القليل مما هو جديد في مجال الدراسة . وقد عملت الطبعات المنشورة على تحديث ترتيب النص وعلامات الوقف فيه . وخلاف ذلك ، فقد حوت دليل الفئاح ، بتغيير أقسام المخطوط والتنقيح حسب الرغبة ، وأحيانا دون ملاحظة ، وغالبا ما تم تجاهل التورية الأدبية ، والتطبيقات ، وأيضا المقتنيات من الكتب الدينية ومصادر القداس .

وبعدا عن وسيلة نتبع بها أساليب أكثر فائدة لالتقاط المعلومات من هذه المصادر ، نقد رجعنا إلى المخطوطات لزيد من الدراسة . ولما تخيلنا عن القيام بجهد لتثبيت من قراءات الأصول المفقودة ، فقد رجعنا إلى مخطوط سان فيكتور ، وهي نسخة كاملة من كتاب ريمونداجيل ومحررة بعناية . كما تبقت لنا اليوم . واتبعتنا ، في نشر الكتاب ، تشكيل المخطوط (دليل من المعصور الوسطى لارتفاع وانخفاض الصوت أثناء القراءة جهرة) والتسنا الإيضاح آخر في المصادر والنماذج التي ربما كان المؤلف على دراية بها ، والمادة التي توجد في كتب أداء الطقوس الكنسية التي توفرت لديه . والترجمة الخالية لنص المخطوط رقم 14378 الموجود بالمكتبة الألفية بباريس ، وهي لا تعتمد على المصادر المطبوعة ، وتمكني ما تعلمناه من دراسة ومقارنة المخطوط . وأصبح لا مفر من أن نتعلم

- خلال دراستنا للمخطوط، إلى جانب ترجمة تاريخ ريمونداجيل - أسلوبه ومنهجه . وفي هذا الصدد يجب أن نقر أنه كان كتابا بارعا يجب أن يجعل المثالي يقدروا حقيقة .

الأسلوب والمهج

ترك لنا كتاب ريمونداجيل من التاريخ والمعلومات التفصيلية الكثير ما نرغب فيه . وبالمقابلة مع الجستا ، فإن مشهجه يوضح أنه اتجه إلى استخدام معلومات غير معلوماته الخاصة . ومن المحتمل أن يستلخ المذققون في المحافظة على اللغة وقواعدها يعمل ريمونداجيل ، لأن لغته اللاتينية تتأصل بشكل غير ملائم - لاتينية جيوريت أولف نوجنت ووليم الصوري وكتاب آخرين كانوا أكثر منه إحصاءا بالأسلوب . ولا يمكن أن نسلك من التعليق بأن الأسلوب في حد ذاته رعا يخفى الحقيقة ^{١٢٨} . ومع ذلك فلدى مؤرخنا أدبية في وصف الأحداث . وتعكس بعض فقراته حساسية لبيته ، وبذلك تفلحها روح الصليبية ، وكانت لاتينية معبرة ، وغالبا ما تكشف عن عاطفة واحسان انساني أكثر مما يكشف الأسلوب المنسق لكتاب جاهدو من أجل التأثير الأدبي . وعلى أية حال ، فسرعان ما يكشف القارئ أن ريمونداجيل كان - كما يعترف هو بأمانته - رجلا كنيسة بسيط . يعرف ما هو أكثر من كتب الطقوس الكنسية والأمير الدينية المتعلقة بوظيفته . وما يظهر من تنبّهات كلاسيكية في عمله ، فهي عادة ما تكون مقتبسة من كتب الطقوس الكنسية . وهكذا إنلنتنا إلى زخرفة عمله هذه حتى يمكن قراءته كتابه بنهم .

وقد خلقت هذه الزخرفة لهم سحر طاعة بالنسبة لكثير من العلماء . ولكن ثمة دراسة جريئة - التاريخ ريمونداجيل - قدمت لنا جرأ كبيرا من استعاراته من كتب الطقوس . وهي جيدة لتبنيها الروايات الأخرى بطوعة أقل . والتي تبه إليها نيرس جيدة بشكل طفيف ^{١٢٩} . وقد ذكرنا لغة ريمونداجيل بزمير العهد القديم . ونوعه صفاته بصفات من كلفارا الجيش . وبغنى التاريخ بحرية ، من الكتب الدينية

الشكوك في صحتها والحرق ، ومن معجزات رعياء القديسين . ولا زالت القرون الأخيرة وداون روايت السامية من نهب المسيحيين للمسجد الأقصى . وعلى ما يبدو . ومن أن يعرفوا أن التاريخ قد جعلهم يكررون فقرات من الرثى ^{١٣٠} . ويخرج ريمونداجيل تربية مع ما جاء في كتب آباء الطقوس الكنسية ، وأحيانا يستخدم لغة إرشادية أو عقلية أو خطبة عن خطايا الصليبيين . ولا يحرره التاريخ في استخدام جواسيس الطقوس التي تروى خلف القس الذي يؤدى القصاص . هناك . فإنه يستخدم الأسطر القصيرة مثل : *إلهي أيها المسيح* ، *Exurge Christe* ، وعارضة خلف القساوسة مثل : *وحررت* ، *Et Libera nos* ، عندما يقع الصليبي من كبح . وبعد الفرار بمساعدة آتية من الرب يستخدم الترييلة : *أنت جميعا* ، *Vos Omnes* مع جزء من الترامير يتلى قبل وبعد الصلاة الربانية . ومن هذا الأسطة القليلة نرى أن نصير كلعتنا ريمونداجيل أحيانا على مكتبة بظافة بكتب الطقوس ، التي تتضمن نسخة من تاريخ الملايين . وربما مع مصدر عام للحروب الصليبية ، وهو يعانى من البرد والحرب أيضا غير يشرح التحشيشين بسائل الرب العاصية . وأخيرا وهو يفتقر الصعداء عندما ينتهي من وضع تاريخه سعادا ^{١٣١} .

بعكنا . نذكر مصطفيين . ونحن لوأجد هذه التورية من كتب الطقوس الدينية . كما لاحظنا من قبل . أن نظر إلى ريمونداجيل كمتألف . يستعرض لعدة ركائز أدبية . وهو يفهم الشكل القوي للأسلوب وسهله أصغر وسطه البروفيسور روبرت رولاند *Roderich Wilson* لعيال كنسي . كما يظهر ريمونداجيل مقدرة ملحوظة على مزج الحقائق العريقة في تعيل عاطفي بديهي ^{١٣٢} . وقد مكنته مهارته في هذا المجال من أن يحدد كثير من القرويين . فقد أحاط روايته جيدا بأفكار عصره بعناية . فالأحداث التالية تنقل بطلاها إلى الامام . وبشكلنا يظهر أن لطلماك الأدبية تفوق رغبته في تسجيل روايته يوما بيوم أثناء رحلته إلى بيت المقدس . ويصنع التاريخ عبارات من الآداب الكلاسيكية (الروماني) رعا بالأسلوب الكتب الكنسية . وسهله خاصة من معلوماته عن أعمال القديسين أمبرواز

Ambrose . ومع ذلك ، فهو يستخدم تلك العبارات بطريقة تناسب مع القيم
الوصفية ، ويعتد بجمالها .

ويستعين المؤلف بالأناجيل ليؤكد عدالة المناسبة ، ويبدل جهده ليعطى
لروايته وضعاً دينوياً . وشهد على حقيقة المعجزة إثنين أو أكثر من شهودي
البيان كما في كتاب العظات ، والعهد القديم والعهد الجديد . فقد أصيب بطرس
بارثولميو مكتشف الحرية المقدسة بحرق طفيفة عندما مر باختبار النار ، بسبب
شكوكه المبكرة حول الحرية . وتكشف لنا روايته كلها عن الحرية ، إلى جانب كل
تشعباتها . عن إختلاق ماهر للأحداث . وحتى في وصفه لأودية الزوار
الساويين . فإن الراهب الطيب كان حريصاً على أن يقدم لنا تفاصيل تقوم على
قناص أيقونية كانت شائعة آنذاك ^(١٣١) .

وبالإضافة إلى ذلك ، فقد استخدم ريمونداجيل شعاراً أدبياً صار ذا شعبية
بعد عدة سنوات ، عندما استعرض المهتمون بإحياء العلوم القديمة درايتهم
باللاتينية ، بتوجيه السياب إلى عدد رهيب ، وبذلك يقرءون قراهم إلى التشرق
إلى معرفة اسم الشخص السكين ، وفي اللحظة الأخيرة يحرمون جمهورهم من
شعة اكتشاف ذلك بكتابة تعبير " لا سمح الله " . وبالنسبة لريمونداجيل فسأخذ
قراءة حتى باب الماخور ، وعيش الرافضات ، واغتصاب النساء الصارخات ، ولكنه
يتوقف . تاركاً مشاهديه خيالهم . وعلى العكس من ذلك ، فإنه إلى جانب ذلك ،
يستمتع بلغة وصف أعماله بذك الذم - العفيفة .

وأحياناً ، يكشف ريمونداجيل عن موهبة أدبية كما ثبت ذلك ببعض
الأمثلة . فيذكر الخلافات بين البيزنطيين والبروتستانتين باختصار شديد ، ثم
يسارع إلى إخبار قراءه " هل اكتب عن أبشع خيانة حملتها مشورة الامبراطور ؟
أم أسجل الهروب المشين لجيشنا ، وعجزه الذي لا يمكن لأحد أن يتصوره ؟ على
العكس من ذلك ، فليستقر من شاء أن يعرف ذلك من غيرنا " ^(١٣٢) .

ومثل الكثيرين من كتاب العصور الوسطى ، فقد تفوق ريمونداجيل في

الكتابة الوصفية ، كما هو موضح في الفقرات التالية . فبعد انتصار كوت
الفلاندوز بالقرب من أنطاكية ، يروي ريمونداجيل أنه كان بإمكان الشخص أن يرى
والقتلى منطرحين بطول الطريق مثل حزم القمح زمن الحصاد ^(١٣٣) . ويتهج
ريمونداجيل منتبهاً هزئة أهل طرابلس حين كتب " لقد كان مشهداً سيئاً ، واليهاء
المتدثرة في المجرى المائي تدحرج أجساد النبلاء والدهماء إلى طرابلس دون
رؤسهم " ^(١٣٤) . كما يجعل ريمونداجيل أن لا طائل من الخطبة حين يحكى عن
مصراع الفرسان الأتراك حين قفزوا من جرف هار ليهربوا عن يلاعقوتهم من
الفرج . فيعتقد أن ذلك كان مشهداً يصر الرب ، ولكن فقدان الخيال كان أمراً
مزعجاً بالنسبة له ^(١٣٥) . وربما يفوس القارىء تاريخ ريمونداجيل ، وهو مثبته بهذه
المعلومات ، بشكل نقدي ، وهو يتذكر دائماً أن المؤلف يعالج التاريخ معالجة لها
غاية . وهكذا ، فقد أثار كتاب ريمونداجيل مشكلة فهم متجهه وكذلك مشكلة
ترجمة تاريخه لتقليد لقراء القرن العشرين دون الهجوم على مؤلفه الأدبي
الكبير .

الترجمة

لقد اضطلعنا بمهمة القيام بهذه الترجمة منذ عدة سنوات مضت - إلى حد
بعض - نتيجة للمساندة التي تلقيناها من الجمعية الفلسفية الأمريكية في شكل
ثلاث منح ، كما تلقينا العون من الجامعة الزراعية والميكانيكية بتكساس ،
وجامعة هوستن . وأثناء القيام بهذا الجهد ، قمنا بإعجاز عدة ترجمات ومراجعات ،
وفي النهاية ، وبعد بحث دقيق ، قررنا أن نقوم بترجمة بتصرف ، وبذلك أخضعنا
أنفسنا للنقد المتوقع من قبل المدققين في المحافظة على اللغة وقواعدها . وبعد
التعمق المبدئي ، شعرنا أننا تمكنا - بنوع ما - من استعادة روح ريمونداجيل
وجعلنا من تاريخه جزءاً من تاريخ البشرية ، أكثر من أثر جاف تبقى لعلامة اللغة
اللاتينية . وبذلك تأينا عن التعبيرات التي غالباً ما ملأت الترجمات الوسيطة ،
فعدنا ضمير المخاطب " أنت " و " thee " و " thou " (التي تستعمل لعلم
الكلفة) وفحزنا كثيراً من التركيبات اللفظية لإيضاح المعاني . ومثل كل

- (١) John E. La Monte, *Some problems in Crusading Historiography*, in *speculum*, 19, 1940, pp. 57 - 75.
- (٢) Hans E. Mayer, *Bibliographie zur Geschichte der Kreuzzüge*, Hannover, 1960.
- (٣) D.C. Munro, *The Speech of Pope Urban at Clermont, 1095*, in *A.H.R.*, 11, 1906, pp. 231 - 242, F. Duncalf, *The Councils of Piacenza and Clermont*, in *seton*, vol. 1, p. 237 - 247.
- (٤) M.W. Baldwin, *Some Recent Interpretations of Pope Urban's Eastern Policy*, in *C.H.R.*, 25, 1940, pp. 459 - 466; A.C. Krey, *Urban's Crusade: Success or Failure*, in *A.H.R.*, 53, 1948, pp. 235 - 250, James A. Brundage, *Recent Crusade Historiography. Some observations and suggestions*, in *C.H.R.*, 49, 1964, pp. 493 - 507.
- ونقدم فريدريك ديكولف قائمة شاملة للمراجع الأدبية في هذا الموضوع .
أنظر : Frederic Duncalf, *op. cit.*, p. 221, n.
- (٥) P. Alphanbéry and A. Dupront, *La Chrétienté et l'idée de Croisade*, Paris, 1954; C. Erdman, *Die Entstehung des Kreuzzugsgedanken*, stuttgart, 1935; P. Rousset, *Les Origines et caractères de la première croisade*, Neuchâtel, 1954; M. Villey, *La Croisade : Essai sur la formation d'une théorie juridique*, Paris, 1942.
- (٦) R.C. Small, *Crusading Warfare (1097 - 1193)*, Cambridge, 1956; Heinrich Hagenmeyer, *Chronologie de la première croisade*, in *R.O.L.*, 6-8, Paris, 1898 - 1901; J. C. Anderssohn, *The Ancestry and life of Godfrey of Bouillon*, Bloomington, 1947; Charles W. David, *Robert Curhose, Duke of Normandy*, Cambridge, 1920; J.H. Hill and Laurin L. Hill, *Raymond -*

الترجمات . سيكون هناك بلا شك من الأخطاء . ما يبعد التفحص لهذه الترجمة ولكننا نأمل في أن يكون القارئ أكثر اعتصاما بتدقيق القراءة . وهي قصة مستها عواطف مجتمعة جاهلة من اللاتين قاموا بالإرتحال لاسترداد القبر المقدس . ويكشف وهرنداجيل بأسلوبه البسيط عن آمالهم ومخاوفهم ، وابتهاجاتهم . وسجل يأسي الضعفاء منهم ، وبطولة من سقطوا قتلى في ميدان القتال ، كما سجل رجاءهم في الجزاء السماوي ، وتساؤل القلب البشري لماذا تكون الحرب هي مشروع الرب .

* * * * *

Kalla Komnena, Alexiade. ed. L. L. in Collection byzantine de (137)
Association Guillaume Budé, Paris, 1927 - 1945. E.A.S. Dawes, The
Alexiad of the Princess Anna Comnena, London, 1928.

Petrus Tudebodus, Historia de Hierosolymitano itinere, in RHC Occ. 3, (138)
Paris 1896.

H. Hagenmeyer, Anonymi Gesta Francorum et aliorum Hierosolymitano- (141)
rum, Heidelberg, 1890; Louis Bréhier, Histoire anonyme de la première
Croisade, in Les Classiques de l'histoire de France au Moyen Age, 4, Paris,
1924.

وللمزيد من الطبعات الأخرى والأعمال النقدية حول هذا الكتاب انظر :

H. Mayer, Bibliographie.

Runciman, op. cit, p. 329.

"Documents relatifs à l'histoire des croisades" (l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres) (144)
وسوف نشر قريباً ريجوناجيل في : "Documents relatifs à l'histoire des croisades"

A.C. Krey, The First crusade, Princeton, 1921.

قام كرى بترجمة عدد من المصادر ومزجها في رواية عن الحملة الصليبية الأولى .

Collection des memoires M. Guizot تاريخ ريجوناجيل في (145)
relatif à l'histoire de France, No. 21, Paris, 1824

ولم يقسم جوتش بترجمة نقدية ولا هرامش

Wilhelmus Tyrensis archiepiscopus, Historia rerum in parietibus (146)
transmarinis gestarum, in RHC Occ. 1, Paris, 1844; William of Tyre, A
History of Deeds Done Beyond the seas, trans. by E.A. Babcock and A.C.
Krey, 1, New York, 1943; Albertus Aquensis, Historia Hierosolymitana,
in R.H.C. Occ. 4, Paris, 1879.

ولقد تأثر ديلم الصوري بتاريخ ألبرت ديلم.

مؤلفون متخالفون هو بطر قسيسة أنطاكيا رجع منها R.E. Raspe (147)
بالأحجية طيناً بالعبارات (الترجمة العربية)

IV de Saint-Gilles, Toulouse, 1959, and translation, Raymond IV, Count
of Toulouse, Syracuse, 1962; Marshall M. Knapp, Robert II of Flanders
in the First Crusade, in Crusades and other Historical Essays presented to
Dana C. Munro, New York, 1928, pp. 79 - 100; Robert Lawrence
Nicholson, Tancred, A study of his career and work in their relation to the
First crusade and the establishment of the Latin states in Syria and
Palestine, Chicago, 1940; R.D. Yewdale, Bohemond I, Prince of Antioch,
Princeton, 1917.

Steven Runciman, A History of the crusades, 1, Cambridge 1951. (148)

A.S. Atiya, The Crusade: Historiography and Bibliography, Bloomington, (149)
1967.

F. Duncalf, The Pope's plan for the First Crusade, in The Crusades and (150)
other, Historical Essays presented to Dana C. Munro, New York, 1928,
pp. 44 - 56.

H. Hagenmeyer, Die Kreuzzugsbriefe aus den Jahren 1088 - 1100, (151)
Innsbruck, 1901; P. Riant, Inventaire critique des lettres historiques des
croisades, in A.O.L., 1, 1881.

Richard Cameron, Historia Hierosolymitana Gesta Francorum (152)
Iherusalem Peregrinantium, in R.H.C. - H. Occ., vol. 3; Historia Hier
osolymitana. Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium, ed. H.
Hagenmeyer, Heidelberg, 1913. Mary E. Mc Givay, Father of Charters,
Chronicle of the First Crusade, Philadelphia, 1941.

والعمل الأخير عبارة عن ترجمة جزئية لكتاب تولاشر . ويصل هارولد فينك الآن في ترجمة
كاملة له . ويعتقد بعض المؤرخين أن تولاشر قد بدأ تاريخه في عام ١١٠٦م . فإذا كان
الامر كذلك ، فإن ذلك يبين أن عمل ريجوناجيل كان قد أتم . وعلى أي حال ، فليس لدينا
دليل قاطع على ذلك .

Anna Comnena, Alexiade, ed. B. Leib, in Collection byzantine de l'Association Guillaume Budé, Paris, 1937 - 1945. E.A.S. Dawes, The Alexiad of the Princess Anna Comnena, London, 1928.

Petrus Tudebodus, Historia de Hierosolymitano itinere, in RHC Occ., 3, Paris 1866.

H. Hagenmeyer, Anonymi Gesta Francorum et aliorum Hierosolymitano- rum, Heidelberg, 1890; Louis Bréhier, Histoire anonyme de la première Croisade, in Les Classiques de l'histoire de France au Moyen Age, 4, Paris, 1924.

وللمزيد عن الطبقات الأخرى والأعمال النقدية حول هذا الكتاب انظر :

H. Mayer, Bibliographie.

Runniman, op. cit. p. 329.

"Documents relatifs à l'histoire des croisades" (l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres).

A.C. Krey, The First crusade, Princeton, 1921.

قام كري بترجمة عند من المصادر ومزجها في رواية عن الحملة الصليبية الأولى.

راجع أيضا ترجمة M. Guiroux لتاريخ ريمونداجيل في Collection des memoires relatifs à l'histoire de France, No. 21, Paris, 1824.

ولم يقدم جوتيز ترجمة نقدية ولا هوامش.

Wilhelmus Tyrensis archiepiscopus, Historia rerum in partibus transmarinis gestarum, in RHC Occ., 1, Paris, 1844; William of Tyre, A History of Deeds Done Beyond the seas, trans. by E.A. Babcock and A.C. Krey, 1, New York, 1943; Albertus Aquensis, Historia Hierosolymitana, in R.H.C. Occ., 4, Paris, 1879.

ولقد تأثر وليم الصوري بتاريخ البرت وكس.

ولم يوافق جوتيز على قصة ألمانية خيالية وضع عنها R.E. Raape كتابها بالانجليزية طبعا بالمقارنات. (الترجمة العربية).

IV de Saint- Gilles, Toulouse, 1959, and translation, Raymond IV, Count of Toulouse, Syracuse, 1962; Marshall M. Knappen, Robert II of Flanders in the First Crusade, in Crusades and other Historical Essays presented to Dana C. Munro, New York, 1928, pp. 79 - 100; Robert Lawrence Nicholson, Tancred, A study of his career and work in their relation to the First crusade and the establishment of the Latin states in Syria and Palestine, Chicago, 1940; R.B. Yewdale, Bohemond I, Prince of Antioch, Princeton, 1917.

Steven Runciman, A History of the crusades, 1, Cambridge 1951.

A.S. Atiya, The Crusade: Historiography and Bibliography, Bloomington, 1962.

F. Duncalf, The Pope's plan for the First Crusade, in The Crusades and other, Historical Essays presented to Dana C. Munro, New York, 1928, pp. 44 - 56.

H. Hagenmeyer, Die Kreuzzugsbriefe aus den Jahren 1088 - 1100, Innsbruck, 1901; P. Riant, Inventaire critique des lettres historiques des croisades, in A.O.L., 1, 1881.

Fulcherius Carnotensis, Historia Hierosolymitana Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium, in R.H.C. - H. Occ., vol. 3; Historia Hierosolymitana Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium, ed. H. Hagenmeyer, Heidelberg, 1913. Mary E. Mc Ginty, Fulcher of Chartres, Chronicle of the First Crusade, Philadelphia, 1941.

والعمل الأخير عبارة عن ترجمة جزئية لكتاب فولشر. ويعمل هارولد فينك الآن في ترجمة كاملة له. ويعتقد بعض المؤرخين أن فولشر قد بدأ تأليفه في عام 1111م. فإذا كان الأمر كذلك، فإن ذلك يبين أن عمل ريمونداجيل كان قد أتم. وعلى أي حال، فليس لدينا دليل قاطع على ذلك.

John Hugh Hill and Laurita L. Hill, Raymond IV de Saint-Gilles, see n.6. (١٧)

(١٨) هذه المعلومات مستقاة من مقدمة روبرتاجيل . انظر مايتقدم ، ص ٥٤ .

John Hugh Hill and Laurita L. Hill, Contemporary Accounts and the Later Reputation of Adhémar, Bishop of Puy, in *MHJ*, 1955, pp. 30-38; James A. Brundage, Adhémar of Puy and His Crusade, *speculum*, 34, 1959, pp. 201 - 212; H.E. Mayer, Zur Beurteilung Adhemars von Le Puy, in *DA*, 16, 1960; Jean Richard, Raymond D'Aguilers, *Historien De la Première Croisade*, in *JS*, 1960 - 61, pp. 206 - 212.

Pierre - Roger Gausson, L'Abbaye de la Chaise - Dieu (1043 - 1138), (٢٠) Paris, 1960, pp. 1130 - 1132.

ويبرز هذا الكتاب المثار تأثير كنيسة Chaise - Dieu على حياة روبرتاجيل .

Ibid, pp. 70 - 72. (٢١)

Runciman, op. cit., p. 328. (٢٢)

(٢٣) انظر مايتقدم ، ص ٥٤ .

Runciman, op. cit., p. 328; A.C. Krey, *The First Crusade*, p. 9, n. 15. (٢٤)

(٢٥) لم تنسخ القراءات من المخطوط (MS Latin 5131 A) الموجود بالكنيسة الألبية بباريس . والذي يرجع إلى القرن الخامس عشر الميلادي ، لأنه متأخر زمنياً . ولأنه يد معارضة لمزج تاريخ لورنشر وتاريخ روبرتاجيل . كما لم تدرج قراءات المخطوط (MS Latin 6041 A) لأنه متأخر زمنياً وغير كامل . كما أن المخطوط (MS Harley 4340) الموجود بالمتحف البريطاني لأنه يحمل العنوان خطياً ولا يحتوي على كتاب روبرتاجيل .

(٢٦) لستين رنيمان نقد لكتاب « روبرت الرابع دي سان جيل » انظر :

E H R, July, 1961, pp. 515 - 16.

(٢٧) يعتبر والتر المستشار Walter the Chancellor أول المؤرخين اللاتين الذين نشأوا في الشرق . وقد وضع كتابه « الحرب الأنطاكية » Belli Antiochena بشكل جيد من روبرت دي سالرنو أمير أنطاكية (١١١٣ - ١١١٩ م) ومعالج الكتاب الفترة من ١١١٤ م إلى ١١١٩ م .

١١٢٢ م . وأهم مايتقدمه . إلى جانب حروب روبرت ضد السلاجقة ، المعلومات الجغرافية عن بلاد الشام . وبعد النشر آخر من أجيال المجتمع اللاتيني بشأن الشام من مؤرخين ، وآخر من اعتبر سرد تاريخ إمارة أنطاكية الصليبية . وكتابه منشور في الجزء الخامس من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (المؤرخون الغربيون) . انظر : حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمين ، ص ٢٣ - ٢٤ . (الترجمة العربية) .

(٢٨) انظر ما سبق ، حاشية ١٥ : راجع أيضا :

Clemens Klein, Raimund Von Aguilers, in *Quellenstudie zur Geschichte des ersten kreuzzuges*, Berlin, 1892.

Krey, *The First Crusade*, p. 8. (٢٩)

Louis Bréhère, op. cit., p. 131, n. 4. (٣٠)

(٣١) انظر مايتقدم ، ص ٢٢٧ .

(٣٢) متذكر مصادر هذه الأشكال المختلفة في حواشي الترجمة ، انظر مايتقدم ، ص ٩٦ .

حاشية رقم ١١ على سبيل المثال .

Radulf Willard Two Apocrypha in Old English Manuscripts, in *Beiträge zur Englischen Philologie*, 30, 1935, p. 2. (٣٣)

(٣٤) انظر مايتقدم ، ص ٢٠٤ - ٢٠٧ . والمتسبب باختصار النار ذلك الذي من يد بطرمن بارتشور .

(٣٥) انظر مايتقدم ، ص ٧ .

(٣٦) انظر مايتقدم ، ص ٩ .

(٣٧) انظر مايتقدم ، ص ٢١٦ .

(٣٨) انظر مايتقدم ، ص ١٢٠ .

تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس

كتبه ريمونداجيل (راحب نوتردام دي بويه)

يلخص بوترز أوف بلازون Pons of Balazon^(١١) ورغستد . راحب لى بويه^(١٢) ، منك ياسيدى . أسقف ليبييه Viviers^(١٣) . ومن كل مستقيمي العقيدة مبارككم ومشارككم فى عنائنا . ونقوم بوضع هذا الكتاب لتخيركم وكل شعب ماوراء الألب بكل الأعمال المجيدة التى تفعلها الرب ، بكرمه المعتاد على الدوام . من خلالنا . وسوف تعين هذه المهمة التى اضطلعنا بها - أساساً بسبب عدم موثقة الحرب . ومن هنا دأب الأيقين على نشر الأكاذيب دون الحقيقة - قراء المستقيل على تحجب صداقة ومشورة مثل هؤلاء المرتدين ، لأن أعمالهم ستكون كتاباً مقترحاً . وجدير بالتسجيل أن جيش الرب ، بالرغم من أنه تحمل شرط الرب بسبب خطاياهم ، ومع ذلك انتصر على كل الوثنيين بسبب عطف الرب الودود . ولكن يبدو أنه أمر شاق جداً أن نكتب عن كل رحلة ، لأن بعض الصليبيين عبروا ولماشيا Scлавonia^(١٤) . وغير آخرون بلاد المجر^(١٥) ، ولومبارديا ، أو ذهبوا يحرراً . لذلك ، فقد كان محل اهتمامنا هو الكتابة عن كونت سالنجيل^(١٦) ، وأسقف لى بويه^(١٧) ، وجيشهم . دون التلق بشأن الآخرين .

* * * * *

لوماش ريمونداجيل

(١١) بوترز أوف بلازون . المؤلف المشارك لكتاب ريمونداجيل . من المحتمل أنه كان فارساً من دوقية فيليبييه . وهناك عدة أشكال لاسمه ومنها Baladun, Ballon, Balun . ولقد لقي حظه أثناء حصار عرفة . وأكمل ريمونداجيل الكتاب بنفسه .

(٢) ريمونداجيل راحب مدينة Le Puy هو مؤلف " تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس " .
Runciman, op. cit., pp. 328 - 329.
أنظر :

(٣) كان أسقف ليبييه زمن الحملة الصليبية الأولى شخص يدعى لجر Leger . ونفع فيليبييه إلى الجنوب الشرقى من Chaise - Dieu, Le Puy (كرسى الرب) وكانت منضمة إلى الأخيرة التى كانت كتبة ريموند كونت تولوز المفضلة . أنظر :

Dom. Cl. Devic and Dom. J. Vaisette, Histoire générale de Languedoc, in HGL., 3, p. 542.

(٤) سكلاتونيا هو الاسم الذى أطلقه ريمونداجيل على دلماشيا ، موطن السلاف . ومن المحتمل أن وصفه لدلماشيا أرض مهجورة ، حسب الرسمسول إليها . جميلية ، مقتبس من المزامير (Psalm, 62 : 3) وهنا المزمير : يارب . يارب . يارب . يارب . " Deus. Deus. Maus " . يردد فى صلاة الأحد ، عند أداء التسايح الضياحية التى تعبد الرب . وفى صلاة الموتى عند أداء هذه التسايح . وفى مثل هذه المناسبات الأخرى التى يستلزم فيها كتاب الصلوات ترويض مزامير الأحد .

(٥) مروت المجر بفترة سلام قبل الحروب الصليبية بفضل جهود الملك لاديسلاس (١٠٧٧ - ١٠٩٥ م) . وكانت مشكلة الملك كولومان الذى خلف لاديسلاس هى كيفية كبح جماح الجيوش الصليبية .

(٦) غالباً ما استخدم شيوخون اللاتين والفرنجيون المسلمون اسم كونت سان جيل للإشارة إلى كونت تولوز . وكانت سان جيل - زمن الحملة الصليبية الأولى - مدينة مزدهرة . وتقع عند مصب نهر الرون .

- دوج المزدخون السلسون على تسمية كونت تولوز باسم الفسجيل - انظر : ابن الأثير :
الكامل ، ج ١ ، ص ١٤٣ ، (الترجمة العربية) .

(٧) المفرد بأستق لي بويه Le Puy هو أديمار .

- وقد غلبه البابا أوربان الثاني وثبها دينيا للحلة الصليبية الأولى إلى جانب رئيسها
العلماني ويرثه كونت تولوز . انظر :

Runciman, op. cit., vol. 1, pp. 109 - 110.

(الترجمة العربية) .

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل هل تنبئكم بالآخسرين أعمالا . الذين ضل
سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم
يحسنون صنعا »

صدق الله العظيم

(الكهف ١٠٣ - ١٠٤)

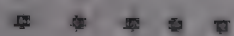
تواجه بحبه الضباب . ونكاد نلبي هذه الأيخرة وندفحها بأجسادنا إلى
الأمم^{١٢١} . وبوسط هذه المخاطر كان الكوث يعنى دائما أناسه بالقتال في مؤخرة
الجيش . وبالبقاء حتى يكون هو آخر من يصل إلى مركزه في المركب . وربما كان
البعث يعود إلى المعسكر وسط النهار أو عند غروب الشمس . إلا وعمود . فدلنا
ما كان يصل إلى حيثه في منتصف الليل أو عند صباح الديكة^{١٢٢} .

وغيرنا دماشيا دين خسائر بسبب الجوع أو الصراع المكشوف . برحمة الرب .
وبأعمال الكوث ومشورة أدهيسار . ويرشدنا هذا العبور الناجح . للبلاد الهسجية .
لنؤمن بأن الرب أراد لجيشه من المخاضين أن يعبر دماشيا كي يبرأ الهسجيين
والوثنيين . في وقت من الأوقات . من همجيتهم . أو يسافوا . مثل الخطئين
غير المغفور لهم . إلى عذاب الرب .

وعند وصولنا إلى سكوتاري Scutari^{١٢٣} بعد رحلتنا الشاقة عبر دماشيا .
أكد الكوث مبدأ الآخرة (١٥) . ومنع ملك السلالة العديد من الهدايا حتى
يشفى للصليبيين أن يشتروا احتياجاتهم في سلام . ويبحثوا عن ضروريات
الحياة^{١٢٤} . إلا أن هذا لم يكن إلا وهما . لأننا ندسنا بمراوة على ثققتنا في السلام
الرهس . حين انتهر السلالة فرصة هذه المناسبة . وقاتلوا بوحشية . وذبخوا
قوسنا . واختطفوا ما أمكنهم إخطافه من العزل . وربما تصدقوا إذا قلت أننا كنا
نضلى من أجل ملاذ وليس من أجل الانتقام^{١٢٥} . ولكن لماذا نصر في سرد
قصة دماشيا الكبيبة هذه .

وعند ضرب الخيام بالقرب من درازو^{١٢٦} . كنا على اقتناع بأننا في
بلادنا . لأننا صدقنا أن ألكسيوس وأتباعه كانوا اخواننا المسيحيين وحلفاءنا .
ولكنهم في الحقيقة انتقضوا بوحشية الأسود . على رجالنا السالمين . الذين كانوا
في غفلة عما يحتاجونه للدفاع عن النفس . وقام قطاع الطرق هؤلاء . وهم
يعملون ليلا . بذبح أهلنا في الحداثق . وفي الأماكن النائية عن المعسكر .
وسرقوا منهم ما استطاعوا سرقته . وبينا كان البيزنطيون يتصرفون على هذا

المثال دون دفع . فقد وعد قائدهم عنا كومتين^{١٢٧} بالسلام . ولكنهم أثناء هذا
المعاهدة . قتلوا بونتيوس رينو Pontius Rained . وجرحوا شقيقه بطرس جو
قاتلا . وهذا أميران في منتهى النيل^{١٢٨} . وتوفرت لنا الفرصة للانتقام . لكن
امتأنتنا مسيرتنا . مفضلين إثبات الظلم الذي وقع بنا . وفي الطريق ومسا
خطايات تتحدث عن الأمن والآخرة . وربما جاز لي أن أقول . بالبنوة . من ذ
الامبراطور^{١٢٩} . لكن هذه كانت كلمات جوفاء . لأنه من أمامنا ومن خلفنا
وعن يميننا وعن يسارتنا . كان الأتراك والكومان والفز . والشعوب المتشبه
البيجناك والبلغار - مترصون بنا^{١٣٠} .



مواصفات الكائنات ١٩٩١

1910

© 2006 The Authors
Journal compilation © 2006 Blackwell Publishing Ltd

Sherratt, G.D., 1997. Light and the Development of Patterned Growth in the Root of the Arabidopsis. *Journal of Theoretical Biology*, 187, 1-10.

هذا يعني فرائد الصور على الاموال التي تدور في حيزها ، بالتالي فإن
الامتلاء من الاموال التي لم يتم تداولها في هذه المدة لم تكن في الحسبان ، بل
الحال المهدد من انما اُخذ في حيزها في السنة ، من اقله ان كانت هناك اقسامات
معدلة لهذه الاموال على غير طريقة في اقل من اربعين سنة ، ولا سيما
تصرفات المصنفين في احياء دار النسيان والحداد .

[4] قام المؤلفون بتطوير نظام جديد في هذا المجال، فتم استخدام شبكة العصبون الاصطناعي في التعرف على الصور.

عقار: راجعاً إلى هذا المصطلح انظر المصطلح السابق. راجع أيضاً: عقار، عقار.

الصفحة ١٨٧

المصدر: وزارة الشؤون المحلية والبيئة، 2007، ص 10.

١١٠) قائد جند يقاتل الجمل، التمسك بالكلاب، ويرى الجمل في حشد من الخيل
 (الملك) ليظهر بها جمل لا يقدر إلا على أن يرى حاشوا في العلم - الخ -

١٠٠ السيد عبد الوهاب بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الحميد بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

قرآن مجید کی تفسیر میں جانور کی طرح کی تفسیر کی ضرورت نہیں ہے۔

John W. Nexbit, The rate of march of Crusading Armies in Europe; in Traditio, vol. 19, 1963, p. 176.

(١٣) كان ريموند آخر من يعود إلى المعسكر وعند الفجر ، إلتبس المزجج على الشجر من الخيل مرتعس ، انظر : Mark, 13 : 35.

(١٤) سكوتاري Scutari في إحدى مدن العصور الوسطى ، وتعرف الآن باسم شكودر Shkoder في ألبانيا ، ولقد وصل الجيش البيزنطي إلى سكوتاري حوالي نهاية يناير ٩٧ م .

(١٥) كثيرا ما استخدم ريمونداجيل تعبير « الأخوة » ، انظر :

William Daly, Christian Fraternity, the Crusaders, and security of Constantinople (1097 - 1204), in M.S., 22, 1960, pp. 43 - 91.

- يعتبر ذكر ريمونداجيل القرار قادة الحملة بإنشاء صندوق (صندوق) لضمان استمرار الخيرة هو أول التوسس التاريخية التي تحكي هذا التقليد الذي بسببه المزوج confraternitas : فقد تطور هذا التقليد بين الفرنج في بلاد الشام - وصرعان ما تكررت جماعات (الأخوة الدينية الصليبية) ، وأصبحت نواة للفكرة جماعات الفرسان مثل القوية والاستوارية والشيرتون ، كما كانت نواة لقيام نظام القرومونات في الإمارات الصليبية المختلفة . راجع مقدمة الترجمة العربية من ٣٣ .
(الترجمة العربية)

(١٦) يعتقد ريسان أن كونت تولوز قد ساد بردين Bodin ، الأمير الصربي في سكوتاري . بالرجوع إلى ريسان ، نجد أن مصدر معلوماته الوحيد في هذا الصدد هو ريمونداجيل . ولم يزد ريسان عما سجله مزوج حلة كونت تولوز شيئا سوى اسم الأمير الصربي . انظر : Runciman, op. cit. p. 163.
(الترجمة العربية)

(١٧) حثو القديس أمبرواز من الانتقام ، انظر :

St. Ambrose, De Officiis, MPL 16, col. 62.

- كان أمبرواز حاكما لبلاتير واختير أسقفا لها في عام ٣٧٤ م بناء على رغبة أهلها إبان المشكلة النيقية الأرمنية في عهد الامبراطور فالنتينيان (٣٦٤ - ٣٧٥ م) . وبعد توليه الأسقفية أخذ أمبرواز في دراسة الكتاب المقدس ومؤلفات آباء الكنيسة وخاصة اليونان . يوضح رسالة عن الإيمان المسيحي De fide وكتاباته عن وظائف الكهنوت =

الذي التمس منه ريمونداجيل كثير من الفقرات - متأثرا فيه بالفكر الروماني الأشهر ليشرون Cicero وكتابه عن الوظائف De officiis . وإن كانت معالجة أمبرواز للفتايل تغلب عليها الروح المسيحية . وتأثر كثير من آباء الكنيسة بكتابه وأولهم القديس أوغسطين . وأيضاً القديس أمبرواز حياته في تربيته الأباطرة الوثنيين إلى صالح الكنيسة والدولة . وله في ذلك عدة وسائل بحث بها إلى مختلف الأباطرة الوثنيين والمسيحيين . أقرو لها الدكتور رأفت عبد الحميد جزءاً من النسخة التي أحضرها عن العلاقة بين الدولة والكنيسة في العصور الوسطى . انظر : رأفت عبد الحميد ، الدولة والكنيسة ، ج ٤ ، القاهرة ، ١٩٨٣ م . صفحات منفردة . (الترجمة العربية) .

(١٨) ديوأنيث Duraethem (Dyrachium) إحدى المدن البيزنطية ، وتقع على الساحل الشرقي للأدياتي جنوب سكوتاري . وقد وصل إليها الصليبيون في أوائل فبراير . انظر :

Runciman, The First Crusader's Journey Across the Balkan Peninsula, in AB, 19, 1949, pp. 207 - 221.

ولقد أخذنا في معظم الحالات بالتواريخ التي حدها هاجنمير . وعلى أية حال ، فإن محاولة وضع تواريخ لتحركات جيوش الحملة الصليبية الأولى هو مشروع عريض للخطأ . انظر : H. Hagenmeyer, H. Chr. Nos. 116, 117.

(١٩) هنا كورمين هو ابن أخت الامبراطور الكبير كورمين . يعتقد الامبراطور إلى ديوأنيث بتعليمات خاصة باستقبال الصليبيين .

- بعد هجرة الكس مع حلة الشعوب بقيادة بطرس الثامنك وواثر المخلص ، اتخذ الامبراطور عدة تدابير لثلاثي مائة يتيم به صليبي حلة الأمراء من شعب في بلاد . فبعت بتداته إلى كل من ديوأنيث وأفلونا Avlona بصحبة مئتين من اللاتين وقوات من المرتزقة . وأصدر أوامره إلى هؤلاء باستقبال الفرنج بترحاب ، وأن يجهزوا الخن لإمداد القوات الصليبية بها ، وأن يرقوا الفرنج بحصانة ، وأن يصطحبوا عليهم ليعودوا إلى بلاد الصراب ، إذا ما خرجوا . عن الطريق المحدث لسيورتهم ، للسلط والتهب . وقد نجح هنا كورمين في تنفيذ المهمة الموكلة إليه بدقة بالغة . انظر :

Runciman, op. cit. p. 210.

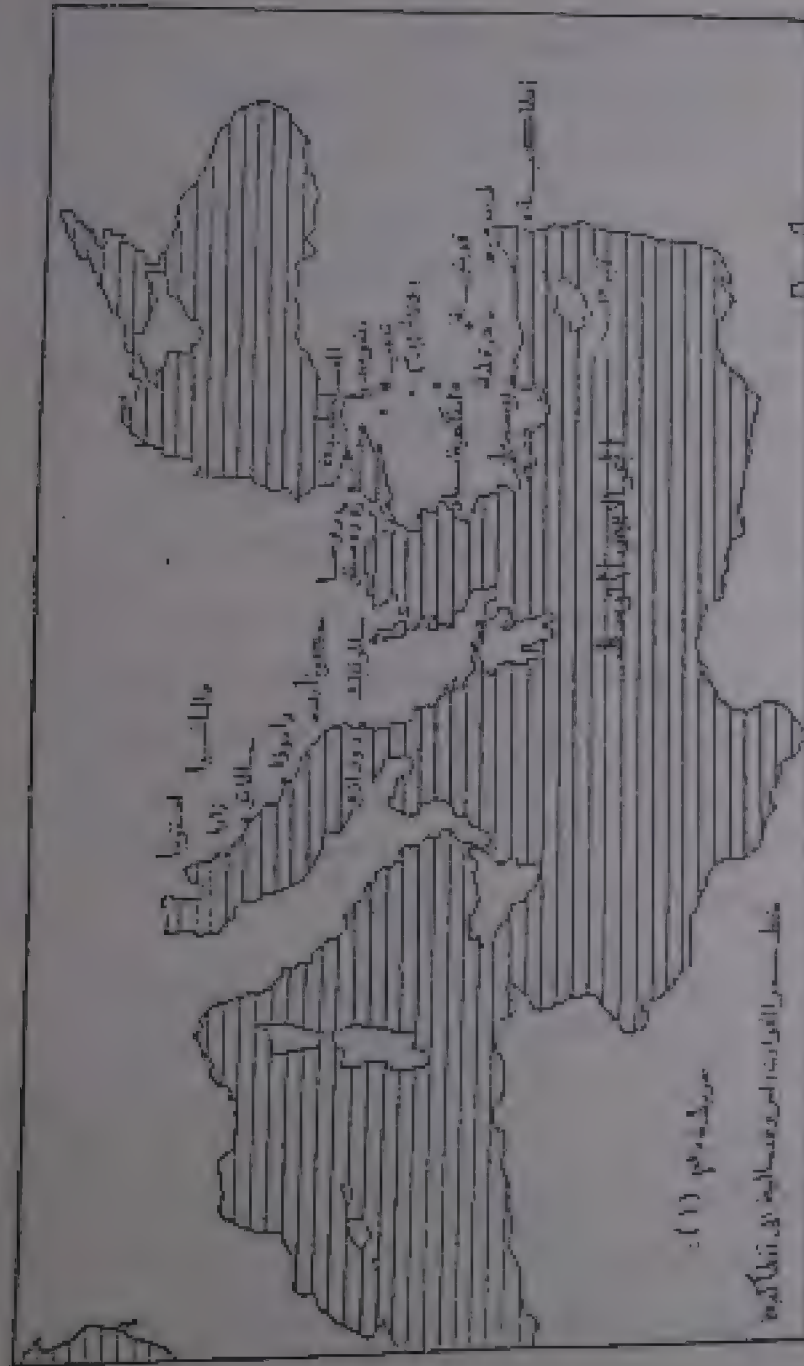
(الترجمة العربية) .

(٢٠) روثيوموس روث وأمبر . بطرس . فارسان من القوات البيزنطية

(٢١) استعمل رينولداجيل تعبير « إذا جاز لي أن أقول » كوسيلة ليخفف من هذا من
الطعنات - انظر :

Coern, for the Marilian law, 8.

(٢٢) ملك الصليبيين طريق إجناتيا - ويظهر رينولداجيل أشياء من الاستقبال البيزنطي
للقرن تحت الحضارة المشددة - ومن جهة أخرى - فقد كان البيزنطيون على دراية بأعمال
النهب التي قام بها اللاتين - ويقصد رينولداجيل بالكومان القبيلة التركية التي يطلق
عليها كيشاك Kipchaks - والشجر Pechenegs شعب تركي يعرّف البيزنطيون
بالجناك - أما الأوزس uzes فهم شعب تركي يدعى أحياناً بالأتراك الفز -
— عند الأباطرة البيزنطيين - ومن بينهم أنكيس كوشين - إلى استخدام الجند
المرتزقة في جيوشهم من عدة أجناس مختلفة - حتى لا يتيسر توحيد كلمة هذه الأجناس
المتباينة الديانات واللغات والتقاليد تحت إمرة رجل واحد ربما يطمح بالامبراطورية كما
حدث في آخريات عهد الامبراطورية الرومانية على أيدي الجرمان في غرب أوروبا - لذلك
لجأ إلى جانب كتائب الجرمان كتائب من الفرنجة والنورمان والمجرية والروس - وعناصر
من الأتراك كالبجناكية والفز والكومان والتركبول وغيرهم - وللمزيد من هذه
التفصلات انظر : جرينفيلد تيسيم يوسف : العرب والروم - ص ٢٠٧ - حاشية (١٦) -
(بالترجمة العربية)



الفصل الثاني

الرحلة عبر الأراضي اليونانية والعلاقات

بين ريموند سانجيل والكسيوس

وما زاد من متاعبنا أننا كنا في أحد الأيام في وادي بيلاجونيا عندما أمر
البيجناك الأسقف لي يويه الذي ابتعد عن المعسكر قليلاً بحثاً عن مكان مريح ليقيم
فيه^(١) . فأنزلوه من على بغلته وجردوه من ملابسه وخصروه على رأسه بشدة .
ولكن أحد البيجناك في سعيه وراء ذهب أذهبهمار أخذ من زملائه من قطاع
الطريق . وهكذا بقي الأسقف العظيم الذي لا عشي عنه لعدالة الرب . للجنس
البشري . وذلك برحمة الرب . وعندما سمعت أجلية في المعسكر . هجم
الصليبيون وأنقذوا الأسقف من البيجناك الذين لم يسرعوا بالإجهاز عليه .

وهكذا وصلنا . وقد أحاط بنا جنود الإمبراطور الخونة . إلى قلعة برسينات
Bucina . حيث سمع ريموند أن البيجناك قد أعدوا لنا كبشاً في مضائق جبل
قريب^(٢) . وعكس الكونت الوضع بأن أعد لهم كبشاً هو الآخر . وياشت . مع
فرياته . أولئك المرتزقة في هجوم مفاجئ . فقتلوا منهم كثيرين ودحروا الباقين .
ووسط هذه الأحداث وصلت رسائل مطعنة من ألكسيوس . ومع ذلك فقد أحاط
بنا العدو . ومن كل جانب كنا نواجه خداع الإمبراطور .

وبعد ذلك بوقت قصير . وصلنا إلى روميا Roussa . وهي مدينة نتج عن
الاحتقار السافر الذي أبداه سكانها لخيانتنا . أن فقدنا صيرتنا الذي عرفنا به .
فحملنا السلاح . وهدمنا الأسوار الخارجية . وغنمنا غنائم كبيرة . واستلمنا المدينة
التي استسلمت لنا^(٣) ثم غادرتنا المدينة بعد أن رفعنا رايتنا على المدينة وهضمتنا
تولوز Tolosa . صيحة التجمع الخامية بالكرويت . ورحلنا بعد ذلك إلى روديوس
Rodesso . حيث هاجمتنا قوات المرتزقة التابعة لألكسيوس وأنش كانت مثييفة
على الانتقام لتهزئة روميا . لكننا ذهبنا بعض أولئك المأجورين وأخذنا بعض
الغنائم^(٤) .

وفي رودوستر ، عاد إلينا عملائنا الذين كنا قد أرسلناهم إلى بلاط
ألكسيوس . وأتوا بتقارير ودية عن وغور بيزنطية كان السبب الرئيسي وراءها
رغبة الامبراطور لهم ، ولهذا فإن الأحداث التالية لا تحتاج إلى تعليق أكثر من
ذلك ، وحث مبعوثون بيزنطيون و صليبيون ريموند على التخلي عن جيشه ،
والإسراع مع عدد قليل من أتباعه ، وهو غير مسلح ، إلى بلاط الإمبراطور ،
وأبلغوه أن بوهيموند ، ووزن اللورين ، وكونت الفلاندرز ، وأمراء آخرين ، كانوا
يترسلون إلى ريموند أن يعتقد مسلحاً بخصوص الحملة الصليبية مع ألكسيوس ،
الذي قد يحمل الصليب ويصبح قائداً لجيش الرب^{١٤١} . وأضافوا أن ألكسيوس كان
على استعداد لتسوية كل الأمور التي تثقل الرحلة مع الكونت ، فيما يتعلق به
وبالآخرين . وأوضحوا أن غياب نصيحة رجل عظيم كهذا عشية القتال ، سيكون
أمراً سيئاً . لذلك فإنهم ألقوا على ريموند أن يأتى إلى القسطنطينية مع قوة
م صغيرة حتى إذا اكتسبت الترتيبات مع ألكسيوس ، بدأ الزحف بدون تأخير .
وعمل ريموند بهذه النصيحة ، وترك حامية في المعسكر ، وسبق الجيش في هذه
المهمة ، وذهب وحده غير مسلح إلى القسطنطينية .

والى هنا ، كان تسجيل هذه الأعمال ، وهي أعمال تقسم بالهبة والنجاح ،
مهمة يسعد الكاتب القيام بها ، إلا أن القصة أصبحت مشحونة بالقصة واخون ،
حتى إنه لم يزل أنى قد بدأت فيما أقست على إكمالها ، وصراحة قائلى لا
أدرى كيف أسجل هذه الأحداث ، وفق أهميتها ، هل أكتب عن أشع خيانة
حملتها مشورة الإمبراطور ؟ أم أسجل الهروب المشين لجيشنا وعجزه الذى لا يمكن
لأحد أن يتصوره ؟ أو أبدأ برواية موت أولئك الأمراء العظام ، فأترك لكم ذكرى
خون أبدي ؟ على العكس من ذلك فليستشر من شاء أن يعرف من غيرنا^{١٤٢} .

ومع ذلك فإننا نتجكى هنا حدثاً له أهمية كبيرة ، فبينما كان كل قرينا
يجلسون بقيادة المعسكر ، هارين ، متخلين عن رفاقهم ، وتاركين كل ما حصلوه
من البلاد السعيدة ، أحداث إيجابية بركة التكثير والخصيام الشدة قوتهم المراسخة
لدرجة أنهم إندهشوا لرشيتهم في الفرار ، وبأسهم السابق المشين . إلا أننا لن
نتوقف عند هذه القصة المؤرعة أكثر من ذلك .

ولمى الاستقبال البالغ الاحترام الذى أعده ألكسيوس وأمراؤه لريموند
طلب الامبراطور من الكونت أن يحلف بين الولاء الذى أقسمه له الأمراء
الأخرون . وود ريموند بأنه لم يحمل الصليب ليدين بالولاء لمسيح آخر ،
ولا ليكون في خدمة أى كائن آخر غير الرب الذى من أجله هجر وطنه
وطغرات آباءه^{١٤٣} . ومع ذلك فإنه سيأتى الإمبراطور على نفسه وأتباعه
وأمنعته ، إذا سافر إلى بيت المقدس مع الجيش . ولكن ألكسيوس سايره
معتذراً عن الزحف متعللاً بخوفه من أن يقوم الأتقان والمجريون والكومان ،
وغيرهم من الشعوب الشريرة ، بتهدى إمبراطورته ، إذا اشترك في الزحف مع
الجيش^{١٤٤} .

وفي هذه الأثناء ، عرف الكونت ، بعد أن علم بهزيمة رجاله وموتهم ، أنه قد
ضلّ ، ومن خلال خدمات بعض قاداتنا استندى الإمبراطور إلى المحاكمة
متهما إياه بخيانة الصليبيين . ولكن ألكسيوس رد بأنه هو نفسه لم يكن
يعرف أن قواتنا تهبت مملكته وأن شعبه قد ارتكب كذباً من الأخطاء ، وأنه
لا يرى أى أساس قانونى لتحقيق الكونت ، إلا إذا كان جيش ريموند ، أثناء
تدمير - كعادته - للقوى والمدن المحصنة ، قرر رجاله هارين لدى رؤية جيش
الإمبراطور ، ومع ذلك فإنه وعد بتقديم تبرضية للكونت ، وأعطاه بوهيموند
كوفية للموا . بتعهده ، وتوصيلاً إلى اتفاق ، وأجبر الكونت - ظناً - على
إطلاق سراح ريموند .

وفي ذلك الوقت وصل جيشنا إلى القسطنطينية ، وبعدد جاء الأستف مع
أخيه ، الذى كان قد تركه مريضاً في ديراوا^{١٤٥} . وأرسل ألكسيوس مراراً
وتكراراً ، بعد بأنه سيكون الكونت يسحاً إذا أتم له بين الولاء كالأمراء
الأخرين ، ولكن ريموند كان دائم التفكير في الانتقام للمعاملة الظالمة التى لقىها
هو ورجاله ، وسعى إلى محو غار هذه الفضيحة . ومع ذلك ، فقد أسف دوق
اللورين ، وكونت الفلاندر وأمراء آخرون لمثل هذه الأفكار ، قائلين أنه من
المسافة الكبرى أن يقاتل المسيحيون المسيحيين بينما الأتراك على مقدية .

هوامش الفصل الثاني

(١) بيلاجونيا Pelagonia منطقة تقع إلى الشمال الغربي من مقدونيا . انظر :
Runciman, op. cit. The First crusader's Journey, p. 217; H. Clur, 124, 125,
134.

وكان البيزنطيون قد رحلوا إلى هذه المنطقة في أواسط فبراير ١٠٩٧ م .

(٢) بوسانات Divina : قلعة لم تقف على موطئها .

(٣) روميا Roussa : مدينة في إقليم تراقيا . واسمها التركي هوكيشان Keshan . وقد وقع
البيزنطيون على روميا في ١٢ أبريل ١٠٩٧ م . ومن رحلة قوات كورت تولاو من دورانة إلى
القسطنطينية انظر :
H. Clur, 110, 124, 125, 134.

كانت قوات بوليفند الثرومان الذي قد مرث مدينة روميا قبل أن تعقبها قوات كورت تولاو
بحوالي أسبوعين . ولنت الترحيب المناسب . وربما يرجع هجوم البيزنطيين على المدينة
إلى أن أهل المدينة لم يتوقع لديهم من المؤن هاتين هزمت لساكني روميا الذين استسلموا
إخلاء من قبل سكان المدينة . انظر :

Runciman, History of the Crusades, Vol. I, p. 162.

(٤) رومسترو Rodosto مدينة بيزنطية شتق الرحلة منها إلى القسطنطينية حوالي أربعة
أيام . وفي ١٨ أبريل ١٠٩٧ م ، قابل كورت تولاو سفراء الإمبراطور ألكسيوس هناك .

(٥) بوليفند ١٠٨٥ - ١١١١ م : ابن بوليفند جويسكارو Robert Guiscard ، الذي سبق أن
حارب البيزنطيين قبل الحملة الصليبية الأولى (١٠٨٦ - ١٠٨٨ م) . وأثت أملاك
بمهرت جويسكارو في جنوب إيطاليا إلى روبرت بورسا Roger Borsa الأخ الأصغر
لبوليفند من أبيه . فشارك بوليفند في الحملة الصليبية الأولى على أمل أن يحوز
لنفسه على اقطاع في الشرق الأدنى . واستولى على أنطاكية لنفسه وفي أميراليا من
١٠٩٩ م وحتى توفي في إيطاليا عام ١١١١ م . ودوق اللورين هو جنود فرى Godfrey
(١٠٦٠ - ١١٠٠ م) دوق اللورين السطى . ولم يكن دوره في الحملة الصليبية الأولى
كثيرا مع أنه صار حاميا القدر المقدس . وقد جعل منه المؤرخون الملاحقين واحدا من أعظم
أبطال الحركة الصليبية . أما كورث الملائكة ١ : ت ١١١١ م) فغير ابن روبرت الفريزي
الذي توجه عاجلا إلى بيت المقدس حوالي ١٠٨٧ م أو ١٠٩١ م . ولتزيد عنه هؤلاء القادة
انظر حاشية رقم (٦) في مقدمة الترجمة الإنجليزية

والواقع أن بوليفند قد تعهد بتقديم دعمه لألكسيوس ، في حالة اتخاذ روميا
إجراء منه ، أو إذا اعتذر الكورث أكثر من ذلك عن أداء بين الولاء وللقسم .
عند هذا المنعطف ، وبعد التشاور مع البيزنطيين ، أقيم الكورث أنه لن يتنزع
- سواء بنفسه أو عن طريق آخرين - حياة الإمبراطور وممتلكاته . وعندما ذكر
بالولاء رد بأنه لن يقسم بين الولاء . بسبب تعرض حقوقه للخطر . وهكذا
نصبت إلى ذلك أن ألكسيوس أعطاه القليل من المشايخ الديوبس بسبب عداوة
وتشدداته (١٠) .

* * * * *

= يحدد هيرج ولوريتا هيل بداية تاريخ إمارة بوهيمند الأول في أنطاكية بعام ١٠٩٩ م.
[لا أن غالبية المؤرخين يحددون تاريخ حكمه في الإمارة الصليبية بتاريخ تحرير أنطاكية
التي عقدت مع الحشوية (١٤ يوليو ١٠٩٨ م / ١١ شعبان ٤٩٦ هـ) . انظر :

E.G. Rey, Résumé de l'Histoire des Princes d'Antioche, in ROL 4, p. 362.

(الترجمة العربية) .

(٦) هذه التفسيرات تذكرنا بخطايا أوائل عصر النهضة الذين لجأوا إلى التلويح لترك جمهورهم
دون إجابة على التساؤلات التي يطرحونها . ومن الواضح أن ريمونداجيل هنا لم تتوفر
لديه المعلومات بخصوص ما حدث . تلجأ إلى هذه الوسيلة الأدبية

- ما حدث هنا هو أنه بعد رحيل كورت تولوز للقيادة الامبراطورية البيزنطية - وبالطبع لم
يصحبه مؤرخنا ريمونداجيل - فقد عادت قواته الهجوم على سكان رودس . ولكن
في هذه المرة كانت القوات البيزنطية موجهة ، وأطبقت على البرونسانليين ، وسيطرت
عليهم تماما بعد أن استولت على أمعتهم . واعتقد البرونسانليين ، الذين لم يتركوا
أن الخرم يقع عليهم ، اعتقدوا أن كورت تولوز قد استرجع إلى القسطنطينية حتى يمكن
تدمير قواته دون قيادة ترجمها . وكان نفس الانطباع لدى ريموند نفسه ، الأمر الذي
يجعله أصبح أكثر تشككا في الكيسوس . وعشبا في مقارناته بعد . ويبدو أن قوات
ريموند التي أصابها الهلع من البيزنطيين ، قد بقيت في موقعها حتى غلب بها التشوب
الياهو أدهمار ، الذي قاد هذه القوات إلى القسطنطينية ، وكانت تافته في السبيل
للتغلب على كثير من الصعاب التي خاضت حسن العلاقات بين الامبراطور وكورت
تولوز . ولذلك تبدو رواية ريمونداجيل في هذا الموضع شديدة الصرامة ضد البيزنطيين .
ولكن من السهل إدراك ما حدث بالفعل - انظر

Runciman, The First Crusaders Journey, p. 218

(الترجمة العربية) .

(٧) كانت حادثة كورت تولوز الدينية محل تشكك وأناويل . فقد أصبح أنه قرر أن لا يعود
إلى موطنه الأصلي . ومن المؤكد أن الروايات تعكس الرأي السائد - قول شخصيته
ويمونداجيل هنا ينسخ عنسارة متأنفة ، وما تقدم على ما كان من الترفع أن يقوله
كورت تولوز

(٨) يؤيد امتثال ريمونداجيل لتعبير « الشعوب التوحشسية » الذي يلقى كلمة الكومان
Kumani رأينا في أنه في فترة سابقة (حاشية ٧٤ - الفصل الأول) قد استعمل كلمة
الكومان وكلمة - tatars . وفي هذا الفصل يستعمل الكومان و - tatars gentes .
شعوب متوحشة . وهكذا . نعتقد . أن كلمة tatars لم تكن تعني جنسا من الناس
ولكنها تعني تعبيرا عاما عن الشعوب المتوحشة .

(٩) لم يعرف دون أدهمار في منشأحات ريموند والكيسوس . وعلى أية حال ، ليس
المعجبين بشخصية التشوب الياهو أن وأيه السيد هو الذي تسميه المرفق بين
الامبراطور والكورت - انظر :

John and Laurita Hill, Raymond IV, count of Toulouse, pp. 50 - 51

(١٠) ترجمنا قسم ريموند على أن يكون معناه أنه لن « يسلب من الامبراطور حياضه أو
ممتلكاته » . بينما يجعل كزي وآخرين ريموند يتعهد بأنه لن يلوذ « حياة الامبراطور
أو شرفه » . ومثل هذا القسم كان مألوفاً في جنوب فرنسا ، وأفضل ترجمة للكلمة
اللاتينية " honorem " هي « ممتلكات » . وفي الواقع ، لقد قام كورت تولوز بأداء
قسم مشابه في بلاد ، وقد أصبح بدون معنى تابعا للامبراطور . انظر :

John and Laurita Hill, The Convention of Alexius Comnenus and Raymond
of Saint-Gilles, in AHR, 58, 1953, pp. 322 - 27.

- أمر الامبراطور البيزنطي ألكسيس كومنين على أن يؤدي له قادة الحملة الصليبية
الأولى بين الرلاء . والتعبية المرتبط بالنظام الإقطاعي في غرب أوروبا آنذاك ، يلزم قادة
الحملة بضاعته حتى يحافظ على بلادهم من عيبتهم وليسحقهم لصالحه في استردادها
استولى عليه السلاجقة من أنطاكي . ومن المعروف أن أول من قام بأداء بين الرلاء
والتعبية أمام امبراطور كان ميروماتندوا شقيق فليب ملك فرنسا وجميعه كل من
جودفري بعد ورود . ثم روبرت النورماندي وعشيق كورت بلوا وشابتر . ومن بينهم
روبرت كورت الغلاتنوز . بينما أبدى بوهيمند رغبة منذ البداية في الاتفاق مع
الامبراطور ولم يتردد في حلف اليمين أمامه ليحافظ على حسن العلاقات مع ألكسيس
ليحقق مصالحه في الشرق . ولم يقسم هذا اليمين أو حتى يذهب إلى القسطنطينية
تشكركه ابن أخت بوهيمند . وبذلك لم يرتبط أيها باتفاقية القسطنطينية التي عقدت بين
الامبراطور وقادة الحملة الصليبية الأولى في مايو ١٠٩٧ م . والتي تعهد فيها
الامبراطور بمساعدة الفرنج في مهمتهم ، والمحافظة على سلامتهم خلال مرورهم بأراضي

دولته : كما تمهد بإمدادهم بالنقود مع إمدادهم بفرقة عسكرية تكون تحت تصرفهم ، ولدى المقابل تعهد الصليبيون بأن يعيدوا إلى بهزلة كل ما استولى عليه البلاط من أملاكها . انظر :

Anna Comnene, The Alexiad, English trans. by Elizabeth Dawes, London, 1928, pp. 257 - 267, Albert D'Aix, pp. 304 - 310; Gust. Franzmann, pp. 5 - 7.

وقدم الدكتور جوزيف نعيم يوسف بحثاً وافياً عن سياسة ألكسيس تجاه الصليبيين ، وانضافه مايو ١٩٧٧ م معهم . مع مناقشة دقيقة لأراء المؤرخين المعاصرين والحديثين . وهو أشمل ما كتب في هذا الموضوع . انظر : جوزيف نعيم يوسف ، العسك والروم ، ص ٢١٩ - ٢٢٨ .
(الترجمة العربية) .

الفصل الثالث

حصار نيقية وعبور الأناضول

وبعد عبور البحر (مضيق البسفور) أصرعنا إلى نيقية حيث حاصرها جودفري وبرهيند وقادة آخرون ، من كانوا في الطبيعة ، ونيقية مدينة تستوعب بحماية طبيعية ودفاعات بارعة ^(١) . كانت تحصيناتها الطبيعية تتكون من بحيرة كبيرة تصل إلى أسوارها ، وتنفق على الماء المنفق من الجداول القريبة ، بعد المدخل من ثلاث جهات ، وقد أحاط رجال مهرة نيقية بأسوار عالية جداً ، حتى أن المدينة لم تكن تخشى هجوم الأعداء ، ولا قوة أي آلة . وكانت مجانيق الأبراج القريبة موجهة في شكل متناوب ، حتى أن أحداً لم يكن يستطيع التحرك بالقرب منها ، دون أن يتعرض للخطر ، وإذا أراد أحد أن يتحرك إلى الأمام ، لم يكن يمكنه أن يلحق أي ضرر بها ، لأنه سيكون من السهل جداً خنقه من أعلى البرج .

وباختصار ، كما قلنا ، فإن برهيند حاصر المدينة من الشمال ، بينما حاصرها الدوق والألمان من الشرق ، والكونت وأسقف لى بويه من الجنوب ، والتسجيل تذكر أن كونت نورماندى كان متقيباً ^(٢) وهنا يجب أن نسجل الحدث التالي : فبينما كان كونت تولوز يرغب في إقامة معسكره هناك ، زحف الأتراك هابطين من الجبال في تشكيلين ، وانفضوا على جيشنا . ولما شك أنهم قد وضعوا خططهم على أمل أن تقاتل إحدى فرقتيهم جودفري والألمان المقيمين في الشرق ، بينما تدخل الفرقة الأخرى من الأتراك نيقية من خلال الباب الجنوبي . وتخرج من باب آخر ، فتبدي بذلك ، بكل سهولة ، قواتنا التي لا تتوقع شيئاً . فكان الله ، النعمة المعتادة على مستشاري البراء ، أحبط خططهم ، وبدا وكأنه قد دبر للمعركة بحيث تؤدي إلى النتيجة التالية . فقد جعل الله الكونت ، الذي كان على وشك إقامة معسكره مع رجاله ، يهاجم الفرقة التركية التي كانت في ذلك الوقت على وشك دخول نيقية . وفي الهجوم الأول ، أباد ريموند منهم الكثيرين وقتل الكثيرين ، ثم طارد من بقى منهم إلى جبل قريب ، بينما في الوقت نفسه أجبر الأتراك الذين كانوا يخططون للقضاء على الألمان على الفرار ، وأبسوا .

بعد هذا النجاح نصبت الآلات وقصفت السور دون أى نتيجة . كان السور لا
يُحترق . وكان الدقاق الجرس بالأسم والآلات يبحث على الإحباط . وأخيرا وبعد
خمس أسابيع من الحصار غير المجدى . وبشيئة الله . انتفعت بعض القوات من
حاشية أديمار ويعود بعد مفاوضات . إلى الأمام فى مغاطية كبيرة إلى أسفل
أحد الأبراج . ونحت حيازة دهابة ^{١٢٦} . دقوا ذلك البرج دكا . وقوضوا أسسه وجروا
بالأرض . وحال حلول الليل دون الإستيلاء على نيقية . وفى الصباح التالى ثبت
أن جهودنا كانت بلا طائل . ذلك أن المدافعين عن المدينة أضلحوا الأسوار تحت جنح
الظلام . واستولى الحرف على نيقية . فاستسلمت . وكان الدافع الأكبر إلى
استسلامها أن السفينة اليونانية التى سحبت على الأرض كانت تطرق الآن على
مياه البحيرة . وبالتالى فإن الأتراك الذين انعزلوا بذلك عن أملاكهم . احتوا
لألكسيوس . حيث لم يعد لهم أمل فى وصول النجدة إليهم . بينما كانوا يشهدون
الجيش الفرنجى يزداد يوما بعد يوم . وزاد من ذلك وصول كروت نورماندى ^{١٢٧} .

وتعهد ألكسيوس للأمراء والشعب الفرنجى أنه سيبليهم كل ما فى نيقية
من ذهب وقنطرة وخيول وأمتعة . وزاد على ذلك أن قال أنه سيؤسس بها ديرا
لاتينية وملجأ للمعوزين من الفرنجة . كما وعد بأن يعطى لكل فرد يسخا . يجعل
كل جندي فى الجيش يتقاضى أن يخدمه مدنى الحياة . ووثق الفرنجة فى هذه
الكلمات المخلصة . واغضبوا لاستعادة نيقية . ولكن ما إن أصبحت نيقية فى
حرزة ألكسيوس . حتى تصرف بجعود مع الجيش . حتى أن الناس سيرونه
ويعصونه بالحجارة طالما كان حيا ^{١٢٨} .

فى ذلك الوقت علمنا أنه عندما وصل بطرس التاسك وحشود المزارعين التى
صحبته إلى القسطنطينية قبل شهر من وصول القوة الصليبية الرئيسية . خانه
ألكسيوس . بأن أجبره وأتباعه . الذين لم يكونوا على معرفة بموقع الحرب ولا
بقوتها . على عبور المضائق وليس معهم دفاعات ضد الأتراك ^{١٢٩} . وهكذا .
فعندما شعر أتراك نيقية بأنهم وقعوا على قرصة سهلة . قتلوا . بسرعة وسهولة .
ستين ألفا من المزارعين . ولم يفلت منهم إلا من فروا ولبأوا إلى إحدى القلاع .

وجرا المنصورون وركبهم الفرزد لتجارتهم . فأرسلوا الأسلحة التى استولوا عليها
والصليبيين الذين أسروهم . إلى ثيلانهم وإلى القادة المسلمين فى أماكن ثانية .
ونشروا فى بلادهم كتابات تفيد بأن الفرنجة لم يكونوا أهل حرب .

وفى أعقاب هذه الأحداث تركنا نيقية متجهين إلى الأناضول وأثناء
الزحف . تصرف يوهنن وبعض الأمراء . فى اليوم التالى تصرفا غير حكيم . حيث
انفصلوا عن الكونت والأسقف والدوق ^{١٣٠} . وفى اليوم الثالث من زحف يوهنن
متصلا وبينما كان يشكر فى أن يحجم . رأى جنوده مائة وخمسين ألف رجل
يقفون فى تشكيل معركة ^{١٣١} . وبينما كان ينظم صفوفه للمعركة كما تقتضى
الظروف واستعد للقتال . فقد الكثير من جنوده الذين تأخروا خلفه وصلوا
الطريق . وهكذا . فعندما احتدم القتال . استدعى يوهنن لمعاذته الكونت
والدوق . الذين كانوا على مسافة ميلين فقط منه . ولم تلبث النجدة أن وصلت .
فارتدى الصليبيون دروعهم واستطرو صهوة خيولهم . وأسرعوا لقتال العدو حين
وصل رسول يوهنن بالأخبار .

وتحدثت أمال قلع أرسلان القائد المهاجم . لدى رؤية الفرسان المتدفعين
فأسرع بالفرار ^{١٣٢} . وبدوا لنا أن عدالة السماء . هى التى جعلت قلع أرسلان الذى
أسر الأسرى . واستولى على الكثير من خيام يوهنن . بهجر أمتعته الآن . بفضل
قدرة الله . ورغم أننا لم نر ذلك . فإن البعض قد حكى عن معجزة كبيرة رأوا فيها
فارسين وسبعين فى دروع لها يريق . وهما يركبان أمام جنودنا ولا يبدو أن طعنات
رياح الأتراك تؤثر فيهما . يخيفان الأعداء . حتى أنهم لم يستطيعوا القتال ^{١٣٣} .
ورغم أننا علمنا بذلك من أتراك ارتدوا عن عقيدتهم ويعطون فى صفوفنا الآن .
فإنه يمكننا أن نؤكد من الأدلة أننا كنا نرى وليومين فى زحفنا قرصانا موتى وخيولا
ميتة .

وبعد خزيمة الأتراك وحدهم . مررنا بسرعة من خلال الأناضول مسلام .
وإن تأخرت المسيرة قليلا لمرض ألم يوهنن ^{١٣٤} ورغم أن ما صنعكبه الآن ينقر

أذواق الساخرين المتهاكمين ، فإنه ينبغي تسجيله علناً ، لأنه وصف لمعجزة من تدبير السماء . فقد قال كروث ساكسرى يزعم أنه مبعوث من لدن القديس جيلز ، أنه قد تلقى أمراً برتين بأن يطلب إلى الكونت : « اهدأ بالاً . قلن قوت من هنا المرض لأتس شئت لك راحة من عند الله . وسأكون دائماً قريباً منك » (١٢٢) . ورغم أن الكونت كان سريع التصديق ، فقد أخضعه المرض ، حتى أنه عندما أخذ من سريره ووضعه على الأرض ، لم يكذب يتردد في صدره نفس من أنفاس الحياة . وهكذا فإن أسقف أورانج قرأ الصلاة كما لو كان ريموند ميتاً . إلا أن السماء ، التي جعلته قائداً للجيش ، رفعتة من الحال من الموت وأعادت له سليماً معاني (١٢٣) .

* * * * *

هوامش الفصل الثالث

- (١) بنيت مدينة نيقية في عهد الإمبراطور أنتيجونوس Antigonus حوالي عام ٣١٦ ق.م .
 وتقع في إقليم بيشية بالقرب من بحيرة أسكانيوس Ascanius في آسيا الصغرى . وفي زمن الحملة الصليبية كان يحكم فيها قلع أرسلان السلجوقي . وقد بقي كونت تورنيز في جوار القسطنطينية حتى ١٠ مايو ١٠٩٧ م . ثم رحل إلى نيقية . ومن المحتمل أن علاقاته مع أنطونيس كانت روية أكثر مما يدقنا ريموندجيل إلى الاعتقاد فيه .
 أنظر : Hagenmeyer, Chr., 148.
 - بدأ الصليبيون في حصار نيقية في ١٤ مايو ١٠٩٧ م . ووصل كروث تورنيز إلى نيقية في ١٦ مايو . ولم يحدد ريموندجيل هذه التواريخ التي طبعها لنا كل من متريخ أليستا وليرشر أرف شارتر .
 (الترجمة العربية) : Gesta Francorum, p. 14; Pulcher of Chartres, p. 80.
 (٢) كونت نورماندي (١٠٥٤ - ١١٣٤ م) المعروف بروبرت كورتوس Robert Curthose ، دوق نورماندي . وهو ابن وليم الفاتح (ت ١٠٨٧ م) ، الذي استولى على عرش إنجلترا في ١٠٦٦ م . وقام روبرت برهن أراضيه لدى أخيه . الملك وليم الثاني (روفوس Rufus) . ليشاؤك في الحملة الصليبية وقد سجل معاصره مباشرة في الحملة الصليبية . ولكنه - بشكل عام - كان شخصاً خامساً فيما يخص الأمور السياسية للحركة الصليبية . انظر :
 C.W. David, Robert Curthose of Normandy, Cambridge, 1920.
 (٣) الدابة آلة صنعت من الخشب يدخل فيها المقاتلون - وغالباً الثقالبون - ليقتربوا بها من الأسوار لمقتربها . وكما ذكر مرضى بن علي فهي تستخدم أيضاً كمسيرة للرجال الذين يقومون بحمل التحديق وما شاكله من أن يرموا بعجالة متجنين مقابل قيعل عتصم حظرتها . وسبب دابة أنها تدفع نصب - وقد أورد مرضى بن علي الطبرسي وصفها ذلك الدابة وعجلاتها وقانون بيته وبين مائر أترام السائر . وذلك في كتابه « تحفة ألباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأمراء ونشر أعلام الأعلام في العمد والآلات المعينة على لقاء الأعداء » التي وضعه خصيصاً لصالح الدين الأيوبي . وقد نشرت مقتطفات من هذا المخطوط مع ترجمة فرنسية وتعليقات عامة للمؤرخ كنود كامن . انظر :

(الترجمة العربية) .

١٤٦١ - جاءت رواية ريمونداجيل عن حصار نيشة قريبة من رواية مثلك الجستا المجهول . إلا أن في كل منهما تفاصيل تشير إلى المزيد من مصادر المعلومات . وقد استلست الخاتمة السلجوقية الموجودة داخل نيشة للقائد البيزنطي ميخائيل بوموتيس *Batumites* في ليلة ١٨ يونية ١٠٩٧ م . وفي صباح اليوم التالي شاهد الفرنج الرايات البيزنطية تعرف فرقة نيشة . انظر : Hagenmeyer, *Chr.*, 159, 160.

١٥١١ - لا شك أن ريمونداجيل - مثل بقية الصليبيين - قد سئم لاستلام صلاحية نيشة البيزنطيين . الأمر الذي أصاب القرمصة على الصليبيين في عهد ثروات المدينة . إلا أن كل من فرانشوا أوليف شارتر ومثلك الجستا إلى جانب شيفن كونت بلوا - في خطابه إلى زوجته أديلا - والراعي أنسلم - في خطابه إلى منبس رئيس أساقفة رئيس - وأليبرت دكس قد أشاروا صراحة إلى الهدايا التي وزعها الامبراطور البيزنطي على قادة الصليبيين ، وإلى كميات الطعام التي وزعها على قرائهم . انظر :

Hagenmeyer, *Epistolae*, pp. 140, 145, *Gesta Francorum*, pp. 15, 17; *Folches of Chartes*, p. 80.

وقد نشر دكتور جوزيف لسم يرمب خطاب سلفن كونت بلوا إلى زوجته أديلا وترجمته العربية . انظر : جوزيف لسم يوسف : العرب والروم واللاتين ، المجلد الرابع ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

وقد قيمت بنشر النسخ اللاتينية (وترجمته العربية) لرسالة أنسلم راعي ريمونت في رسالتي لسانسبر . انظر : عين قطبة : إمارة أنطاكية الصليبية وعلاقاتها بالدول الإسلامية المجاورة ، المجلد الثاني ، ص ٢٩٤ - ٣٠١ .

(الترجمة العربية) .

١٦١١ - كان بطرس الناسك شخصاً مجهولاً حتى دعا البابا أوربان الثاني إلى تيار اخسنة الصليبية الأولى في مؤتمر كليمونث . وقد قام بطرس - كداعية مجتهد - الفلاحين ليدأروا الهجرات مشيئة الصبر إلى بيت المقدس . ولقد جرد غييرش هاجنير في كتابه « بطرس الناسك » هذا الرجل من دوره الأسطوري في الحملة الصليبية الأولى ومهما يكن من أمر ، فقد بنى بطرس شخصية لها سميتها لدى المؤرخين المعاصرين .

وكان يمثل لديهم رجل الرب غير الآثامي . وسيلاحه القاري . أن ريمونداجيل يشيخ كل فرصة ليظهر كراهيته للبيزنطيين .

(٧) - استخدم المؤرخون اسم « رومانيا » « Romania » فوق تدقيق ، والمقصود بها هنا الأناضول .

- ثم تسج - مرتبة ريمونداجيل كمن خاص لكونت تولوز بحضور مجالس أمراء الحملة الصليبية . لذا فهناك الكثير من القرارات التي يتخذها هؤلاء ولا يقرى عنها مؤرخنا شيئاً . ويتضح هنا من بعض رواياته خاصة إذا ما أتى اليوم على أقران سيده من قادة الفرنج : وهنا لم يمر ريمونداجيل ، أن الأمراء قد عقدوا مجلساً للتشاور قبل وصولهم إلى ديميليم . وقروا تشييم الجيش إلى مجرعتين . الأولى - التي يلقى المؤرخ باليوم على قائدها - وتضم قوات يوحنا وكونت الفلاندر وكونت بلوا والبيزنطيين . والثانية وتضم قوات كونت تولوز وجروفرى وهيو قرواندوا . وعند القادة إلى ذلك للتغلب على مشكلة المؤن . انظر :

Gesta Francorum, p. 18; *Albert d'Als*, pp. 328 - 329.

(الترجمة العربية) .

(٨) - من الصعب الأخذ بالأولام التي يرويها ريمونداجيل . انظر :

Funston, History of the Crusades, I, pp. 445 - 461.

٩١١ - يصف ريمونداجيل هنا معركة ديميليم بالقتل من إسكى شهر الخالية (ودارت المعركة في أول يوليو ١٠٩٧ م . انظر : Hagenmeyer, *Chr.*, 169.

ونجح من هذه المعركة هزيمة السلاجقة ، ولم يتحدث ريموند عن هجوم أدهمار أستد في يوم الذي حرق مسار المعركة لصالح الفرنج ، بينما يتعامل ريموند مع المظاهر السارية . يجرى ريمونداجيل *Brandage* مهارة أدهمار العسكرية . ويعتقد ريموند أن الجهد المشترك للصليبيين هو سبب انتصارهم في ذلك اليوم . وتلق أرسلان هو ابن سليمان بن قنكش ويعرف بأن سليمان . ويعرفه الصليبيون بـسليمان . وقد أصبح قنك أرسلان ، بعد موث ملككاه في ١٠٩٧ م . حاكماً لأسيا الصغرى . ولم يحكم سيطرته عليها حتى موته في ١١٠٧ م . وكانت السنة الانتقامية التي انضمت بها دولة السلاجقة في التي أدت إلى هجرات الفرنج .

الفصل الرابع إغلاق الطرق وبداية حصار أنطاكية

وبعد ذلك وبیشما كنا نقرب من أنطاكية ، إقترح كثير من الأمراء ، أن نوجل الحصار ، خاصة وأن الشتاء كان يقرب ، وقد توزع الجيش في الاستحكامات بعد أن أرحق حر الصيف ^(١١٠) ، كما قالوا بأنه ينبغي على الجيش أن ينتظر القوة الإمبراطورية ، والتعزيزات التي ردت تقارير نفيد بأنها في الطريق من فرنسا . فتصحرنا بالدخول في موقع الشتاء ، حتى يأتي الربيع ، وتقدم رموند مع بعض الأمراء الآخرين المعارضين اقتراحاً مضاداً ، داند وحلنا بروحي الله ، وبعطائه ومحبته ، وفزنا بمدينة تيقية الحصينة ، وبرحمته تنتصر ونعيش في أمن من الأتراك ، وفي سلام والسجام في جيشنا ، لهذا ينبغي أن نعهد إليه بأمورنا . فلا ينبغي أن نخشى الملوك أو قادة الملوك ، ولا نهرب الأماكن ولا الأيام ، حيث أن الرب قد أخذنا من أخطار كثيرة ^(١١١) ، وانتصر الرأي الأخير ، ووصلنا أنطاكية وحيثما كنا نقرب منها ، حتى أن المدافعين عن المدينة قد قذفوا علينا النار من أعالي أبراجهم فأصابوا رجالنا في خيامهم ، وجيولنا .

وتنتظر هذه الفرصة لتصف أنطاكية وتضاربها حتى يمكن لقرائنا الذين لم يروها أن يتابعوا المعارك والهجمات ^(١١٢) . ففي أحضان جبال لبنان يقع سهل عرضه مسيرة يوم وطوله مسيرة يوم ونصف اليوم ، ويحد السهل مستنقع ، وإلى الشرق يجري نهر يتدفق حول جزء من هذا السهل ، فيعبره إلى حافة الجبال الرائعة في الاقليم إلى الجنوب ، بحيث لا يمكن العبور من الجبال إلى النهر ، ومن هناك يلتف ليشل إلى البحر الأبيض المتوسط القريب منه . فتقع أنطاكية في هذه المضائق التي يكوئها الجداول الذي يشق طريقه في الجبال المذكورة ، بحيث أن تدفق النهر غريباً عبر السور الأسفل يجعل الأرض بينه وبين المدينة تتخذ شكل السهم . والواقع أن المدينة التي تقع إلى الشرق قليلاً ، ترتفع في هذا الاتجاه وتحتضن داخلها قسم ثلاثة جبال ، وتفصل الجبل الواقع في الشمال عن الجبلين الآخرين هضبة عظيمة بحيث لا يمكن إلا بصعوبة بالغة الانتقال من أحدهما إلى الآخر .

(١١٠) يحرص المؤرخ خلال تاريخه كله على تقسيم التفاصيل التي يمكن أن يزيدنا الشهود . ومن الواضح أن هذا لم يكن مجرد أسلوب كتابي ، والقارسان د ذوى النرويج اللامعة ، عبارة من المحتمل أنها مقتبسة من كتاب المتأخرين ، وتحقق الضر من خلال قوة الرب وذبح الحساء السابقين ذو النرويج اللامعة العربة . انظر :

St. Ambrose, De Officiis, in MPL., 16, Col. 82.

(١١١) بذلك المؤلف هنا كل تفاصيل الرحلة الشاقة عبر جبال طرووس ومن ثلها الرحلة عبر هضبة الأناضول . ومن الصعب تفسير تلك العبارة في تاريخه . - من المعروف أن الصليبيين دخلوا عن تيقية في ٣ يوليو ووصلوا إلى بحر المديد خارج سور أنطاكية الشمالي في ٢ أكتوبر ١٠٩٦ م . أي أن ويولد أقل أحداث ما يقرب من أربعة أشهر ، شارك بنفسه فيها . انظر :

Genia Francoeur, p. 17, 28 Fulcher of Chartres, pp. 83, 89.

(الترجمة العربية) .

(١١٢) وثقيا مرض رموند كرتت بان جبل متبسة من سفر يوشع (٢٨ : ١ - ٦) ، وقصة شلاء عزقيا من المرض الميت عن طريق التدخل الساري معروفة جيداً . ونفس عزقيا - بعد شلائه - ١ سفر يوشع ٢٨ : ١ - ٢٠ هي جزء من صلاة الموتى ، والغريب هنا هو كيف يكون كومت تولوز مريضاً مرض الموت لعدة مرات ويسترد عافيته - بشكل عجيب - ليعود إلى ميدان القتال خلال أيام قليلة ، ويخضع هاجنيمر د آقسطي ١٠٩٧ م تاريخاً لمرض رموند . انظر :

Hagenmeyer, Chn. 177

(١١٣) كان يطلق على أورانج Orange اسم وليم ، وكان عضواً بارزاً في التكريسية البروتستانتية . وبعد موت أدهيسان ، حتى وليم باحترام الصليبيين حتى مات في معركة العسكان .

ويظهر التل الشمالي بقلعة ، والتل الأوسط بأخرى تسمى باليونانية كولاجن أما التل الثالث فليس به إلا أبراج . فضلا عن ذلك فإن المدينة تمتد ميلين طولا وتحيطها الأسوار والأبراج والمتارس حتى أنها لا يمكن أن نخشى هجوم الآلات ولا هجمة الانسان عليها حتى إذا اجتمع على حصارها الجنس البشرى كله ^(١١) .

وباختصار ، فإن الجيش القرقي الذي كان يتكون من مائة ألف من الرجال المسلحين ، والذي كان يخيم على طرف خط شمالي أنطاكية التي وصفناها ، تقع بالبقاء في مكانه دون أن يشن هجوماً على المدينة . ورغم أن المدينة لم يكن بها إلا ألفان من الفرسان المتحاربين ، وأربعة أو خمسة آلاف من الفرسان العاديين ، ونحو عشرة آلاف أو أكثر من المشاة . فإن أنطاكية كانت في مأمن من الهجوم ، طالما أن الأبواب كانت عليها الحراسة ، لأن وادياً ومستنقعات كانت تحمي الأسوار العالية ^(١٢) وعند وصولنا ، اتخذنا مراقبنا بشكل عشوائي ، ولم تعين مراقبين ، وتصرفنا ببقاء شديد ، حتى أن الأعداء لو عرفوا بذلك ، لأمكنهم أن يجتاحوا أي قطاع في معسكرنا .

في ذلك الوقت وقعت في أيدينا قلاع إقليمية ومدن قريبة بسبب الحرف منا ، والرغبة في التخلص من نير الأتراك . وترك قرصاننا أنطاكية ، متجاهلين المصلحة العامة ، وجرياً وراء الأمال الأثنية لكسب بعض المنافع المادية . حتى من بقوا في المعسكر كانوا يستمتعون بحياة الشرف ، لدرجة أنهم كانوا لا يأكلون إلا أحسن قطع اللحم ، كالغنم والأكتاف ويحتفرون لحم الصدر ، ولا يفكرون بالمرءة في القمح والنبذ . في تلك الأيام الطبية لم يكن هناك من يذكرنا بأعدائنا المختبئين داخل أنطاكية إلا رجال المراقبة على طول الأسوار ، إلا أن الأتراك سرعان ما اكتشفوا أن المسيحيين كانوا يخربون القرى والحقول غلاتية ويدون سلاح . ورغم أن معلوماتنا قليلة عن تحركات الأتراك ، فإن أعدائنا سرعان ما خرجوا من أنطاكية أو جازوا من حلب ، على بعد مسيرة يومين وقتلوا كلاً بينا (جنودنا الباحثين عن المؤن) المتناثرين بلا دفاع ^(١٣) وقد عكزت هذه الاجراءات الانتقامية صفو حياتنا الهائنة ، كما أن الفرص الجديدة للقتل والنهب تجتجت المسلمين على شئ إغاراتهم بشكل متكرر .

وحققت أنباء هذه الأحداث الصليبيين على أن يطالبوا من بوهيمند ليتقدم هجوماً مضاداً . ورغم أن بوهيمند لم يستطع أن يجمع إلا مائة وخمسين فارساً ، فإنه انطلق أخيراً بصحبة كوتيت الفلاتر ، وكوتيت تورماندي ، يدفعه الخجل من أن يوصم بالشهوب من الإقدام . وكان السبب الأكبر في خروجه أمر الله . فعينوا مواقع الأعداء وطاردوهم ودفعوهم إلى حتفهم في نهر الأورنت (العاصي) . ثم عاد المسيحيون إلى المعسكر فرحين بالقتال . وفي نفس الوقت رست السفن المبحرة على الساحل في ميناء سميون على بعد نحو عشرة أميال ^(١٤) . وفي هذه الأثناء كان الأعداء يسللون تدريجياً من أنطاكية ، فيقتلون السادة والمزارعين الذين كانوا يرعون خيولهم وماشيهم عبر النهر ويعودون بما تهبوا إلى داخل المدينة .

نوقف الآن عن سرد روايتنا لكي نصف الإطار الذي وقعت فيه الأحداث حتى نوضح هذه الأحداث . كانت خيامنا تقوم على النهر مباشرة ، بينما يقطع هذا النهر جسر عالم مصنوع من الزوارق التي كانت مرسودة هناك . كما كان لأنطاكية جسر عند الركن الغربي الأسفل ، وتل في مواجهتنا يقيم عليه مسجدان ، وكثيرة صغيرة بها قبور . ونعود إلى روايتنا ، فنلاحظ أن قراتنا التي كثيراً ما كان العدو يتفوق عليها عدوياً ، كانت تتجراً وتتشبك مع المقاومة الطامعة . ولكن الأتراك الذين كانوا يتهمزون ويتعشرون كثيراً يجددون القتال وسبب ذلك ، من ناحية ، أنهم كانوا يحملون أسلحة خفيفة ، في الأقزام ، كما كانوا يصيرون بخفة الحركة على الخيول . ومن ناحية أخرى ، فقد كانوا يستطيعون الإسراع بالعودة عبر جسرهم الذي ذكرناه . كما كانوا يحبون أن يظفروا بسنابهم من جبلهم . وأذكركم بأن جسرهم كان يبعد ميلاً عن جسرنا ، وعلى السهل المتد بين الجسرين كانت تدور اشتباكات يومية . ولما كان ويثوند وأدهيسار يخيمان بالقرب من خفاف النهر ، فإنهما كانا يشعلان ثقل الإشارات ، وكلنت هذه الإشارات التي تعتمد على الضرب الحائظ والفرار ، هذين القائدين كل خيرائهما لأن الأتراك لم يكونوا يتقنون استخدام الرماح والسيوف ، فكانوا يقاتلون من على بعد ، فكانوا يشكلون خطورة في المطاردة أو الفرار .

وفي الشهر الثالث من الحصار عندما تغيب كوثت نورمالدي . ومرض
جود قري . وارتفعت الاسعار ارتفاعاً هائلاً ، ثم اختار بوهيشت وكوثت الفلاتندر
لقيادة حملة البحث عن المزن في هيسبانيا Hispania بينما تولى ريموند وأدهيسار
حماية المعسكر ^(٨) . وعندما علم المحاصرون (داخل أنطاكية) بأخبار هذه
التطورات فإنهم استأنفوا هجماتهم المعتادة . وتحرك ريموند بدوره لواجهتهم بطريقة
المعتادة . ووضع مشاته في تشكيل قتالي . ثم راح يطارده الأتراك في صحبة عدة
فرسان . وفي الاشتباك الذي تلا ذلك . أسر وقتل اثنين من المهاجمين على جانب
القتل . وطرده الآخرين غير جرحهم إلى أنطاكية . كان المنظر أكثر مما يتحمل المشاة
الذين اضطرت صفوفهم . وألقوا راياتهم . وجروا في قوسى شاملة إلى الجسر .
وفي أمتهم الزائف زاحوا يلقون بالصخور والقذائف الأخرى على المدافعين عن
الجسر . وتجمع الأتراك من جديد وشكوا هجوماً معاداً عن طريق الجسر ومخاضة
سفلية .

في ذلك الوقت اندفع فرساننا بخيولهم نحو جسر لمطاردة حصان شارد
جعلوه يجرى بلا فارس . وظن المشاة خطأ أن ذلك قروب يقوم به الفرسان .
وأسرعوا هازئين من الهجوم التركي . وفي الاشتباك ذبح الأتراك الهاربين بلا رحمة
ووجد الفرسان الفرجة - الذين توقفوا عن القتال - أنفسهم وقد تلفقتهم الحشود
الهاربة التي راحت تخطف أسلحتهم وتشد خيولهم وذبولها وتجذبهم من فوق
صهوات بيادهم . وتبعهم فرسان آخرون في اندفاعهم يدافع من الشعور بالرحمة
والحرص على سلامة قومهم . وأسرع الأتراك بمطاردة الأحياء بلا مراعاة . وسرقوا
ممتلكات الموتى . ولم يكف رجالنا عار إلقاء أسلحتهم والفرار دون أن يشعروا بأي
خجل . بل أنهم قفزوا في النهر ليرتطسوا بالصخور أو السهام أو ليقرقوا . ولم
يجر النهر ويصل إلى بر الأمان إلا السباحون والأقرباء .

وفي القتال الذي دار من جسر الأتراك إلى جسرنا ، قتل الأتراك نحو
خمسة عشر فارساً وعشرين من المشاة . ولقى حامل راية أسقف لى بويه وأحد
القبلا . يدعى برنارد أولف بينزييه . مصرعهم هناك . واستولى الأتراك على

راية أدهيسار ^(٩) . وأما نامل ألا تكون روايتنا لعدم حيا . جيشنا . سياً في لوم
هذه الله وقضيتهم علينا . لأن الله قد جعل الصليبيين الزناة الناهيين يتوبون إليه
من ناحية . ولأنه من ناحية أخرى جعل جيشنا يطيب نفساً في بلاد المسلمين .

وانتشر الكلام من معسكرنا عن حالة الازدهار التي كانت عليها قوات
ريموند وانتصاره العظيم . حتى وصل بوهيشت وارتفعت نتيجة لذلك الروح المعنوية
بين رجاله . وأثناء هجوم على إحدى القرى سمع بوهيشت بعض مزارعيه يفرحون
بمصرخون طائفين النجدة . فأرسل قوة تستطلع الأمر . وراأت هذه القوة جمعاً من
الأتراك والعرب في مطاردة محسومة . وكان من بين المجموعة المساعدة كوثت
الفلاتندر وبعض البرونسيالين وهو اسم يطلق على كل من هم من برجندي وأوفرتي
وجاسكوني وجوتيا . وألقت نظركم إلى أن كل ماعدا ذلك من قوات في جيشنا
يطلق عليهم اسم الفرجة . ولكن العدو لا يميز ويستخدم كلمة فرجة للإشارة إلى
الجميع . لكن يجب أن أعود إلى قصتنا ^(١٠) . فقد اندفع كوثت الفلاتندر في
فجوة على حصانه في مواجهة الأتراك حتى لا يتأله عار الإلتسحاب ليبلغ من
اقتراب العدو . ولما كان الأتراك لم يأنفوا القتال بالسيف . فقد وكثوا إلى الفرار .
ومع ذلك فإن كوثت الفلاتندر لم يضع سيفه حتى قتل مائة من أعدائه .

وعندما عاد كوثت الفلاتندر منتصراً إلى بوهيشت . اكتشف اثني عشر ألفاً
من الأتراك يقتربون من حرس مؤخرته ورأى إلى يساره عدداً كبيراً من المشاة
يقفون على تل غير بعيد . وبعد مشاورات مع بقية جيشه . عاد بتعزيزات وبأور
بالحجوم . بينما تبعه بوهيشت مع الصليبيين الآخرين عن بعد . فحسوا بذلك
خطر مؤخرته . وكان للأتراك أسلوب معتاد في القتال حتى عندما يفوقهم
عدوهم عدداً . هو أن يحاولوا الإحاطة بأعدائهم . وهذا ما فعلوه في تلك المواجهة
ولكن بعد نظر بوهيشت جعله يتوقع حيلتهم .

وقد فر الأتراك والعرب الذين هاجموا كوثت الفلاتندر عندما أدركوا أن
القتال الذي سيقع سيكون وجهاً لوجه بالسيف وليس عن بعد بالسهم . ثم إن

كوت الفلاتر طارد الأعداء لمسافة ميلين ، وكان الأحياء يرون القتلى منطرحين على طول الطريق كعزم التسح في الحقل زمن الحصاد . وأثناء ذلك القتال وجد بوهيمند خبراته إلى القوات التي كانت تكمن له في الكمين وفشى عليها . إلا أنه لم يستطع أن يمنع الطقعة سالقة الذكر من مشاة الأعداء . من السهل من خلال أماكن لا يمكن عبورها على ظهور الخيل .

ولولا التواضع لحيت هذه المعركة أعظم من الحرب النكاية لأن ماكابيروس قضى بثلاثة آلاف على ثمانية وأربعين ألفاً من أعدائه . بينما دحر قرسانا الأربعمئة ستين ألفاً من الوثنيين . ولكننا لا ننقل من قيمة شجاعة ماكابيروس . ولا نزهو ببسالة قرسانا . ومع ذلك ، قائلاً نقول أن الله . الذي كان عظيماً مع ماكابيروس . كان أكبر عظمتاً مع جيشنا ^(١١١) .

ولقد كان ردنا على هروب المهاجمين تناقصاً في الشجاعة حتى أن الصليبيين أخلقوا في شبح الهارين . وبالتالي فإن جيشنا المنصر عام إلى المسكر بدون مؤن . وكان من شأن المجاعة التي أعقبت ذلك أن ارتفعت الأسعار . حتى أن اثنين من الصولدي لم تكف تكون لهما أي قوة شرائية تعادل نصيب الرجل الواحد من الخبز في اليوم . كما ارتفعت أسعار الأشياء الأخرى بنفس الدرجة . فما كان من الفقراء . والأغنياء . أيضاً الذين كانوا يريدون إنقاذ ممتلكاتهم . إلا أن تركوا الحصار . وأما من بقي لقوة روحية فيه . فقد كان عليه أن يتحمل رؤية خيوله وهي تتلف من الجوع . كان الذين شعبحاً . ولم تكن سبعة أو ثمانية صولديات تكفي لشراء كمية من الخبواب لإطعام حصان واحد ليلة واحدة .

ومما زاد من كرامتنا . أن بوهيمند - وقد اشتهر لخدمته الباهرة في بلاد المسلمين - هدد بالرحيل . قائلاً أن الشرف هو الذي جعله يتخذ هذا القرار . لأنه رأى رجاله وخيوله تموت من الجوع . فضلاً عن ذلك . فقد أوضح أنه رجل ذو إمكانيات محدودة لا تكفي ثروته الشخصية لحصار مطرل . وقد علمنا فيما بعد . أنه قد أعلن تلك البيانات لأن طموحه كان يدفعه إلى اشتها أنطاكية .

في ذلك الوقت وقعت هزة أرضية في اليوم الأول من يناير كما رأينا علامة محزنة في السماء ^(١١٢) . ففي فترة المناوبة الأولى من الليل . كانت السماء حمراء في الشمال بحيث بدا كما لو أن الشمس أشرقت في يوم جديد . ورغم أن ذلك كان تزييفاً من الله لجيشنا . حتى تتحول إلى النور الذي أشرق في الظلام . فإن عقول البعض كانت غفلاً . وكانوا عبيدين . حتى أنهم لم يكتفوا عن حياة الشعب والتهيب . ثم أن آدميسار حث الناس على أن يصوموا ثلاثة أيام . وأن يصلوا . ويصعدوا . ويقيموا موكباً . كما أمر الكهنة بإقامة القديسات . ورجال الدين يردد المزامير وهكذا . فإن الرب المبارك . وقد أظهر عظمته ومعجته . آخر عقاب أبنائه حتى لا يزداد تفاخر الوثنيين .

انتقل الآن إلى شخص كدت أنساه لأنه ألقى به في طي النسيان . وهذا الرجل . هو ثاتيكيموس . الذي سحب جيشنا بدلاً من ألكسيوس . وكان له أنف شدة . ويقتدر إلى أي صفات تعزبه عن ذلك ^(١١٣) . كان ثاتيكيموس كل يوم يحضر الأمراء يهذرون . أن يراجعوا إلى القلاع القريبة ويظهروا المعاصرين بهجمات وكلمات متعددة . ولكن عندما علم الكونت بكل هذه السائل . وكان مريضاً من يوم قرويه الاضطرابي بالقرب من الجسر . جمع أمراءه وأستق لى بيده . وفي نهاية الإحساس ورع ويحذو خمسمائة مارك على المجموعة . على شرط أنه إذا فقد أي واحد من الفرسان حصانه يُعطى واحد آخر بدلاً منه من الخمسمائة مارك ومن أرسدة أخرى منحت للأخوة (brother hood) ^(١١٤) .

كانت هذه إتفاقية الأخوة هذه مقيدة جداً في ذلك الوقت . لأن فقراء الناس في الجيش الذين كانوا يرغبون في الانتقال إلى الجانب الآخر من النهر البحث عن الثمن كانوا يرهبون هجوم الأتراك . وكان القليل فقط هم الذين يرضون في قتالهم . حيث أن خيول البروقنساليين . والتي لم تكف تبلغ المائة حصان . كانت هزيلة ضعيفة . وأما ما أقول أن نفس الموقف كان مائلاً في مسكر بوهيمند والقادة الآخرين ^(١١٥) .

وبعد التصرف الأخير . هاجم فرسان العبر بجراً لأن من كان معهم خيولاً قيمة لها ومنهكة القوى . كانوا يعرفون قاطبة أنه يمكنهم أن يستبدلوا خيولهم

المقتدره خيولاً أفضل . آه . حقاً يمكنني إضافة شيء آخر . لقد عرّض كل الأمراء . ما عدا الكروت . أنطاكية على يوهيند في حالة الاستيلاء عليها . وهكذا بناء على هذا الاتفاق . أقسم يوهيند والأمراء الآخرون على ألا يرفعوا الحصار عن أنطاكية لمدة سبع سنوات إلا إذا وقعت قبل ذلك ^(١٦٦) .

بينما كانت هذه الأمور تجري في المعسكر . انتشرت قصة غير مؤكدة بأن جيش الإمبراطور كان يقترب . وهو جيش قليل أنه كان يتكون من عدة أجناس . من السلاف . والبجانت . والكومان . والتركبولية ^(١٦٧) . وقد أطلق هذا الاسم على التركبولية لأنهم إما كانوا قد تربوا مع الأتراك أو كانوا ذرية أم مسيحية وأب تركي . وكانوا يخشون الارتباط بنا لسوء معاملتهم لنا طوال الرحلة . والواقع أن تاتيكوس . ذلك المشوه . الذي كان يتلهف على عذر يهرب به لم يلق هذا الكذبة بحسب . بل أخبال إلى ذنبه الحث باليهون . وخيانة أصدقائه . بأن أسرج حارباً بعد أن تنازل ليوهيند عن مدينتين أو ثلاث . هي طرسوس والمصيصة . وأذن . وهكذا ترك تاتيكوس المعسكر بحجة الانضمام إلى جيش ألكسيوس . وتغلغل عن أتباعه . ومضى تصعبه لعنة الله . وجلب بهذا العمل الخبيث . العار الأبدى على نفسه ورجاله ^(١٦٨) .

* * * *

مواضع الفصل الرابع

(١٦٩) أنطاكية مدينة قديمة تقع على الضفة الجنوبية لنهر الأورنت في سهل يقع بين النهر وحيب الجبل *Antiochia* . وترجع تحصيناتها إلى عهد جستنيان . وقام كل من البيزنطيين والسلاجقة بتدعيم هذه التحصينات . واستولى السلاجقة على المدينة في عام ١٠٨٥ م . وسحقوا الأيوبيين بشدة . وقد وصل الصليبيون إلى أنطاكية في الفترة من ٢ إلى ٢٢ أكتوبر ١٠٩٧ م . انظر : Hagenmeyer, Chr., 203.

- كان يطلق على أنطاكية في العصور القديمة إسم *Reblata* . ثم جاء أنطيوخوس أحد خلفاء الاسكندر المقدوني وأقام حولها سوراً وجعلها عاصمة له وأطلق عليها إسم أنطاكية نسبة إليه . ولكن بناها سليوقس الذي بنى اللاذقية بوطيبي وأقامية . ودخلها السلن لأول مرة عندما فتحها أبو عبيدة بن الجراح في سنة ٦٣٨ م / ٢٢ هـ أثناء فتح الشام . وبقيت أنطاكية في أيدي المسلمين حتى استولى عليها الإمبراطور نظير نرقاس في عام ٩٦٩ م / ٣٥٨ هـ . ثم عادت إلى أيدي المسلمين عندما فتحها سليمان بن قلمش السلجوقي في عام ١٠٨٥ م / ٤٧٧ هـ . وبقيت في أيدي السلاجقة حتى تقدم الفرتج إلى الشام . انظر : حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية . ص ٨٢ - ٨٣ . (الترجمة العربية) .

(١٧٠) إلهن المخرج هنا يحدث من العهد الجديد : وعلى سبيل المثال : لقد أنقلنا الرب من هناك مدينة . انظر : New Testament, II Corinthians, 1 : 10.

(١٧١) يقع وصف أنطاكية هنا أسلوب المزيّن . انظر وصف ولیم الصوري لأنطاكية : William of Tyre, History of Deeds, vol. 1, pp. 200 - 204.

(١٧٢) مدينة أنطاكية على شكل دائرة قطرها متعلق بالجبل . والأسوار تصعد مع الجبل . تحتم دائرة يبلغ محيطها اثني عشر ميلاً . يمكن اجتيازها عن طريق عدة أبواب . وتتم حراسة هذه الأسوار عن طريق ثلاثمائة وستين برجاً . عديد شرفاتها حوالى أربعة وعشرون ألفاً شرقاً . وفي أقصى الجنوب من المدينة توجد القلعة في أعلى جبل حبيب التجار . حيث يرتفع عن المدينة بحوالى ألف قدم . وهي قلعة حصينة لا يمكن اختراقها . ومن الملاحظ أن فتح أنطاكية على أيدي السلاجقة تم على أيدي الصليبيين لم يتم إلا عن طريق الخيانة من داخل المدينة . حتى أن صلاح الدين الأيوبي في أوج قوته وجد أن أمرها بطول . ولم يستطع المدينة بالسيف إلا في عهد الظاهر بيبرس "التركى في الوقت =

الذي لم يكن بداخلها من يدافع عنها . كل ذلك بسبب التحصينات الهائلة التي أحاطت بالمدينة . وللمزيد عن طوبوغرافية أنطاكية وأحيطتها . انظر : حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية ، ص ٨٤ - ٨٤ .
(الترجمة العربية) .

(٥) الأرقام التي يوردها ريمونداجيل غير حقيقية . انظر :

Runciman, op. cit., vol. 1, pp. 336-341.

ولا يمتنع لتحديد الفرمان من الدرجة الأولى أو الفرمان العاديين لنا إلا القليل . انظر :

R.C. Smail, Crusading Warfare, passim.

(٦) كان يحكم حلب في زمن الحملة الصليبية الأولى القائد السلجوقي الماكر ومشران ، الذي تلاعب بجمهور الشيعة القوي والعصبة الفاطمية .

- وكان يحكم في دمشق دقاق شقيق رمضان . وهذا ولدا تاج الدولة تثنى عم السلطان السلجوقي بركياروق . وكان الأشوان في صراع دائم ، يعتبر مولد الموقف في بلاد الشام عند قدوم الصليبيين إلى المنطقة ، ولجأهم في اجتياحها دون مقاومة إسلامية فعالة . وفي صراعها بحث كل من الآخرين عن حلفاء . وكان ياغي سيان حاكم أنطاكية حليفا لدقاق . وعندما تغلب رمضان من أتباعه جناح الدولة صاحب حصن وعبو ياغي سيان ، انضم الأخير إلى رمضان وأقام نفسه أتاكبا له ، وساعده في الهجوم على أملاك أخيه . وعند قدوم الصليبيين عاد رمضان إلى حلب تاركاً ياغي سيان ليواجه بعده الحملة الصليبية الأولى . وكان رمضان قد تحالف مع الفاطميين ضد أخيه دقاق . وأقام الخليفة الفاطمي المستعلى في حلب في ٩٩٠ م / ٤٩٠ هـ وحتى ٩٩٨ م / ٤٩٢ هـ . انظر : ابن القلاسي : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٨٨ م ، ص ١٣٣ . ابن العديم : زبدة الخلب ، ج ٢ ، تحقيق سامي النعسان ، دمشق ١٩٨١ م ، ج ٢ ، ص ١٢٨ . راجع أيضا : حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ م ، ص ١١٢ .

(الترجمة العربية) .

(٧) مينا ، سيمان Simon ، مدينة ساحلية تقع عند مصب نهر العاص . وكان الجنوبية الذين وسوا قبل حلفاء لكونت تروايز . ولقدعوا له يد المساعدة بعد ذلك أثناء حصار الصليبيين لهيبت القدس .

- في الحقيقة قدم الجثيرة هنا المثنى والآلات أحصاء للفرج دون تمييز بين قادتهم . إلا أنهم سيدافعون عن دعاوى بوهيمند بعد أن تسقط أنطاكية في أيدي الفرنج وبعد أن عقد معهم بوهيمند اتفاقية ١١ يوليو ٩٨٠ م . التي منحهم بمقتضاها امتيازات كثيرة . ثم تراهم يساعدون كونت تروايز في حصار بيت المقدس . فالجثيرة ينشرون إلى مصالحيهم أولاً قبل النظر إلى شخصية الخليف - ويطلق المسلمون اسم السويدية على مينا - سان سيمون .

(الترجمة العربية) .

(٨) يستعمل ويرتد هنا اسم Hispania للتعبير عن بلاد المسلمين .

- خرج كل من بوهيمند وكونت القلاسي على رأس قوة قوامها ثشوين ألف مقاتل في ٢٨ ديسمبر ٩٧٠ م / ١٣ محرم ٤٩١ هـ متجهين إلى حماة . ويحدد ابن القلاسي عدد الفرنج بثلاثين ألف مقاتل وأبعد في ذلك ابن العديم . ويبدو أن العدد الأول - الذي حدده مؤلف الجستا - هو الأقرب إلى الصحة . انظر : ابن القلاسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٢٣ . ابن العديم : زبدة الخلب ، ج ٢ ، ص ١٣١ . راجع أيضا :

Gesta Francorum, p. 30.

راجع أيضا : F. Chalandon, Histoire de la Première Croisade, Paris, p. 187 . وأما استعمال المؤرخ لكلمة Hispania لتعبر بها عن بلاد الوثنيين فيوصي بأن ناسخ المخطوط من سكان جنوب فرنسا. واعتاد هذا الناصح أن يرى الفرمان يعبرون البيرانس لشمال ملس أسبانيا . كما نرى المؤرخ في عدة مواضع يستخدم كلمة Chozaraim للتعبير عن بلاد الوثنيين أيضا . وهي إحدى المدن التي لعتها المسيحية لإقامة المسيح الدجال فيها . وقد بحث الناصحان عن اسم هذه المدينة في الكتاب المقدس (تيمنا) (Antichrist) ، ومن الواضح أن هذا الاسم يشير إلى إقليم خراسان بشمال فارس وهو الإقليم الذي جلب منه ملك حلب تعزيزاته السلجوقية . انظر :

J. Richard, Raymond d'Aquileira, p. 307.

(الترجمة العربية) .

(٩) كان برنارد أوليفير Bernard of Bellen ضمن رجال ريموندسان جيل . ويظهر اسمه كشاهد على مشهد قدمها كونت تروايز للكنيسة القديس فيكتور بريسيليا في عام ٩٩٤ م . وكان حامل لواء أدهيسار يدعى هرقل Heracles . انظر :

J. Gagne, HOL, 2, p. 182.

(١٠) يؤدي استخدام ريموناجيل لكلمة البروتستانتين بشكل إجمالي إلى ارتباك المؤرخين وعلى أية حال فقد كتب فرانسز أوف شارتر و ريمون كورت ، البروتستانتين ، مع القوط وأغل جاسكزني ، انظر :
Mc Ginty, op. cit., p. 22.
ويجب أن يدرك القارئ أن ريموناجيل يطلق اسم البروتستانت على كل جنوب فرنسا أكثر مما يطلقه على إقليم بروفانس .

(١١) يظهر ريموناجيل احترامه لمساواة مكابروس لكنه يمتنع لو أن جنوده المسيحيين يشترطون عليه . وهذا مثال للأرقام التي لا يمكن الرشق فيها والتي يوردها المؤرخ .
انظر :
Servianum Romanum, in 11 Nocturno, EX Libro Officiorum Sancti Ambrosii Episcopi, Lib. I, 42.

ومن المحتمل أن المؤلف يكرر صلوات القديس أمبرواز في فكرته هذه .
- والمقاييس هم حكام إقليم يهودا من سنة ١٦٧ ق. م إلى سنة ٣٧ ق. م . والاسم في أصله كان يطلق بصيغة خاصة على يهودا ابن ماثياس ، ثم أطلق فيما بعد على أسرته وأتباعه . ويطلق الآن على ذرية ماثياس فقط . وكان ماثياس خمسة أبناء هم عنا وسيمان ويهوذا وأبلعاون ويوحنا بنان . وهؤلاء قادوا الكفاح ضد قوات أنطيوخوس Epiphanes الذي حاول صلب بلادهم بالصيغة الهلنستية . وقاد هؤلاء حركة الاستقلال السياسي في عهد يهوذا الذي مات في عام ١٦٠ ق. م واستمر أسلافه في الكفاح ضد الحكم اليوناني حتى عام ٣٧ ق. م حين قضى هيروود ، الذي اعتنق به الرومان ملكا على يهودا ، كل بقايا هذه الأسرة . انظر :
Morris J. Gaster, Maccabees, in CE, vol 12, New York, 1984, pp. 151 - 152.

أما عن المعركة بين المسلمين والصليبيين فهي نتيجة لأول رد فعل إسلامي للوجود الصليبي في بلاد الشام . وقام به دقاق ملك دمشق السلجوقي بعد ثلاثة أشهر من قدوم الفرنج إلى شمال الشام ، مما يوضح انشغال حكام الشرق الأدنى الإسلامي آنذاك بمصالحهم الشخصية دون الصالح الإسلامي العام . نجحت كل ردود الفعل الإسلامية إما متأخرة ، وإما متعجلة ، وإما تتسم بالجهل بطبيعة الحركة الصليبية . وفي هذا الوضع يحاول ريموناجيل أن يرجع انتصار الفرنج على دقاق وأتابكك جناح الدولة أمير حمص وقواتهم ، إلى كونت الفلاندرز ، في حين أن المسلمين كادوا أن يفقدوا على -

دورث لولا نجدة برغيث له . وطبعي أن يهتس مؤرخنا الأمير الفروماندي - برغيث -
- حقه في هذا الإغيار للمعاصرة القائمة بين الأخير وكونت تولوز الذي يدين له المؤرخ بالولاء . وقد وقعت هذه المعركة عند قرية البارة في جنوب شرق أنطاكية في ٣١ ديسمبر ١١٩٧ م / ١٦ محرم ٥٩٢ هـ . انظر : ابن القلاسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٣١ . راجع أيضا :
Albert d'Aix, p. 374.

(الترجمة العربية)

(١٢) استعمار المروج في وصفه للزلازل من كتاب صلوات القديس أمبرواز " Et ecce terramotus factus est magnus " وها هي حزة أرضية عظيمة تحدث . وكتبها ريموناجيل " Interca terramotus factus est magnus " و في تلك الأثناء . حدثت حزة أرضية عظيمة . ويضع هاجنبر هذه الهزة الأرضية في ٣٠ ديسمبر ٩٧٠ م . انظر :
Hagenmeyer, Chr. 221.

(١٣) تاتيكوس Tacitus هو القائد البيزنطي الذي اصطحب الصليبيين إلى أنطاكية . ويبدو كره المروج له أمرا غريبا إذا ما وضعنا في اعتبارنا حقيقة أن كونت تولوز كان متعاطفا مع القضية البيزنطية .

(١٤) في هذه الفترة تبرز عظيمة خطايا لفكرة الأخوة . وهو دليل واضح على أن الصليبيين قد عثقوا المعالي واتخلوا القراوات التي قلبها الضرورة . ومن الواضح أن كونت تولوز قد استخدم ثروته لمساعدة العديد . انظر :
Edmund Bishop, Liturgical Historia, Oxford, 1918.

هناك مناقشة متعقدة لفكرة الأخوة . انظر :

Thomas N. Sizer, The Military Origins of Medieval Representation, in AHR, 17, 4 (1968), pp. 1199 - 1218.

- راجع أيضا حاشية رقم (١٥) من الفصل الأول

(الترجمة العربية)

(١٥) يذكر أنسلم أوف ريمون في رسالته إلى متاميس رئيس أساقفة بوز أنه لم يبق لدى لدى المروج بصقة عامة سوى ٧٠ حصان . انظر : حسين عطية : إمارة أنطاكية ، ملحق رقم ٢ ، ص ٢٩٩ .
(الترجمة العربية)

(١٦) هذه الرواية تدلنا إلى الاعتقاد بأن ريمونداجيل قد سبب الاضطراب في كتابه . فتزوج الجيستا بوزو رواية مشابهة ولكنه وضع تاريخ وفد الصليبيين باعطاء أنطاكية لبرهيند في الليلة السابقة على سقوط المدينة . وحسب ما جاء في الجيستا . فإن تسليم أنطاكية لبرهيند كان مرتبطا بقتل أنكيس كومتين في إثناء الصليبيين بالقرات المساجدة انظر :
Newdale, op. cit. pp. 60 - 61.

(١٧) التركيبية هم فرسان استخدمهم البيزنطيون في جيوشهم .

- والتركيكي كلمة يونانية معناها أبناء أو سلالة الترك . وهو مصطلح كان يطلق البيزنطيون على فرقة من فرق جيوشهم . ثلث في أحسنها فرقة الفرسان . ويتكون أفرادها من أب تركي (أو عربي) وأم يونانية . ويذهب الدكتور الشبال إلى أن تكوين هذه الفرقة قد تم بعد احتلال البيزنطيين بالسلاجقة بعد وقعة ملاذكرد . وكان فرسان هذه الفرقة يتسبون بطريقة قتال تعتمد على الكر والفر وأخرب السرعة . وله أشار إليهم أرنست دكس ووليم الصوري . وابن الأثير وأسماعيل بن منقذ والمعاد الأسقفاني . وقد كون المسلمون فرقا في جيوشهم يحمل نفس الاسم والصفات . انظر : ابن واصل : مغرر الكروب في أخبار بني أرب ، ج ٣ ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشبال ، القاهرة ، ١٩٦٠ م ، ج ٣ ، ص ١٤٩ . حاشية رقم (٩) التي تنص في ص ١٥ . وأول ذكر للتركيبية في جيوش المسلمين يأتي في رواية ابن واصل عن شروط صلاح الدين لعقد الصلح مع الفرنج في عام ٥٨٨/١١٩٢ هـ بعد أخذ صلاح الدين لبعض ما قبل أثناء وجوده ويشاره قلب الأت في فلسطين . انظر : ابن واصل : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٩٥ .
(الترجمة العربية) .

(١٨) جاءت الشواهد التي أدت إلى هروب تاتيكوس قاضية . فآن كومتين تقر أن برهيند هو القائد البيزنطي . ومؤلف الجيستا أكد على الجين الذي اُسم به تاتيكوس . بينما قرر اليرث دكس أن تاتيكوس قد خطط للهروب متى سمحت له الفرصة . وتفسيراته ريمونداجيل لأسباب هروب تاتيكوس تقتصر إلى الفتنة . وليس هناك دليل على أنه تخلى عن أذنه وانفصصة وطرس لبرهيند . ومن الواضح أن ريمونداجيل لم تكن لديه المعلومات الكافية عن هذا الحدث . واعتمد على الإشاعات أو على مصادر معلومات أخرى . وأذنه والصيغة مديتان في قبلية وقد استولى عليها تكتيد من السلاجقة . ومن المحتمل أن Turzol هكذا في الترجمة الإنجليزية (معنى

طرس . انظر :
Krey: The First Crusade, p. 292.
وعلى أية حال . فإن استهزاء ريمونداجيل برعي بأنه يتعبد بها تل مباشر " Turbessel " وقد تخلى تاتيكوس عن الحصار الصليبي لأنطاكية في نهاية فبراير ٩٨٠ م . انظر :
Hagenmeyer, Citr., 230.

في الحقيقة لم يكن رحيل تاتيكوس من المعسكر الصليبي خارج لواء أنطاكية حربيا . يرجع إلى الجين الذي وصفه به المؤرخون اللاتين أو خيانة منه للفرنج . وإذا اضطرت الرجل إلى الرحيل لشعره أنه غير مرغوب فيه بين الفرنج . ولا يتضح ذلك إلا بعرفة فلاصيل رواية آن كومتين - فقد روت المؤرخة البيزنطية أن تاتيكوس رحل عن الفرنج نتيجة لشأن برهيند الذي أخبره سرا بأن القادة الصليبيين قد علموا بأن الامبراطور البيزنطي قد حرى السلطان السلجوقي على الفتك بالصليبيين . ولذلك فهم - الفرنج - قد اتفقوا على الشار من تاتيكوس . وبذلك دفعه برهيند إلى الرحيل . وإذا تفحصنا كل الروايات التي قبلت بشأن هذا الحدث . سنجد أن رواية آن كومتين أحد إقناعها . فأتى تاتيكوس أن يعد شيئا فندوم السلاجقة كما يذكر مؤلف الجيستا . دون أن يعلم به الصليبيين أيضا . ثم كيف يتوى تاتيكوس تستخدم العودة - بعد أن يأتي بالفرنج كما أخبر هو الفرنج - كما يذكر ريمونداجيل في الوقت الذي ترك فيه جميع مساعدته مع الجيش الصليبي في المعسكر الصليبي كدليل على أنه سيعود بالفرنج ! ثم كيف يمكن تاتيكوس حاشا يخشى قدوم الترك وقد لم ريمونداجيل بنفسه شجاعة وحزم الرجل ؟ بلماذا لا يكون وجود تاتيكوس كضابط للإمبراطور البيزنطي مع الفرنج خفة في حيل استنثار برهيند بأنطاكية لنفسه . كما قرر ريمونداجيل من قبل ؟ ومن المؤكد أن تاتيكوس كان سيطالب بأنطاكية حسب اتفاقية القسطنطينية (مايو ٩٧٠ م) التي عقدتها الفرنج مع الامبراطور البيزنطي . لذا تخلف من برهيند . وإذا كان المؤرخون اللاتين قد تحيروا في القادة البيزنطيين . فقد تحفوا واحد من بين حلفائهم وهو أوردووش قتاليس الذي ذكر أنه عندما قسم تاتيكوس تغزيره للإمبراطور البيزنطي . استند الأخير وأخذ طريقه إلى أنطاكية لمساعدة الفرنج . ولم يشته عن الضي في قراره سوى ما أخبره به متيقن كوث بلوا . الذي هرب من المعسكر الصليبي قبل سقوط أنطاكية في أيدي الفرنج بيوم واحد . من أن السلاجقة قدسوا على الفرنج (فأن الامبراطور العودة إلى بلاده لشخصه لما قد يقوم به السلاجقة من مجرم متديا وغير بعيد عنها في بلاد الشام . انظر :
=

الفصل الخامس

المرحلة المتأخرة من حصار أنطاكية

تشديد الحصار

جاءت الآن أخبار بأن قائد الخليفة على رأس جيش كبير من كوروزان Corozan كان يجلب المعونة إلى أنطاكية^(١١). وبعد انعقاد مجلس الحرب في خيمة أوجيسار، صدرت أوامر لرجال المشاة بالدفاع عن المعسكر والفرسان بالخروج لملاقاة القوة الجديدة. وكان السبب في صدور هذا القرار أن الجيشاء وغير اللاتقيين في صفوف المشاة، ربما أظهروا جبناً أكثر مما يظهرون من شجاعة إذا رأوا قوة كبيرة من الأتراك. ووحلت الجماعة التي ستقوم بالحملة تحت جنح الظلام، واختبأت في بعض التلال على بعد فرسخين من المعسكر، بحيث لم يستطع المتاعون عن أنطاكية أن يعلموا برحيلهم. والآن أود أن يستمع من حاولوا أن يحضروا من شأن جيشنا في الماضي، إلى هذا، وليسمعوا فعلاً، حتى إذا فهموا المثل الذي يضربه الرب على رحمته تباية عثا، ساءهم أن يسرعوا بإرضاء الرب بدموع الندم.

فقد زاد الله من حجم الاعدادات التي من الفرسان بحيث بدا أن كل وحدة زادت من أقل من سبعمائة رجل إلى أكثر من ألفين. وبكل تأكيد، فإنه لما يشق على، أن أتحدث عن شجاعة الجيش، الذي كان فرسانه يقتلن أغناس الحرب بكل ابتهاج حتى بدا وكأنهم ينظرون إلى المعركة القادمة كما لو كانت من الألعاب الرياضية. ويجدر بنا هنا أن نلاحظ أن موقع القتال القادم كان بالقرب من مكان يتدفق النهر عند على بعد ميل من المستنقع. وبذلك حالوا دون استخدام الأتراك لحركات الإنشغال المعتادة والتي كانت تعتمد على نشر قواتهم. وفضلاً عن ذلك فإن الرب الذي قدم لنا الميزات السابقة الذكر، قد أمدنا الآن بسنة أودية متاخمة

تستطيع قواتنا أن تتحرك فيها إلى المعركة . وهكذا ، ففي خلال ساعة كنا قد
زحفنا وأحطنا الميدان . وما إن سطعت الشمس على أسلحتنا ودروعنا حتى بدأنا
المعركة وجائنا يتدفعون إلى الأمام . بينما كان الأتراك يتحركون جبنة وذخايبا .
ويطلقون سهامهم ويتراجعون ببطء .^{١٢١}

ومع ذلك ، فقد تولت بقواتنا خسائر فادحة ، حتى دفعت بالخط الأول من
الأتراك إلى تشكيلات المؤخرة . وقد أخبرنا الذين تركوا مراقبتهم فيما بعد ، أن
كان هناك على الأقل ثمانية وعشرين ألفا من الفرسان الأتراك في هذا اللقاء .
وعندما اختلطت خطوط الأعداء في النهاية على الفرجة للرب . واندفعوا إلى
الأمام . وفي الحال قام الرب الحاضر أبدا ، القوي القدير في المعارك ، حتى أبناء
وأهل الوثنيين^{١٢٢} . بعد ذلك طاردهم الفرجة عشرة أميال تقريبا من مكان
المعركة إلى قلعتهم شديدة التحصين . ولدى رؤية هذا السيل الحارث قام من كان
بالقلعة بإحراقها ولأدوا بالفرار^{١٢٣} . وأحدثت هذه النتيجة ابتهاجا وغبطة في
المعسكر ، لأننا اعتبرنا أن إحراق القلعة نصر آخر .

وفي نفس الوقت شب القتال بلا حياط في كل مكان باتجاه أنطاكية ، لأن
أعدائنا كانوا يخططون للقيام بهجوم ذي شعبتين - إحداهما من المحاصرين
بداخل أنطاكية^١ ، والأخرى من القوات المساعدة التي لم تكن متوقعة . ولم
يعاب الرب طرقا على الآخر ، وحارب مع المشاة بينما كان يتسلم للفرسان بحيث
لم يكن الانتصار الذي أحرزوه المشاة على المحاصرين أقل قدرا من صد الفرسان
للمعزوات . وبعد أن كسبنا المعركة وفزنا بالغنائم ، حملنا رموس القلعة إلى
المعسكر ، وعلقتها على أعصدة كمنذرة باثة لحالة حلفائهم الأتراك ، وما ينتظر
المحاصرين من مصائب . والآن حين نتأمل قاتنا نستنتج أن ذلك كان أمر الرب
لأن الأتراك كانوا قد أخفقوا بنا العار من قبل ، حينما غرسيوا من راية يوم
المباركة . التي استولوا عليها . في الأرض . وهكذا قدر الله أن رؤية رموس
الأصدقاء التي لا حياة فيها والمحمولة على عصى مدينة . شجع المدافعين في
أنطاكية من معايرتنا بعد ذلك^{١٢٤} .

كان سفراء ملك مصر موجودين أثناء هذه الأحداث ، وعندما رأوا المعجزات
التي صنعها الرب من خلال عبيده ، أنشأوا على يسوع . ابن العذراء . مريم . الذي
دأب من خلال أولئك الشحاذين التعساء تحت قدمه أقوى الطغاة^{١٢٥} . وتضلا عن
ذلك . فقد وعدوا بصداقتهم ومعاملتهم الطيبة . وذكروا الأعمال الطيبة التي يقوم
بها منكم للمسيحيين المصريين ولحجاجنا . وبالتالي فإن مبعوثينا المكلفين
بالدخول في صلح ودي وحلوا معهم .

وقد تزامنت هذه الأحداث مع قرار أمرائنا بتحصين منطقة على التل تشرق
على مخيمات يوهيشت . بحيث يكن فيها إحياط أي هجمات معادية محتملة على
مخيمائنا . وعند اكتمال هذا العمل . ثفوت تحصينائنا حتى أصبحنا ، من كافة
الشواحي . مدينة منطقة هي نتاج العمل الجاد والتضاريس الطبيعية . وهكذا ، فإن
هذه القلعة الجديدة الواقعة إلى الشرق منا ، بالإضافة إلى أسوار أنطاكية .
والمنشع القريب الذي يحبسها . كانت تحرس معسكرنا . وتحمي من هجمات
المحاصرين على المناطق القريبة من الأبواب . بالإضافة إلى ذلك ، فقد كان هناك
نهر يتدفق إلى الغرب . كما كان هناك سور قديم يتلوى أسفل الجبل إلى النهر .
كما أن خطة تقوية موقع آخر على الجبل الصغير الواقع أعلى الجسر التركي ،
لانت قبولا عاما ولكن آلات الحصار التي صنعت في المعسكر ثبت أنها غير ذات
فائدة .

وفي الشهر الخامس من الحصار . وبما كانت سقنا التي تحمل المؤن راسية
في الميناء . بدأ العاصريون بسدود الطريق إلى البحر وقتلوا أطقم
التصوين^{١٢٦} . وفي أول الأمر ، كان الأتراك يهددوننا دائما ، وكان السبب الأكبر
في ذلك هو عدم ميل قاداتنا إلى الرد عليهم بأعمال ثأرية . فجرأهم ذلك .
للمواجهة هذه الأخطار . قررنا في النهاية أن نحصن المعسكر بالقرب من الجسر .
ونظرا لشغب جزء كبير من قواتنا في الميناء . فقد تم اختيار يوهيشت والكورت
لأغراض عودة التصيين . وأيضا لنقل المعاول والأدوات الأخرى اللازمة لبناء القلعة
الجديدة . وعندما علم المحاصرون بنية يوهيشت . بدأوا هجماتهم المعتادة .
لقد قدمت قواتنا بدورها بشهورة ودون نظام ، فتمسرت وانهمزت بشكل مشين .

وفي اليوم الرابع ، وعندما كان الكونت ويوهيند عائدتين مع جمع كبير من
الجناء ، وهم يظنون أنهم في أمان في هذه المعصية ، كان الأتراك يتجسسون
عليهم . ولكن لماذا تطيل في سره هذه القصة ؟ لقد جرى قتال ، وهربت قواتنا
وخسرنا حوالي ثلاثمائة رجل ، ولا أحد يعرف كم فقدنا من الفئانم والأسلحة .
وبينما كانوا يقتلوننا كالمواشي في الجبال والصحير ، تحركت المعونة القادمة من
المعسكر لملاقاة الأتراك الذين توقفوا عن قتل الهاريين . يا إلهي ، يارب ، لماذا
هذه المحن ؟ إن قواتنا داخل المعسكر وخارجه ممن كانوا يستمعون بخدمات أعظم
قائدين في جيشك ، ريموند ويوهيند ، تغلب عليهم الأعداء ، وانهمروا . هل تهرب
إلى المعسكر أم تهرب حراس المعسكر إلينا ؟ تم أيها الرب ساعدنا قهيباً
لأنك ^{١٨١} . ولو أن أخيار هزيمة الأمراء وصلت إلى المعسكر ، أو لو أننا علنا
بهزيمة كتائب الجيش لهربنا هرباً جماعياً . وفي اللحظة المناسبة ، ساعدنا الرب ،
وبث الشجاعة في قلوب الذين رجعهم من قبل ، فجعلهم يتقدمون إلى أول سفوف
المعركة .

وعندما رأى ياغي سيان ، قائد أنطاكية ^{١٨٢} ، أممعتنا المروقة وانتصاره ،
فضلا عن اندفاع قلة من المسيحيين ، أرسل فرسانه ومشاته من المدينة . ولما كان
واثقاً من نجاحهم ، فإنه أمر بإغلاق أبواب أنطاكية خلفهم ، فكأنه كان يطلب من
جنوده أن يتصرفوا في القتال أو يهلكوا . وفي نفس الوقت فإن الفلسطينيين حسب
الأوامر الصادرة إليهم ، تحركوا إلى الأمام ، تدريجياً ، إلا أن الأتراك راحوا يجرئون
هنا وهناك ويطلقون السهام ، ويهاجمون رجالنا بجرأة . ولم توقف هذه المناورات
الشركية رجالنا ، ورغم أنهم عاتوا من تلك المناورات فإنهم انتظروا الوقت المناسب
لشن هجوم كبير . وكانت الدروع المنهارة والفصول الصاعدة تجعل المرء يعتقد
بأن رحمة الرب قريبة .

وعندما حان وقت المواجهة رجع فارمن بروفسالي نبيل جداً ، وهو إيزوارة
أوف جاليجيز ، يصحبه مائة وخمسون من المشاة . وطلب العون من الرب ، وحث
رفاقه على التحرك صائحاً : « اجسروا باجدة المسيح ! » ^{١٨٣} وألقى بنفسه على

الأتراك . ومع اندفاع قواتنا إلى الهجوم ، تحطمت غطسة العدو . كان الباب
مغلقاً ، والجسر ضيقاً ، والنهر متسعاً ^{١٨٤} . فساداً بعد ؟ لقد سحق الأتراك
المزروعون سحقاً ، أو قتلوا أو حطمتهم الأحجار في النهر . فلم يكن هناك
هرب . وكان يمكن أن يمر اليوم بسلام على أنطاكية ، لولا أن ياغي سيان فتح
الباب على مصراعيه . ولقد سمعت بنفسى ، من كثيرين من المشاركين في
هذا اليوم ، أنهم أوقعوا عشرين شخصاً أو أكثر من الأتراك في النهر مع سواد
الجسر . وهناك برز جردة فري بشكل عظيم . حيث سد الطريق على الأتراك
المزاحمين ليدخلوا من الباب ، وأجبرهم على الإنقسام إلى صفتين وهم يصعدون
المرتفعات .

وبعد قداس ديش ، سار المتصرفون السعداء عائدتين إلى المعسكر ، ومعهم
فئانم عظيمة وخيل كثيرة : آه أيها الأخوة المسيحيون يا من تبعتمونا للرفاء
بشركم . كم كنا نود لو أنكم شهدتم هذا الحدث الجدير بالذكر ، فقد أسرع فارمن ،
خوفاً من الموت ، بإلقاء نفسه في أعناق النهر فتخطفه زملاؤه الأتراك ، وألقوا به
من على حصانه . وغرق في النهر مع الطغمة التي تعلقت به ^{١٨٥} . لقد كان في
رؤيتنا للجوع العائدة مكافأة على أحوال ذلك اللقاء . فراح البعض يجرئون هنا
وهناك بين الخيام على خيل عربية وهم يعرضون على أصدقائهم كتوبهم الجديدة ،
وأخذ البعض الآخر ، وهم في حلتين أو ثلاث من الحرير ، يمدحون الرب ، الذي
أنعم عليهم بالنصر والعطايا . بينما راح آخرون ، وقد تسربلوا بثلاثة دروع أو
أربعة ، يعرضون تلك التذكارات لاتصايرهم . وبينما كان يمكنهم إقتاعتها بهذه
العلامات وغيرها من الفئانم الأخرى بعظمة قدراتهم القتالية ، فإنه لم يكن في
وسعهم إعطائنا أي معلومات دقيقة عن عدد الموتى ، لأن إبادة الأتراك انتهت ليلاً
وبالتالي فإن رؤوس القتلى من الأعداء لم تجلب إلى المعسكر .

ومع ذلك فقد اكتشفت في اليوم التالي في موقع كانت ستقام عليه
محصنات أمام حرمهم . اكتشفت جثث بعض أعضائنا في خندق قريب من أحد
الجيال استخدمه المسلمون كمقبرة . وأثارت رؤية فئانم الأتراك ، ورجالنا الفقراء ،

فانتبهوا حرمة القبر ، فنبشوها وأخرجوا جثث الأتراك ، ولم يعد هناك شك في حجم الانتصار . فقد كان عدد الموتى نحو ألف وخمسة وثلثون ذكر من دفنوا بالمدينة ، ولا من جرفتهم مياه النهر . ولكن الجثث أقيمت في نهر العاصي حتى لاتعوق الروائع التي لا تطاق العمل في بناء القلعة .

ولقد كان البحارة الذين انهزموا وأصيبوا في هروب الكونت وبوهيمند ، مازالوا في رعب وتشككون في النتيجة . ولكنهم بدأوا يمجذون الرب ، كما لو أن رؤية العدد الكبير من الموتى قد بثت فيهم القوة ، فإلله دائماً يؤدب أبناء وشجعهم . وهكذا شاء الله أن الأتراك الذين قتلوا حاملو الطعام على طول الساحل وشطاف النهر وتركهم للوحوش والجوارح ، صاروا يدبرهم طعاماً في ذلك المكان لنفس الوحوش ونفس الجوارح^(١١٢) .

وبعد تكريس الانتصار وما صحبه من احتفالات واكتمال العمل في القلعة ، حوصرت أنطاكية من الشمال والجنوب . ثم ثار الجدل حول اختيار أمير ليكون حارساً على القلعة الجديدة ، حيث أن المسائل الخاصة بالجماعة تكون موضع استخفاف في أغلب الأحوال ، لأن الجميع يعتقدون أن آخرين سيقومون بذلك العمل^(١١٣) . وبما طلب بعض الأمراء من الراعيين في المال أصوات بيلاتهم للحصول على الوظيفة . انتزع الكونت - خلافا لرغبات حاشيته - زمام الأمور من ناحية لتبرئة صاحبه من تهمة التراخي واليأس ، ومن ناحية أخرى ، ليبين طريق القوة والحكمة للخاملين^(١١٤) .

وبهذا الصيف التالي . كان ريموند قد أخضع المرح الحظير والضريل ، وبلغ به النصر خلال الشتاء . قبل أنه لا يميل إلى القتال أو العطاء . ورغم أنه أدى خدمات عظيمة ، فقد اعتبر شخصاً لا أهمية له ، لأن الناس كانوا يعتقدون أنه قادور على بذل المزيد من الجهد . ولقد تحصل عداوة مرجعها الشك في قوته المسيحية حتى كاد أن يفرق عن البروتساليين . في هذه الأثناء لم يعر الكونت هذه الإهانات أدنى اهتمام ، ثقة منه في أن الأنطاكيين المحاصرين ، وقد انهزم

بهم . سيلوذون بالفرار . ولكن ، على العكس من ذلك ، أحاط به أعداؤه ذات صباح عند بزوغ الفجر .

وقد تجلّت معجزة مجرى تدل على حماية الرب ، عندما تمكن ستون من رجالنا من صد هجمة قام بها سبعة آلاف من المسلمين . وأروع من ذلك سبلاً من الأمطار أغرق في اليوم السابق الخندق المحيط بالقلعة وملاء بالماء . وهكذا ، فلم يكن هناك أي عقبة تعوق حركة الأعداء إلا قوة الرب . ومع ذلك ، فإني أعتقد أن ذلك لايعنى أن تتجاهل الشجاعة العظيمة لكثير من الفرسان الذين كانوا يقومون بحراسة الجسر . فانهزلوا ، ووجدوا أنفسهم عاجزين عن الهرب ، حيث الساقة يبتهم وبين قلعتهم مرمى سهم . فاندفع هؤلاء الفرسان إلى الأمام في مواجهة المسلمين في تشكيل دائري نحو ناصية بيت قريب ، حيث واجهوا بشجاعة وحمود ، الهجوم المحيط بهم في شكل سيل منهزم من السهام وسحب هائلة من الصخر .

في الوقت نفسه جذبت جلبة القتال قراتنا ، وهكذا أنقذت القلعة من الذين هاجموها . ومع ذلك فعلى الرغم من أن الأتراك توقفوا عن اندفاعهم عندما رأوا اقتراب التعزيزات ، وتم القضاء على من كانوا في المؤخرة ، رغم أنهم كانوا على مقربة من جسرهم . وتم إصلاح خندق القلعة وأسوارها مرة أخرى ، بحيث يمكن لحاملي الضمام أن يعودوا بأمان من الميناء . وبالتالي ، هذا الغضب الذي كان قد حل بالكونت إلى حد أن نادوه باسم « أبو جيشنا والمدافع عنه » وفي أعقاب هذه الأحداث ذاع صيت ريموند لأنه واجه هجمات العدو وحيداً . وبعد مد طريق الجسر وباب الجسر ، قام الأتراك بطلعات من باب آخر يقع في الجنوب وبالضرب من النهر . ومن هنا قادوا خبرتهم إلى ركن . كفل لهم مرعى راتعاً بين الجبال والنهر .

وبعد الاستطلاعات وتحديد الوقت ، دار بعض رجالنا حول المدينة بغير حيل وعمر ، بينما خاض آخرون في النهر . وقاد هذا الفريق المشترك ألفي حصان بعيداً عن المرعى . ولم يكن دخل في هذا العدد اليأس وإنائها التي أشرقت .

(٢٠) القصور بكونستانطين Corozzi هو إقليم الرميل من العراق . وكانت هذه المنطقة في وقت من الأوقات هي الجزء الشمالي من إيران المعروف بخراسان . ونعتقد أن المؤرخ يستخدم هذه الكلمة ليعتد بلاد الرومانيين كما جاء في إنجيل متى .

انظر : Matthew, 11 : 21

ويشير ريمونداجيل إلى زمران صاحب حلب .

- في الحقيقة إن التسمية الأمر هنا على ريمونداجيل ولم يفرق بين زمران بين تسمى صاحب حلب وبين كيريقا أتاتيك الرميل الذي سيأتي نتيجة أنطاكية بعد أن سقطت في أيدي الفرنج . أما عن محاولة زمران مضاعفة أنطاكية فتأتي كرد الفعل الإسلامي الثاني بعد محاولة شهابه وثاق من قبل . وقد خرج زمران من حلب في نهاية فبراير ٩٨٠ م / آخر شهر ٤٩٢ هـ بصحبة صفوان بن أرتقي . وكالعادة جاء رد الفعل الإسلامي هذه المرة أيضا متأخرا وعنلا . فلو أن زمران كان تناسى علاقاته مع باغري سيان وأخيه دقاق وهاجم الصليبيين أثناء أزمته الاقتصادية لحملهم على فك الحصار عن المدينة . انظر :

Duc de Castries. La Conquête de la Terre Sainte Par Les Croisés, Paris, 1973.

والعبارة التي بدأ بها المؤرخ حديثه في هذه الفقرة (جاءت الآن أخبار) . تؤكد بأن مؤرخنا لم يكن يعرف من تفاصيل هذه الأخبار سوى تقدم زمران نتيجة أنطاكية . ربما كان مؤلف الحقت تابع بروهنتد يعلم كل التفاصيل . بما يدل على أن وظيفة ريمونداجيل لدى سيده كانت تولد كانت دينة بحثة على الأقل حتى الآن . لقد كانت خطة زمران أن يهاجم الفرنج فجأة بينما يهاجم باغري سيان المعسكر الصليبي من الخلف وبذلك يقع الفرنج بين شقي الرمح . إلا أن زمرانيس الفرنج من السريان والأرمن قد أفسدوا بهذه الخطة إنني بروهنتد التي استعد قاماً . انظر :

Gesta Francorum, p. 35; William of Tyre, vol. I, pp. 224 - 226

(الترجمة العربية)

(٢١) جاء وصف ريمونداجيل المعركة مشيراً للمعركة ولم يساعد على فهم الأحداث . وقد لاحظ أن السلاجقة لم يتمكنوا من القيام بمعركة الانتقام التي كانت تؤدي إلى هلاك الفرنج لو قت . وفي هذه المعركة . حصر الفرنج قوات زمران في المنطقة الضيقة بين بحيرة أنطاكية ونهر العاصي .

وجدير بالذكر أن الكثير من اثاث البغال كانت قد تعرضت للسرققة في وقت سابق في الطريق من البحر إلى أنطاكية . وذلك على يد الأتراك . وبعد استرداد هذه الحيوانات الآن أعيدت إلى أصحابها بعد التعرف عليها .

بعد ذلك مباشرة حصن تانكرد ديراً يقع على الجانب الآخر من النهر ونظراً لأهميته في مد طريق المدينة أعطى كورت تيرلوز لتانكرد مائة مارك فضي كما أسهم الأمراء الآخرون كل حسب قدرته . وهكذا فإنه يستدعي أن أذكر أننا رغم كوننا أقل عدداً فإن نعمة الله جعلتنا أقوى من العدو كثيراً . وفي ذلك الوقت كان حملة الأخبار الذين يصلون إلينا يبلغون عن تعزيزات للعدو . والواقع أن في الشائعات لم تنتشر فقط من عند الأرمن واليونانيين ، بل أيضا من المتسبين في أنطاكية . وألفت نظركم إلى أن الأتراك قل احتلوا أنطاكية قبل أربعة عشر عاماً . ولعدم وجود خدم فإنهم استخدموا الأرمن واليونانيين لذلك الغرض . وزوجهم من نسائهم . ومع ذلك فقد كانوا يميلون إلى الفرار إلىنة بالحيلة والأسلحة بمجرد أن يتاح لهم الهرب . وهرب كثير من الصليبيين الجيئة . مع التجار الأرمن عندما انتشرت هذه الشائعات ، ولكن من ناحية أخرى ، فإن الفرسان الأقوياء من قلاع عديدة عادوا وجلبوا أسلحتهم وأسلحوها وعدلوا من شأنهم . وعندما اختفى الجيوش المتخادد بدرجة كافية أو عادت الجزاء . التي كانت تملأ في كل وقت وزمن لمواجهة كل الأخطار مع الأخوة ومن أجلهم ، فإن واحداً من الأشرار المعاصرين وثق في أمرائنا إلى حد أنه كان سيسلمنا أنطاكية (١٦٦) .

* * * * *

(٣) الرب المخلص أبدا ، القوي القدير في العسائر ، هـ . هذه العبارة انتسبها المؤرخ من العهد القديم ، أنظر :
Psalm 25 - 8.

(٤) يتحدث المؤرخ هنا عن استيلاء الفرنج على حارم بعد هزيمة رمضان - وحاولت تقع إلى الشرق من أنطاكية .

- وتقع حارم على بعد ٦٦ ميلا من أنطاكية كما جاء في معجم البلدان . وكان استيلاء الفرنج عليها يعتبر تهديفا مباشرا منهم لحلب . وكانت هزيمة قزاق ورمضان ومقروط حارم في أيدي الصليبيين في ٩ فبراير ١٠٩٨ م / ٤ ربيع أول ٤٩١ هـ انظر : باقوت الحصري : معجم البلدان - ٤ جده ولبوس - ليزج ١٨٦٦ - ١٨٧٠ م ج ٢ ، ص ١٨٤ . راجع أيضا
Albert de Auz, pp. 381 - 382.
(الترجمة العربية) .

(٥) يمارس المؤرخ هنا فكرة العدالة الخيالية حين يجعل الرب يرغب في حشر أعدائ الأتراك وتثبيت رؤوسهم في أطراف العصي كعقاب لهم على قتلهم براءة مريم الماركة

(٦) المقصود بذلك حصر هر الأفضل شاهنشاه ، وزير مصر . وكان الفاطميون يرغبون في مشاركة اللاتين ضد أعدائهم الأتراك . وكان الامبراطور ألكسيس ميلا إلى الفراعنة وحث الصليبيين على التعاون معهم . ولكن الخليفة اقترح على الصليبيين أن تقيم بلاد الشام السلجوقية بين اللاتين والفراعنة . ورفض اللاتين هذا المشروع لأنهم كانوا يريدون إلى أخذ فلسطين . انظر :

Hammond John. The Caliphs and the Arab States. A History of the Crusades, 1, 1955, pp. 81 - 98.

- في الحقيقة تعبر هذه الرواية من أهم القضايا التي يتطرحها تاريخ الحملة الصليبية الأولى ، والتي لازالت تحتاج إلى قوله فصل فيها . وقد سالت هذه القضية في رسالتي للباحثين إلا أن الظروف حالت دون طبعها حتى الآن . لذا كنت بطبيعة هذه المعالجة في رسالتي للدكتوراه ، إلا أن فرصة ترجمة تاريخ ريتوناجيل - أحد شاعري العيان لأحداث الحملة الصليبية الأولى بكل دقائقها - تقتضى مناقشة هذه القضية . خاصة وأن ماقوم به الآن في سبيله إلى أن ينشر خلال فترة وجيزة . وطالما أننا نتعامل - ونحن نعالج تاريخ الحملة الصليبية الأولى - مع مختلف القوى التي شهدنا الصراع الصليبي الإسلامي من بيزنطيين وأرمن وسلاجقة وعرب ولاتين . وطالما أننا نتعامل انضمام إلى الحقيقة التاريخية كاملة ، دون محاولة تحريك من هذه الأطراف على حساب

طرف آخر . فيجب عرض جوانب هذه القضية - الأمر الذي تشلت فيه الترجمة الإنجليزية - وما عن عمد - حتى تتبين الحقيقة كاملة . لكل المؤرخين الحديثين أخذوا بما ذهب إليه هاملتون جيه وهم من ذلك مثله . سلموا بما جاء في روايات المؤرخين اللاتين المعاصرين للحملة الصليبية ، دون تمحيص ودراسة لتعرض هؤلاء .

فقد أيد هؤلاء الجسدا رواية ريتوناجيل عن وجود رسل الأفضل الفاطمي في المعسكر الصليبي . كما ذكر ذلك كل من سيلين كورت بلوا (في رسالته التي بحث فيها إلى زوجته أديلا والتي كتبها خارج أسوار أنطاكية بتاريخ ٢٩ مارس ١٠٩٨ م) وأسلم راجب ومرت (في رسالته إلى متاسيس أسقف ريفر والتي كتبها في يوليو ١٠٩٨ م) . ولا يبعد ما أورده هؤلاء أن الأفضل قد طلب من الصليبيين عدم التعرض لأهل بلاد الشام وبعض بذلك فلسطين . إلا أن رواية ابن الأثير قد أعطت مدى أوسع للمؤرخين الحديثين . فإذا كانت روايات اللاتين تشهد العيان قد أدتهم بتصف البرهان على ما ذكره هاملتون جيه . وهو وجود رسل الفراعنة في المعسكر الصليبي خارج أنطاكية ، فقد أدتهم رواية ابن الأثير بتفاصيل إنفاقية عشت بين الطرفين . وهي التماس بلاد الشام بينهما . ثم عادت المصادر اللاتينية لتؤكد التماس بين الطرفين حين ذكرت عودة السفارة الفاطمية إلى مصر بتسمية بعض الرسل من اللاتين ، ربما لإتمام الاتفاق في القاهرة . وكل ذلك يدين الوزير الفاطمي الأفضل - رئيس الخليفة السعدي - وهو وزير تقريش في يده أجل والمقد في الدولة الفاطمية . ربما يدين الفراعنة بصفة عامة على موقفهم المتخاذل تجاه المصالح الإسلامي العام . إلا أن ذلك لايعتبر نهاية المطاف في هذه القضية . وتحليل النصوص والأحداث يشهد غير ذلك . فلم نزل في أي من المصادر اللاتينية - أو الإسلامية - أية نصوص محددة لانفاقية الأفضل مع اللاتين . وإذا كانت هناك اتفاقية محددة البتة كما أورده ابن الأثير ، لكان ريتوناجيل هو الذي وقعها مع الفراعنة . وهو الذي تولى أمور الفرنج منذ معركة حارم وحتى سقوط أنطاكية في أيديهم . ولكن أوردها بشرطه الخاص - مؤلف الجسدا - حتى يبرز دور سيده في الأحداث . أما ابن الأثير فهو يكتب عن أحداث لم يشاهدها ، ولم يكن معاصرا لها (ولد ابن الأثير في عام ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) . كما أن روايته تسم بالمتطراب ، وتقدم منها أن اتصال الفراعنة بالفرنج قد تم قبل خروج اللاتين من أوربا . وقيل أن أصحاب مصر من العلويين لما وأوا قبة الدولة السلجوقية وتكتنبا

واستبلاها على بلاد الشام إلى غزة ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى فتقدم ودخل
 الإسكندرية (أنظر) إلى مصر وحصرها فدخلوها وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج
 إلى الشام ويملكوه ويكون بينهم وبين المسلمين والله أعلم . كما يبدأ عبارته يا بشت
 عدم تأكده منها . وقيل . وكذلك فإنه يتهيأ بما يشبه ذلك . والله أعلم . كما أنه
 لم يحدد صراحة إقتسام الشام بين الفرنج والقواطم بل . ويملكوه ويكون بينهم وبين
 المسلمين . والمسلمين هنا تعنى السلاجقة والأمراء العرب في طرابلس وشيخوخة
 والقراطم أيضا . وإذا سلمنا بوجود رسل الأتقل لدى الفرنج ، الذي جعل ولیم المصوني
 (الذي لم يكن شاهد عيان إلا للاحداث منذ عام ١١٦٧ م / ٥٦٣ هـ فقط) يعتقد في
 فرج وسرور القواطم لما أتم بالسلاجقة على أيدي الفرنج ، فإن التفسير الوحيد لوجود
 هؤلاء الرسل لدى الفرنج هو أن الأتقل - سلفه في ذلك مثل كل حكام الشرق الأدنى
 الاسلامي في ذلك الوقت - قد خدع ، ولم يفهم طبيعة الحركة الصليبية والهدف من
 وجود الصليبيين في بلاد الشام . وربما اعتقد أن الحملة الأولى ما هي إلا مجرد حملة
 بيزنطية أخرى لصد المد السلجوقي . إلى جانب ذلك فإن الفرنج استغلوا عدم وراثة
 القواطم بظيفة حيلتهم على بلاد الشام . وعثروا إلى دفاق ملك دمشق بتهمته أنه
 لا يستطيع لهم في أملاكه ، وأن هدفهم هو استعادة أملاك بيزنطة بالشام ، حتى يثنوه
 عن لمحة أنطاكية . كما أرسلوا رسلهم ملك حلب لمعادته ، ليخبروا للنج أنطاكية .
 كما ذكر ابن الأثير نفسه . وكان الفرنج قد كاثروا صاحب حلب ودمشق بأنما لا تتعد
 غير البلاد التي كانت بيد الروم لا تطلب سواها مكرأ منهم وخديعة حتى لا يساعدوا
 أنطاكية . وما من شك أن مراسلات الفرنج إلى أمراء وقادة المسلمين تعد عملاً
 سياسياً ناجحاً ساعدهم على حتر مقاصدهم وأهدافهم الحقيقية ، الأمر الذي أدى إلى
 خديعة بعض القوي في المنطقة ، حتى استولوا على أنطاكية . ولما احتفلوا بها
 لأنفسهم ، اتضحت الصورة للأفضل ، الذي سارع بالاستيلاء على بيت المقدس من
 الأرائقة ثواب تنش فيه . كما أن موقف الأفضل من الحملة الأولى وتصديه لها في
 عسقلان فيما بعد ، ثم حملاته ضد مملكة بيت المقدس المتراخية ، وتصادمه معهم في
 حملات القرملة الثلاث توضح عدم تراخيه في التعدي للوجود الصليبي قدر استطاعته .
 ونوضح أن الاشتباك في الصلح الاسلامي وعدم تضام القوي الاسلامية في المنطقة هو
 السبب الرئيسي في النجاحات التي حققها صليبي الحملة الأولى . ومن كل ما سبق =

لا يستطيع الأخذ بما يذهب اليه كثير من المؤرخين الحديثين بأطلسان تام . انظر :
 ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ١١٣ - ١١٤ . راجع أيضا :
 Gesta Francorum, p. 37. Epistolae, ed. Hagenmeyer, pp. 149 - 152, 156 - 160; William of Tyre, History of Deeds, vol. 1, pp. 222 - 224. C.F. also,
 Runciman, op. cit., vol. 1, p. 229.
 راجع أيضا : سعيد عاشور: شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية ، مجلة
 الجمعية التاريخية المصرية ، المجلد ١٦ ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ١٩ وما بعدها ، حين
 عطية : إمارة أنطاكية ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(الترجمة العربية) .

(٧) تقع القلعة التي اقترح بناؤها في مواجهة باب البحر . والأسطول الذي يشير إليه المتروخ
 هو الذي حتر على متنه بعض الحجاج (الصليبيين) الانجليز والايطاليين . ولم
 يتفق المؤرخون الحديثون حول مشكلة حضور قائد الأسطول المدعو إدجار ألتنج
 Bulgar Adelung .

(٨) " تم أيها الرب ، ساعدنا فجيئنا لإسكندرية " . تستخدم هذه العبارة عادة للتأثير . انظر :
 Psalm. 34 : 2.
 لم تكن رواية ويونانجيل عن نصب الكمين لقوات كروت تولوز ويوهيند موضحة . وقد
 أحجم المتروخ عن التيام بوصفها بيتا يستخدمها كوسيلة لنقل بها إليها العفرم الكنسية
 التي درسها هو . وقد كانت مهينة كروت تولوز ويوهيند قد وقعت في ٩ مارس
 ١٠٩٨ م .

انظر :
 Hagenmeyer, Chr., 242.
 ومن المحتمل أن الكمين قد نصب للفرنج في ٩ مارس . انظر :
 Ibid., 243.

(٩) كان ياغي حيان السلجوقي حاكما لأنطاكية (١٠٨٧ - ١٠٩٨ م) . ولم يكن في
 استطاعة القادة الأتراك ترجيد قواتهم . ولم تفلح جهود رسلان ابن تنش المعوقة في فك
 الحصار الصليبي حول أنطاكية .

(١٠) كلمة " Eiz " - كلمة عامة في الشعر . وقد ترجمناها ترجمة غير حرفية لأننا نعتقد أن
 كلمة " إهجوم " Charge " تعبر عن معنى كلمة Eiz في هذه الفقرة .

(١١) من المحتمل أن الموزع قام بالتهاون التعليقات على أخطار « الطريق الرابع والصعوبات التي تشكل الطريق الضيق » من الجبل حتى أو الجبل لوقا . انظر :

Mathew. 7 : 13 ; Luke. 13 : 24.

(١٢) يستند ريمونداجيل هنا لشرق الأتراك . والباء العسيفة هي رموز عامة للزمن . انتبهها الموزع من مزامير داور (العهد القديم) .

انظر : Psalm. 106 : 24.

(١٣) لدينا هنا مثال آخر للعناية الخيالية . وفي هذه المرة أصبح قنلى السلاجقة طعاما للوحوش والطيور التي تكثرت وليتها السابقة من تحت الفسرج الذين قتلهم السلاجقة . وهذا مقتبس من سفر إرميا (العهد القديم) .

انظر : Jeremiah. 16 : 4.

(١٤) أطلق الصليبيون على الحصن الجديد اسم قلعة المنبر La Mahomerie . وقد قام كل من جاستون دي برن Gaston de Béarn وبيترس أوف كاستيلون Peter of Castillon وريموند أوف تورين Raymond of Turenne ووليام أوف مونشيليه William of Montpellier وجرمييه أوف لاسنورز Gouffier of Lastours ووليام أوف سابران William of Sabran بمساعدة كونت تولوز في حماية الحصن . وعلبت الأحجار من متبرة المنبلين لنا - الحصن . وتم العمل فيه حوالي ٢ مارس ١٠٩٨ م .

- واسم قلعة المنبر Mahomerie لا مشتق من كلمة فرنسية قديمة تعني مسجد Mosque . ولأن ريموند كونت تولوز هو صاحب فكرة بناء هذه القلعة . وهو الذي تولى أمر الدفاع عنها فقد صارت تحمل اسم قلعة ريموند .

انظر : Runciman. op. cit., vol. 1, p. 228.

(الترجمة العربية) .

(١٥) استغل ريمونداجيل سيده كونت تولوز ليستعرض مملوكاته عن شروط الكسل والشح . والعزفة إلى طريق القوة والحكمة . وعن تبعات الشح . انظر :

St. Ambrose. De officiis. in MPL. 16, Col. 137 - 138.

(١٦) شيد الصليبيون قلعة في المكان الذي كان به دير القديس جسدوج . وقرّر المجلس الذي عقده الفرع في ٥ أبريل ١٠٩٨ م بناء هذه القلعة وإثباتا على أن يدافعوا لشكرية

عن أرمسانة مارك فنيض لحماية القلعة . وقد ساهم كونت تولوز به مع هذا المبلغ . وإشارة الموزع إلى الشك في ذلك وثق في أمرائنا لها أشكال متعددة . فيخلق المخطوط GIBER مع النسخة A ولا يستخدم تعبير « خلال برميند » « Per Baimundum » . ويستخدم المخطوط B هذا التعبير . حيث ورد في هذا المخطوط كما يلي : " quidam de Turestis qui erat per Baimundum in Civitate principibus mandavit nostris " . « شل أحد أتراك المدينة ، بواسطة برميند ، وكان سيهد إلى أمرائنا بالمدينة » . وهذه الجملة ليست واضحة وتدفعنا إلى الاعتقاد بأنه قد تم إتمام بعض الألفاظ في النص .

الفصل السادس الاستيلاء على أنطاكية

في أعقاب اجتماع مشترك أرسل الأمراء يوهيمند وجوه قري وأيضاً كونت
الفلاتر للتحقق من هذا العرض . وعند وصولهم إلى أحد تلال أنطاكية في
منتصف الليل أتى رسول من الشركي الحائن وأمرهم : لا تتحركوا حتى ير أمامكم
مصبح .^(١١)

وكان من المعتاد أن يمر ثلاثة رجال أو أربعة حاملين المصابيح بحذاء
الأسوار ، لا يقاط الخراس وتببهم . وعندما مرت المصابيح ، وضع رجالنا
الرايضون في ظلال الأسوار سناً وبدأوا يتسلقون . واعتلى السيد قرعبي يدعى
فونجور . وهو بلا شك شقيق يوا بطريرك أوف شارتر . بلا خوف وتبعه من كتب
كونت الفلاتر الذي أمر يوهيمند والدوق بأن يتبعاه .^(١٢) وعلى أية حال ، انقطع
السلم في تمجلمهم الصخرة ، إلا أن الذين كانوا قد وصلوا إلى أعلى السور فعلاً
نزلوا داخل المدينة وفتحوا أحد الأبواب بالقوة ، ودخل الصليبيون بهذه الطريقة ،
وقتلوا كل من لا تقوه . وعند الفجر صاحوا صيحات مرعبة جداً حتى أن المدينة
كلها اضطربت وبكى الأطفال والنساء .

وداح بعض المسيحيين في قلعة ريثوند القريبة ، وقد أيقظتهم الجلبة
يرددون : لقد جاءت تعزيزات إلى العدو .
ورد عليهم آخرون : إن مبرعات الأعم ليست كأموات الترح .

ومع بزوغ الفجر رفرت أعلامنا فوق التل الجنوبي لأنطاكية . ونزع
الأنطاكيون لمواي قواتنا على التل الذي يشرف على المدينة ، فاندفع بعضهم من
الأبواب وقفز بعضهم من الأسوار . فجعل الرب القومى تدب بينهم حتى أن واحداً
منهم لم يبق ويقا تل . وبعد شهرين كثيرة من الحصار المضى تكشفت أماننا هذا
المشهد السعيد وهو مشهد لم يستطيع فيه الدافعون من أنطاكية من فترة أن
يهربوا من المدينة ولا أن يتجنبوا الموت إذا ما تجرأوا على الفرار .^(١٣)

ووقع لنا هناك حادث سعيد رائع . عندما لقي بعض الأتراك - من محاولتهم للهروب دون أن يراهم أحد من خلال الشقوق التي تتخلل السلال من الشمال - مجموعة من الصليبيين . واضطر الأتراك الذين خطت أسيالهم إلى التقهقر فهمزوا خيولهم بسرعة كبيرة حتى أنهم سقطوا جميعاً من فوق الهضاب الصخرية . لقد كان سقوط الأتراك القاتل مشهداً سعدنا له حقاً ولكننا حزنا لفضياع أكثر من ثلاثمائة حصان لاقت حتفها هناك ^(١٤) .

ولن نعلق على كمية الغنائم ، ولكن يمكننا أن تصدقوا أي شيء يمكن أن يتبادر إلى ذهنكم وتحسبوا أكثر منه . فلا يمكننا تقدير عدد القتلى من الأتراك والمسلمين ، ومن الساذية أن نحكى القصة وطرق الموت المختلفة . وفي الوقت نفسه فإن المدافعين كانوا يراقبون من مواقعهم فوق تل أوسط مقتل زملائهم . وتوقف المعركة . وبالتالي فإنهم اختاروا أن يدافعوا عن قلعتهم . ولكن ياغي سيان ، أثناء هروبه من أحد الأبواب ، وقع في يد الفلاحين الأرمن ، الذين قطعوا رأسه وقدموه لنا بعد ذلك هدية . واعتقد أن ياغي سيان الذي قطع رموس الكثيرين من الأرمن ، قد قلّر له بإرادة الله التي لا ترحف أن تقطع رأسه على أيدي فلاحهم .

وقد سقطت مدينة أنطاكية في اليوم الثالث من يونيو ، ولكنها كانت هدفاً للهجوم منذ حوالي الثاني والعشرين من أكتوبر من العام السابق . وأجبت قواتنا عن مهاجمة القلعة ، بينما راح رجالنا بفحصون الغنائم ويضعون سجلاً وأسعوا في تسيان الله . مانح كل هذه النعم ، فأفرطوا في الأكل بنهم شديد وبلخ ، واعتصروا بالراقصات .

وبعد ذلك بثلاثة أيام ، أي في اليوم الخامس من يونيو ذاته ، حاصر المسلمون الصليبيين . وهكذا فإن الصليبيين الذين كانوا قد حاصروا أنطاكية التركية برحمة من الرب ، وجدوا أنفسهم الآن وقد أحاط بهم الأتراك حسب مشيئته . وبما زاد من خوفنا أن الحصن الأكبر ، الذي كان بكل المقاييس قلعة

حقيقية ، كان في حوزتهم . ولذلك ، فقد وجدنا الحرف وحاصرنا القلعة . ولكن كبريغنا ، سيد الأتراك ، بعد وصوله بوقت قصير ، واعتقاداً منه أن المعركة ستكون خارج المدينة . عسكر على بعد نحو ميلين من أنطاكية ، وتقدم في صفوف منتظمة نحو جسر المدينة ^(١٥) . وفي اليوم الأول ، دعم رجالنا الدفاع عن قلعة الكونت ، خشية أن يستولي من هم في القلعة على أنطاكية لو خرج المسيحيون للقتال . ومن ناحية أخرى فقد شعروا أنهم ، إذا تخلوا عن قلعة الجسر ، فإن العدو سيستولي عليها ويسد طريق الخروج للقتال ، لأنه كان يسيطر على مخارج المدينة .

وكان روجر أوف بارشيفيل ، وهو فارس شهير ومجرب ، يتابع تقهقر الأتراك في أحد الأيام ، عندما وقع في أيديهم وقطعوا رأسه ^(١٦) . فاستولى الحزن آنذا والخوف على رجالنا ، ودفع بالكثيرين منهم إلى اليأس من القتال ^(١٧) . ثم نزلت نكستان بأعدائنا في المعارك التي جرت بعد ذلك . ولكنهم في اليوم الثالث هاجموا القلعة بقوة حتى بدا أن قدرة الرب فقط هي التي كانت تحميها وتوقف الأعداء . لأن الأتراك - ولرب مجهول - أصيبوا بالفزع الشديد أثناء عبورهم الخندق المائي المحيط بالقلعة وهدمهم للسور ، فأسرعوا بالفرار . وبعد أن انسحبوا لسافة قصيرة ، رأوا أنه ليس هناك سب للهروب غير خوفهم ، ولذلك عاودوا الهجوم . وشددوا هجومهم بعنف كما لو كانوا يريدون أن يحرقوا تراجمهم المشين ، ولكن الرب بث الحرف في قلوبهم مرة أخرى ، وبالتالي عاد رجال كبريغا إلى معسكرهم في اليوم نفسه .

ولقد أحرق الصليبيون القلعة ، وانسحبوا إلى داخل أنطاكية بعد أن عاد أعداؤهم في اليوم التالي ومعهم معدات ثقيلة . وزاد قلق القرصنة بينما ارتفعت ثقة الأعداء في أنفسهم إلى غنان السماء . لأنه لم يكن لدينا أمل خارج المدينة ، بينما كان أعداؤنا يحتفظون بالقلعة الرئيسية داخل أنطاكية . ودفعت هذه العوامل الشجعة الأتراك إلى التقدم نحونا عن طريق القلعة ، ولكن المسيحيين ثقة منهم في مواقعهم الاستراتيجية وأراضيهم المرتفعة زحفوا على الأعداء

وهزمهم في أول هجوم^(١٨) . لكنهم غفلوا عن هجوم مضاد وقع عليهم .
 واشغلوا بغنائم المعركة ، فزلزلت بهم هزيمة مشيئة . وعند أحد مداخل أنطاكية .
 لقي أكثر من مائة من المسيحيين وعدده كبير من الفحول مصرعهم . ونتيجة
 لذلك ، أصبح الأتراك يحلمون عند دخولهم الحصن بمهاجمة المدينة السلي .

كان هناك واد صغير يتميز بسهولة وعين ماء ، ويقع بين جبلنا وقلعتهم .
 ولهذا بذل الأتراك كل جهودهم لاكتساحنا وطردنا من طريقهم ، لأن النزول إلى
 أنطاكية لم يكن ممكناً إلا عن طريق جبلنا . واستمر القتال غنياً شرساً من الصباح
 حتى المساء بشكل لم يسع عنه أحد من قبل . وفي غمار وابل السهام والصخور
 التي انهمرت ، وقعقة السلاح التي لم تترقف ، ومقتل أعداد كبيرة من
 الحارين ، غطت قواتنا في نوم عميق . وهذه بكل تأكيد تجربة رهيبة غير عادية
 بالنسبة لنا . وإذا أردت أن تعرف ، فقد انتهى القتال ليلاً^(١٩) .

وعند صلاة الليل ، وهو وقت الثقة في رحمة الرب ، فقد الكثيرون الأمل .
 وروى أنهم يعبال ودلوها من أعالي السور . وفي المدينة نشر الجنود العائدين
 من القتال ، إشاعة بأن قتلاً جماعياً للمدافعين كان ينتظرهم . وبما زاد الرعب أنهم
 لاذوا بالفرار هم أيضاً بالرغم من حث البعض للمترددين على الصمود . ومع
 ذلك ، كما قلنا ، فإن رحمة الرب كانت حاضرة . حتى والمسيحيون في محنة
 وبأس ، فكان عقاب الرب للذاعرين من أبنائه مواساة لهم في المصائب^(٢٠) .

هو أمش الفضيل السادس

(١) من الواضح أن فيروز ، الخاقان ، كان في خدمة باغي سيان ، ويطلق عليه فيروز
 Firuz ويرفوس Pyrrhus وفيروز Farou كما أن له عدة أسماء أخرى . وبنييه
 ويونانجيل ، التركي ، ويذكر مؤرخون آخرون أنه أرميني .

انظر : Runciman, op. cit., I, p. 231, n. 3.

ويبدو أنه ابتلى بره الخط في حلفه بحماية وزوجة غير مخلصه .

انظر : Hagmanns, Chr., 64.

- ترحى رواية ويونانجيل أن فيروز قد اتفق على تسليم أنطاكية مع قادة الفرنج بصفة
 عامة . ويرى ترويض دور يوهيند في استدراج فيروز ودون ذكر تفاصيل وتطور العلاقة
 بين يوهيند وفيروز . وربما قصد ويونانجيل أن يسجل الرواية مثل هذا الإيجاز حتى
 يبين يوهيند حقه في ترفير الفرصة لدخول الفرنج أنطاكية بسهولة . إلا أنه من
 الواضح أن الترخ - مثله في ذلك مثل بقية قادة الفرنج - لم يكن يعلم شيئاً عن
 العلاقة بين يوهيند وفيروز . كما لم يعلم أحد غير يوهيند بترايا فيروز . فلم يظهر
 يوهيند قادة الفرنج عن وسيلة لدخول أنطاكية إلا عشية الهجوم عليها ٢١ يونيو
 ١٠٩٨ م . ومن الطبيعي أن تأخذ رواية مؤلف الجستا الذي أبرز دور يوهيند في
 هذا الحصر .

انظر : Gesta Francorum, p. 48.

(الترجمة العربية) .

(٢) فيلجير Fulger ويوزيلوس Budellus فارسي من مقاطعة شارتر .

(٣) يكشف وصف ويونانجيل لسقوط أنطاكية عن حساسية معينة لأحوال الهجوم
 الصليبي على المدينة وورقة سكان أنطاكية . ويستخدم كلمات من المزامير ليتحدث عن
 طبيعة الحدث .

(٤) تكشف معادة المؤرخ للفرع الأتراك وحزنه على فقدان الجياد ، عن مشاعر الراكند
 الجديد ، الذي جُبل على كره الأتراك .

(٥) كرونغا هو أتابك الرمسيل ، وقد أخفأ حين هاجم الرعا وهو في طريقه إلى أنطاكية
 وذلك أعطى الفرنج الفرصة للاستيلاء على أنطاكية .

= - استغرق حصار كبريغا للرها الثلاثة أسابيع الأولى من شهر مايو ٩٨٠ م /
 جنادى الآخرة ٤٩١ هـ . وبدأ حصاره للصليبيين فى ٥ يونيو / ٣ رجب من نفس
 العام . وكان خطأ كبريغا دليلاً جديداً على أن رودة الفعل الإسلامية ضد الرجود
 الصليبي فى بلاد الشام لم تأت فى الوقت المناسب . وللمزيد عن حصار كبريغا
 أنظروا :
 Fulcher of Chartres, p. 101.

(الترجمة العربية) .

(٦) روجر أول بارنيل - Roger of Barneville - ذكره مؤرخ الجيشتا فى
 حديثه عن حصار نيقية .

(٧) الحزن والخوف - تعبيرات تروجد بشكل متكرر فى المزامير .

انظروا :
 Psalms, 7 : 13; 12 : 2, 54 : 6.

(٨) كان أحمد بن مروان يحتل القلعة . وهو مقدم قوات كبريغا ويذيل شى الدولة ابن
 بالغى سيان .

- فور سقوط أنطاكية فى أيدي المسلمين بحث شى الدولة بن بالغى سيان إلى كبريغا
 يطلب مساعدته فأجابه كبريغا على تسليم القلعة إلى أحمد بن مروان وهو أحد أتباعه
 المخلصين . وفى الأخير يذاع عن القلعة حتى ملها إلى برهيتد بعد هزيمة كبريغا
 فى ٢٨ يونيو ٩٨٠ م / ٢٦ رجب ٤٩١ هـ . ورحله إلى الموصل . انظروا :
 ابن العديم : زبدة الخلب . ج ٢ ، ص ١٢٦ .
 (الترجمة العربية) .

(٩) لا يعرف رينفاجيل من تفاصيل هذا الاستخدام إلا القليل . ونجده يلجأ إلى كتاباته
 المتأخرة . وقد ترجعنا هذه الفترة لنعنى أن الصليبيين قد غلبهم اليأس . واليأس غير
 الطيبي لم يكن أمراً غير عادى فى العلوم الكنسية . وربما قسم رينفاجيل ذلك
 التمييز ليقر لنا يوم الروح . لأنه يستشهد بالرواية التى لابد أن يؤيد أصحاب الخطايا
 إلى طريق القسيلة . انظر :

Hallöer Hermanson, The Problem of Winesland, Islandica, 25, 1936.

ومن يوم الرب - Super Domini - انظر :
 Samuel, 26 : 12.
 - يبدو أن الكتب الدينية كانت المجال الرئيسى لقراءات رينفاجيل . ومنها لشم
 صباقاته وعناصر رواياته . وفيما يخص التوم لغير الطيبي فهو صورة لتوم الروح أكثر
 منه بخير الجسد أو استرخائه . وهذا التوم عرفه كثير من المثاقيل . فالتعود على
 القصف الملحمى (حديثاً) يسمح للرجال المتعبين بالترحم تحت الثيران . وهذا التعبير
 يدل على أن الثيران تنبأ بجهود كبير طبيعة ثقافة رينفاجيل ومعاودة التفكير وعبر
 استفادته منها . انظر :

Richard, Raymond d'Aguilers, pp. 288 - 289.

(الترجمة العربية) .

(١٠) يشير رينفاجيل هنا إلى الرافضين على الجبال . الذين تخلوا عن حصار أنطاكية
 وانضموا إلى ستيفن كورت . بلوا عند الإسكندرونة ثم اسرعوا بإخيار الاسراخو
 أنكبس كورتين عن محنة الصليبيين .

- من المعروف أن كورت بلوا قد ترك حصار أنطاكية قبل سقوطها فى أيدي اللاتين بين
 واحد (٢١ يونيو ٩٨٠ م) وتوجه إلى طرسوس . وفى ليلة ١ يونيو ، أى يوم
 كبريغا بمعاصرة الصليبيين داخل أنطاكية . حرب عدة من الفرنج بقيادة وليم وأندرو
 كورتى جراتس سبيل ولامرت كورت كليمونت . ووصلوا إلى سباء الشرقية حيث
 توجد بعض السفن الجسرية والبولونية . فبادرت السفن بالإقلاع حين أعلن القارون عن
 محنة الفرنج فى أنطاكية . وطلعت السفن وبها القارون إلى طرسوس حيث ستيفن ومن
 توجه الجسج إلى اسكى شهر حيث قابلوا الإمبراطور البيزنطى . وأخبروه بأن الأتراك قد
 قضا على القوات الصليبية . وحاطب كورت بلوا قائلاً : فكر فى محبتك ونجاة جيشك ،
 واقتنع الإمبراطور - الذى كان فى طريقه إلى أنطاكية لمساعدة الفرنج - كما ذكر الفرنج
 اللاتينى أودريك فيتاليس - بكلام ستيفن وذأى أن يراعى مصالح دولته ومن
 المخاطرة بالتدخل فى بلاد الشام . وبذلك ضاعت آخر فرصة للفرنج لتبيل مساعدة
 البيزنطيين . كما ضاعت آخر فرصة لقيام التعاون بين الطرفين . وربما ضاعت بذلك أهدى
 أهداف البابا توماس الثانى فى توحيد الكنيستين الشرقية والغربية . ومن شهد
 فيتاليس يتضح أن اتهام المؤرخين اللاتين أمثال مؤلف الجيشتا - تابع برهيتد بحرب =

الكميس الأول - ونجود من المؤرخين ، بالغيانة أمرا فيه فحين على الامبراطور - فالخروج
 ليشاليس لا تبنى وتروماني في ثمن الوقت وهو بذلك يزيد كلام أن كورنثي التي
 التمت العفر لوالدها في عدم وصوله إلى أنطاكية . وإن كان ذلك قد مهد الطريق أمام
 يوفيسند ليتغلب على الارتباط بينه الثقافية القسطنطينية ماير ١٩٧ م . ويشكر من
 يوفيسند في أنطاكية . وسأثر بها نفسه . انظر : سين عطية : إمارة أنطاكية
 الصليبية والمسلمين ، ص ٦٢ - ٦٢١ .
 (الترجمة العربية) .

الفصل السابع حصار كاربوغا لأنطاكية والعشور على الحرية المقدسة

هنا يبدأ العشور على الحرية المقدسة :

في آفتاب الاستيلاء على أنطاكية ، أظهر الرب قدرته وإحسانه ، بأن
 اختار قلاعا يروقتاليا يعزينا وسلم الرسالة الثانية لبريوتد وأدعيمار ^(١) :

« لقد أنذرني أندرو ، مبعوث الرب وسيدنا يسوع المسيح ، منذ زمن في
 أربع مناسبات وأمرني أن أبلغكم ، وأعيد إليكم ، عند سقوط أنطاكية ، الحرية
 التي أحرقت جنب مخلصنا . بل إنني اليوم عندما انطلقت مع بعض الآخرين
 للقتال خارج أسوار المدينة ، وقعت في يد اثنين من الفرسان ، وكادت أسحق في
 أثناء انسحابي . قدّعت مغشاً قاتر الهمة على صخرة ، وعندئذ ظهر لي القديس
 أندرو ورفيق له ، وأنا مذنب تعبي ما أزال أترنح من العذاب والمخاوف ، وحذراني
 من مزيد من الهجوم إذا لم أسرع بتسليمكم الحرية » .

وعندما طلب الكروت والأسقف تفاصيل عن طبيعة المكتشفات وتعليقات
 القديس أندرو رد البروقتالي قائلا :

« أثناء الحصار الفلحي لأنطاكية في زمن اليزة الأرضية الأولى ، استند
 بي الرعب ولم أجد أنطلق إلا بقرلي « أنتقني يارب » . كنت وحدي في الفراش
 لي كورني . دون أصدقاء يشون الطمانينة في قلبي . كان الظلام مخيفاً ، وكما
 قلت ، فإن الصدمات أسسرت لوقت طويل مما زاد من قلتي . وفي هذه اللحظة ظهر
 لي رجلان في ملابس زاهية . كان لأحدهما شعر أحمر يتخلله البياض ، وحية
 كثرة بيضاء ، غريضة ، وعينان سرداوان ، ومظهر لطيف ، وكان متوسط القامة ،
 وكان رفيق أطول منه و « أجمل هيئة من أبناء البشر » . وسألتني الرجل الأكبر
 « ماذا تفعل ؟ » . كنت وحيداً ، وشعرت بالرعب ، فثقت بصوت مرتعش :

« من أنت ؟ » - فقال : « قم ، لا تخف واستمع إلي - إني أندرو الرسول . فليبر
لقام مع أسقف لي بوبه وكونت سان جيل وبطرس وريوند من هوت برل
Hauptstadt^{١٢١} . وأسانهم . لماذا لا يعط أدھيمار بالكلمة . ويحث الناس ويباركهم
بالصلب الذي يحمله كل يوم ؟ إن هذا سيكون بركة كبيرة لهم بكل تأكيد » .

ثم أمرني قائلاً : « إني معني وأكشف لك عن مكان حرية أبيتا التي يجب
أن تعطىها للكونت لأن الرب قد جعلها له عند مولده » .

« فكرت فرائشي وأنا في رداء نومى فقط ، وتبعته إلى داخل أنطاكية
حيث كنيسة الرسول بطرس المبارك عن طريق الباب الشمالى ، والذي كان المسلمون
قد بنوا أمامه مسجداً . وكان هناك مصباحان في الكنيسة بضئان المدخل كما لو
كنا في منتصف النهار . ثم إن أندرو أمرني قائلاً : « إبق هنا » . ثم أمرني بأن
أقف بجوار العمود الذي كان قريبا من الدرجات الجنوبية المؤدية إلى الهيكل
بشما يقى رفيقه على مسافة من درجات الهيكل . مد القديس أندرو يده نحو
الأرض ، وسحب الحرية ووضعها بين يدي » .

« ثم وجه القديس أندرو حديثه إلى قائلاً : « انظر إلى الحرية التي اختبرت
جذب المسيح ، والذي كان السبب في خلاص العالم » .

« وببعض جرت دموع الفرح على وجهي ، قبعث على الحرية وحاطبتي
القديس أندرو وأنا مجيش باليكاء » . إذا كنت تريد ذلك فأنى سأجدها من الكنيسة
وأضعها بين يدي الكونت » .

« وأجاب القديس أندرو : « انتظر إلى ما بعد الاسبلا . على أنطاكية ، ثم
عد ومعك إثنا عشر رجلا ، وابحث عن الحرية في نفس المكان الذي كشفت عنها
فيه وسأخفيها الآن » . ودفعها في الموضع ذاته . وبعد هذه التجليات ، قادني من
خارج أسوار المدينة إلى كمرتي ثم اختفى بعد ذلك » .

« وباختصار ، فإنني لما تأملت في حالتي الرثة وعظمتك لم أجري على

المجىء إليك . وبعد ذلك ، وبعد أن رحلت إلى قلعة قريبة من الرثة بحثا عن
الطعام ، وفي اليوم الأول من الصوم الكبير عند صباح الديكة ، أتاني القديس
أندرو في نفس الهيئة ومع رفيقه السابق . وسألني وقد غمر البيت نور عظيم :
« هل أت نام ؟ »^{١٢٢} .

« وأيقظني كلثائه فأجبت : « لا ياسيدي ومولاي أنا مستيقظ » .

« وسألني : « هل أبلغت رسالتى الأخيرة ؟ » فأجبت : « سيدى . ألم
أوصل إليك أن ترسل شخصا أكثر جدارة إليهم ، لأشفي خشيت من حالتي الرثة
فلم أجري على الثول بين أيديهم » .

فسألني مرة أخرى : « ألا تعرف السبب الذي من أجله فاداك الرب إلى هذا
المكان . وجه الكبير لك . واعتناقه الخاص باختيارك ؟ لقد طلبك هنا لكي يبرر
احتقاره واحتقار من يختارهم . إن وجه لك كبير جدا لدرجة أن القديسين يرقنون
الآن في سلام وهم مدركون لنعمة الرغبة الإلهية . ويردون لوعادوا لحما ودما ،
وقاتلوا إلى جانبك . لقد اختارك الرب من بين كل الناس كما تجمع حبوب القمح
من بين الشوفان ، لأنك تقف فوق كل من جاموا من قبل ، أو من سيأتون بعدك
في جنازتك ويركتك كما يفوق ثمن الذهب ثمن النفضة » .

« وبعد رحيلهم وقعت فريسة لروح هدد بضري حتى أنني بدأت أتخلص
من موارد المجدودة عندما استنجت فجأة أن هذه الأوامر داهشتني لعصيانى
أوامر الرسول . وهكذا غادت الطمأنينة إلى قعدت إلى الحصار . وفكرت مرة أخرى
في حالتي الرثة فلم أقل شيئا لأنى خشيت إذا أنا ألفتكم أن تصيحوا بأنى رجل
يفتضو جوعاً فختكم بهذه الحكاية من أجل الحصول على الطعام . وبعد فترة من
الرثت كنت أستريح مع سيدى وليام بخير في خيمة في ميثا . سان سيمون عشية
أحد السبع عندما فجلى لي أندرو المبارك في ثمره هيشه السابقة ، ومع رفيقه
السابق . وقال لي : « لماذا لم تسلم رسالتى إلى ريرند وأدهيمار ؟ »^{١٢٣} .

فأجبت قائلاً : « يا سيدي أتم أتوسل إليك أن ترسل بديلاً أذكرني متى ، يعاين
به . كما أنه يجب أن تعرف أن الاتراك يقتلون أى شخص يسلك الطريق إلى
أنطاكية » .

« وهنا رد القديس أندرو : « لا تخف . فلن يؤذيكَ الاتراك . ولكن أبلغ
الكونت ألا يقطع في نهر الأردن عند وصوله ، بل عليه أن يحدِّث غير النهر أولاً
في قارب . وعندما يصل إلى الجانب الآخر ، يمش على نفسه الماء وهو مرتد
قنيصاً وسراويل من الكتان . وبعد ذلك يحفظ ملايبه المجدفة مع الحرية
المتقدمة » . ويمكن لسيدي وليام بطرس أن يشهد بصحة هذا الحديث رغم أنه لم ير
القديس أندرو » (١١) .

« فاطمأنت وعدت إلى المعاصرين لأنطاكية ، ولكنني لم أستطع أن أجمعكم
كما رغبت . ومكنا ذهبت إلى ميناء المصبية . وهناك ، وبينما أنا انتظر وقد نفذ
صبري لأبحر طلباً للمؤمن من قبرص ، واجهني القديس أندرو بتهديدات خطيرة إذا
لم أعد إلى أنطاكية وأعيد عليك تعليماته (١٢) . وعندئذ وأنا أفكر في طريق
السفر الذي يستغرق ثلاثة أيام من المصبية إلى معسكر الصليبيين . بدأت
أبكي بشكل هينري لأنني أدركت أن ذلك كان مستحيلاً . وأخيراً وبناء على
إلحاح سيدي وزملائي ، أبحرنا وجددنا ليوم كامل والريح تساعدنا حتى غروب
الشمس . عندما هبت عاصفة فجأة وأعادتنا إلى المصبية خلال ساعة أو
ساعتين . وهكذا بعد أن حبل بيننا وبين القنص إلى قبرص ثلاث مرات ، عدنا إلى
ميناء سان سيميون حيث مرست مرساً شديداً . ولكن بعد الاستيلاء على
أنطاكية أتيت إليكم وأنا الآن أقدم شهادتي لتقبلوها » .

واعتبر الأسقف هذه القصة زائفة . ولكن الكونت صدَّقها في الحال . ووضع
بطرس باوثولوميو في حراسة قسبه وعموده (المذبح) .

وفي الليلة التالية تجلّى سيدنا يسوع المسيح لكاهن يدعى ستيفن كان
يبكي وهو ينتظر الموت له ولأصدقائه (١٣) . لقد أصابه الرعب عندما أبلغه بعض

الهاربين من القتال عند القلعة بتزول الاتراك من الجبل وهروب الصليبيين
واتحاجهم بغير نظام . وقبل مرته الذي دخل ستيفن - رغبة منه أن
يشهد الرب عليه - كنيسة مريم المباركة . واعترب وقال الغفران المزمور . وبدأ
يرتل الترانيم مع أصدقائه . وظل يصلي بالليل بينما تام الآخرون . وهو
يردد « يا سيدي . من يعيش في بيتك ؟ من سيجد الراحة على جيلك
المتدنى » (١٤) .

في هذه اللحظة ظهر رجل وسيم ليس كهنة البشر . وسأل ستيفن : « من
دخل أنطاكية ؟ »

ورد ستيفن « المسيحيون » . فسأل الرجل : « بم يؤمن هؤلاء
المسيحيون ؟ » . وأجاب الكاهن : « إنهم يؤمنون بأن المسيح قد وفد من العذراء
مريم وحمل الألام على الصليب . ومات . ودفن . ثم قام من القبر في اليوم
الثالث . وصعد إلى السماء . فسأل الرجل : « وإذا كانوا مسيحيين ، فلماذا
يخافون جموع الوثنيين ؟ » واستطرد قائلاً : « ألا تعرفني ؟ » .

فأجاب الكاهن ستيفن : « أنا لا أعرف إلا أنك بالغ الجلالة » . وهنا طلب
منه الرجل « انتبه لي جيداً » .

« وعندما راقبه ستيفن عن كثب ، رأى شكل صليب يخطف الأبصار أكثر
من الشمس يظهر تدريجياً فوق رأسه . وهنا رد الكاهن على الرجل الذي كان
يسأله : « سيدي . إننا نسمي الصور التي تشبهك في مظهرها صور يسوع
المسيح » (١٥) .

واصل السيد حديثه قائلاً : « لقد نطقت بالصواب لأنني يسوع المسيح .
ليس مكتوباً أني السيد القوي القادر في المعارك ؟ هل ليس أن أسأل من هو
قائلك ؟ »

ورد ستيفن قائلاً : « سيدي . . ليس لدينا قائد واحد . ولكننا نثق في
أوصيائنا أكثر من الآخرين » .

فأمرني المسيح : « أبلغ الأسقف أن هؤلاء الناس بأصايلهم الشريرة قد
أبعدوني عنهم ، ولهذا فإنه ينبغي أن يقودهم » . ابتدأوا عن الخطيئة وسأعود
إليكم » ^(١٠١) . وفيما بعد عندما يذهبون للقتال سيقتلون ، لقد تجمع أعداؤنا
وتباطأوا يقوتهم ، تحطم قوتهم بآرب وأحزهم حتى يعرفونك يا إلهنا . حارب معنا
وحققنا » ^(١٠٢) وزد هذه التعليقات : « شكوت وحمى معكم لو اتبعتم أوامري
خمس أيام » .

وبما هو يتكلم اقتربت امرأة ، هي مريم أم يسوع المسيح ، وقد أحاطت
بوجهها حالة باهرة ، ونظرت نحو السيد وسألت : « ماذا تقول لهذا الرجل ؟ » .

ورد المسيح على مريم : « لقد سألت عن الناس الذين هم في أنطاكية » .

فأعلنت السيدة : « آه : يا سيدي ! انهم مسيحيون يكرتون دائماً في
صلواتي لك » .

وعندما أيقظ الكاهن رفيقه النائم على مقربة ليشهد الرضا ، اختلى
المسيح ومريم من أمامه . وفي الصباح التالي صعد ستيفن التل في مراجعة البرج
التركي حيث كان أمراؤنا ينتظرون ، باستثناء جودفرى الذى كان يحرس حصن
الجيل الشالى . وأبلغهم ستيفن في اجتماع عقوده برؤياه المذكورة . وأقسم
بالصليب على صحتها وأمرهم أخيراً عن استعداده لاغتراق النار أو إلقاء نفسه
من أعلى برج إذا لزم الأمر لإقناع من لا يصدقونه .

وإذاً هذه الوقائع اعتقدت الجسوع أن الأمراء كانوا يرغبون الآن في الهروب
إلى الميناء . وأن قلة منهم فقط من راسخى الإيمان ، لم تكن تفكر في الهرب أثناء
الليلة السابقة . فاقسم الأمراء أنهم لن يهربوا ولن يتخلوا عن أنطاكية إلا بناء
على قرار مشترك . وهكذا أطمان الكثيرون وحتى ذلك الوقت فإن إغلاق أبواب
أنطاكية بناء على أوامر يوهيتمند وأدغيسار ، منع الجلاء الكامل عن المدينة ، ورغم
كل الاحتياطات فقد هرب وليام أوف جرانند مستبيل مع أخيه وعدد كبير من رجال

الدين والعوام . إلا أن الكثيرين ممن هربوا من المدينة معرضين أنفسهم لأخطار
شديدة ، واجهوا خطراً أكبر منهم بالموت من رجال كرينوغا .

وانتشرت قصص التعليقات التي تظهر لزملائنا ، وزيارنا نحن أيضاً إحدى
العجائب في السماء . فقد رأينا نجماً كبيراً معلقاً فوق أنطاكية لوقت قصير ، ثم
بثقت إلى ثلاثة أجزاء . وسقط داخل المعسكر التركي . وتشجع الصليبيون إلى
حد ما وترقبوا بلهفة اليوم الخامس الذى أعلن عنه الكاهن . وفى ذلك اليوم ،
حصل اثنا عشر رجلاً ومعهم بطرس بارتولوميو الأدوات اللازمة ، وبدأوا يعفرون
في كنيسة بطرس المبارك . بعد أن أبعدوا كل المسيحيين الآخرين . وكان من بين
الاثني عشر أسقف أريوانج ويومرنداجيل . كاتب هذه السطور ، ويغوند سان جيل ،
ويغونز أوف بالازون وقاراله أوف ثوارز ^(١٠٣) .

وظلنا نعفر حتى السماء ، ونرى البعض من إخراج الحربة من تحت
الأرض . وفى هذه الأثناء ، وبعد أن ذهب الكونت لحراسة القلعة ، أقنعنا عنالاً
جداً بأن يحلوا محل الحفارين الذين تعبوا ، وحفروا بجد شديد . ولكن بطرس
بارتولوميو المحتلى شاباً عندما رأى الإرهاق قد أخذ من رجالنا كل مأخذ ، فجرد
من ملابسه الخارجية . ونزل في الحفرة حافى القدمين وليس عليه إلا قميص . ثم
توسل إلينا أن نصلى لله ليعيد حريته إلى الصليبيين ، لينجلب لشعبه القوة
والنصر . وأخيراً أظهر لنا الله برحمته المباركة ، حريته وقبيل ، أنا ويغوند مؤلف
هذا الكتاب . من الحرية عندما برزت من الأرض . ولا أستطيع أن أصف السعادة
والإنتهاج اللذين عشنا أنطاكية . ولكن يمكننى أن أذكر أن الحرية قد اكتسبت في
اليوم الثامن عشر قبل اليوم الأول من يوليو (١٤ يونيو) .

وفى الليلة التالية وقف أندرو المبارك أمام الشاب الذى كشف عن الحرية
وقال له : « أنظر ، إن الله قد أعطى الحرية للكونت » . وفى الحقيقة ، أنه قد
حفظها له وحده عبر العصور . كما جعله قائداً للصليبيين ، على شرط أن يكس
نفسه لله .

وعندما طلب بطرس باوثليموس الرحمة للمسيحيين ، أجاب أندرو المبارك :
« حقا أن الرب سيكون رحيمًا بشعبه » .

ومرة أخرى سأل بطرس زاترة الليل عن اسم رفيقه : « من كان الشخص
الذي رأيت يصاحبك بكشل متكرر ؟ » . وقال أندرو المبارك : « اقترب وقيل
قدمه » . فاقتراب البروفسالي ورأى ما بدا أنه جرح حديث وقام في قدمه . وعندما
تراجع بسبب ذلك المنظر الدموي ، أمره أندرو المبارك : « أنظر إلى الأرب الذي ستر
على الصليب من أجلنا ، وتحمل منذ ذلك الوقت هذا الجرح . فضلًا عن ذلك فإن
الرب يأمرنا بالاحتفال بتاريخ اكتشاف حزنه ، في ثامن أيام العيد من الأسبوع
القادم ، لأن استخراج الحرية وقت صلاة المساء . يقع الاحتفال في ذلك اليوم ، وبعد
ذلك فإنك ستعتقل كل عام بيوم اكتشاف الحرية » . ثم أبلغ المسيحيين بأن
يكبحوا جراح أنفسهم كما تعلمهم قراءة رسالة أغني بطرس (كانت هذه الرسالة
تعلم : « تواضعوا تحت يد الرب القوية »)^(١١٤) . كما أن الكهنة سيشرقون كل يوم
بالترنيمه التالية : "Lustra sex qui jam perfecta tempus implens corporis"
وعندما يصلون إلى قولهم "Agnus in cruce levatus immolandus stipite"
فإنهم يحشون على ركبتيهم ويتحننون مختتمين الترنيمه^(١١٥) .

وفيما بعد ، عندما استقرنا أسقف أورانج وأنا ، من بارثولوميو ، عما
إذا كان يعرف خدمة القديس الكنائسي ، فإنه ، إحصاءاً منه بأن الاجابة بالإثبات
لن تقابل بالتصديق أجاب : « أنا لا أعرف » . ورغم أنه كان يعرف بعض الطقوس
فإنه كان مرتبكاً جداً حيث : لدرجة أنه لم يتذكر القديس الكنائسي ، أو يذكر
بالمره ما تعلمه منها بالمتنا . Pater Noster, Credo in Deum, Magnifican,
Gloria in excelsis Deo, Benedictus Dominus Deus Israel . وليس كل
ماعد ذلك قاما ، ولم يتذكر إلا قيصا بعد عدة كلمات وبعضية^(١١٦) .

مواشي الفصل السابع

(١) الفلاح البرفسالي هو بطرس بارثولميو Peter Bartholomew . ويظهر ريموندجيل قصة
الحرية المقدمة إحصاءاً أكثر مما أعارفا الموثوقين الآخرين . وقد أشرنا في كتابنا
Raymond IV, Count of Toulouse, p. 109, n. 3 أن المؤلف يتوسع في رواية
مرجزة ويضيف إليها التفاصيل اللازمة لرواية صحيحة عن مثل هذه المعجزة . ويحك
الأحداث مع المعجزات ليس روايته ثوب الحقيقة . ونعتقد أنه اختلق معظم الرواية
وليس الراوي الساذج نفسه (بارثولميو) . وقد ألقى المؤلف برداً من الكلمات التي
وردت في المزامير مثل انظر Exspecta وانتظر ecce ولكن متبها Vigilans على القصة
كلها . ولا يفرده المؤرخ في أن ي نقل حياوات كاملة ليحرك روايته . وعلى سبيل المثال :
« وأجل شكلاً من أبناء البشر » بهذه العبارة مأخوذة من : 3 : 44 . Psalm . وعبارة
« لا تخف » مأثورة ومأخوذة من سفر الخروج .

انظر : Exodus, 20 - 20.

راجع أيضا : Steven Runciman, The Holy Lance Found at Antioch, in AB, 68, 1950.

ومن المفترض أن يكون بطرس باوثليموس قد ولى نفسه في ١٠ يونية ٩٨٠ م .
انظر : Hergenrother Chr., 277.
وقد وقعت الهزة الأرضية في الفترة ما بين ٣٠ ديسمبر ٩٧٧ م وأول يناير ٩٨٠ م .

- من هنا وحتى نهاية كتاب ريموندجيل ، نفس حزم المؤرخ على مرد كل الرؤى التي
يرويها له - أو لغيره - أشخاص عديدين . وفي الحقيقة لم نجد أية قيمة تاريخية لهذا
الرؤى . بل إنها تشغل القاري . إلى أن يسترجع الأحداث التاريخية السابقة عليها إذا
ما قايما المؤرخ يتوقف حدث الرؤيا واستنتاجه للحدث التاريخي الأصلي . وهذا يؤدي
إلى الاضطراب في سياق الأحداث .

وفي نفس الوقت ، فإن التشكك في صحة هذه الرؤى ، الذي أبدأ من استمعوا إلى
أصحابها من المعاصرين ، قد تحول إلى عدم الأخذ بصحتها بالمره من قبل المؤرخين
الحديثين . وهذا أمر طبيعي وقد رفض الأخذ برؤى بطرس باوثليموس كل من المتدرب
الهابي أدهيسار الذي من المروى أنه يمثل الجانب الرومن في الحملة الصليبية ، وأن
مثل هذه الرؤى ، خاصة إذا ما تشل فيها المسيح عليه السلام وبعض حواريه لراويها ،

تقوى جانب الكنيسة ومركز أديمار نفسه ، كما رفض الأباط بها كل من تنكره
وكثيرين من قادة الحملة ، وحتى ويونج كرت تولوز الذي خصه بارثليميو بجزء من
رؤياه . هذا بالرغم من محاولة بارثليميو - أو المؤرخ نفسه - إغاثة كل من يشكك
في صدق رواياته بمناقشته لأديمار ، في رؤى أخرى ، يجعله يتلقى ناز الجسيم
لشككه فيه .

وإذا كانت حجتنا قسما يخص أية قضية تاريخية تناولها بالتحليل والنقاسة ، من
النصوص التاريخية - المعاصرة بالدعوة الأولى - فإن مايجبنا في هذا المقام هو عرض
آراء مؤرخي الحملة الصليبية الأولى بشأن هذه الرؤى ، بشأن صاحبها أيضا . فبما
يؤكد ويونجايل ثقته في صحة هذه الرؤى خاصة وفي مرافقة البروتستانتى بارثليميو ،
فجده مؤلف الجستا بورد رواية الخربة في ثلاثة أسطر دون ذكر لأى أساء أوودها
ويونجايل ، دون أن يدلى فيها برأى . بينما تشكك فولشر أول شارتر في حقيقة
الخربة ويعتقد أن بطرس بارثليميو كان كاذبا ودليله على ذلك أن بطرس احترق أثناء
اختبار النار الذي مر به وعرف الناس « أنه كان مذبها ، لأنه جلده احترق » وعرفوا أنه
أصيب بأذى ميت ، وقد انتفع هذا بعد ذلك ، فقد تولى في اليوم الثاني عشر ، وأدلى
بالذهب الذي أوتيكبه . انظر : Fulcher of Chartres, op. Cit. p. 101 .
كما يعتقد فولشر أيضا أن بطرس دفن الخربة بنفسه ولم يعثر عليها « وجد جريه رجا
أخليت تحت الأرض سرا » " invenit lanceam fallaciter oculistam forsitum " -
MPL, Vol. CLV, 843 .

أما رادولف أول كان ، فلم يخف تشككه في بطرس وفي رؤياه نفسها . وكان بطرس
بارثليميو هو الشكفت الوحيد لرادولف في يظهر كرهه للمبروتستانتين بصفة عامة . وحتى
عاد بطرس بروى رؤياه أخرى أثناء حصار عرقه فقد ارتاب فولشر والبروت ، وكفى في أمر
الخربة المقدسة ، كما أكد رادولف تشككه فيها زعماء بارثليميو .

أما عن قادة الحملة ، فقد أظهر كورت تولوز إيمناه في حقيقتها ، ثم ما لبث أن أبدى
ارتياحه قسما إذا كانت رؤى بطرس لازالت حقة . أما يوهيند ، فيالرغم من أن
بطرس بارثليميو قد فر أنه لابد من السماح ليوهيند باستلام أنطاكية ، وذلك بعد وفاة
أديمار بيومين . فإن يوهيند أعلن إندهاشه وتشككه في أن يظهر المسيح أو
القديسين لرجل فاسق مثل بارثليميو ، أستاذ ، إرثيصاد الخانات والتكع في
الطرقات ... ، كما يتساءل يوهيند أمام جرع الفرنج عن أى من المؤرخين قد كتب أن =

الخربة التي دفن بها المسيح قد وصلت إلى كنيسة بطرس في أنطاكية . إلى جانب
الكثير من الحجج التي قدمها يوهيند دليلا على تلفيقات بطرس بارثليميو والتي
أودها بالتفصيل رادولف أول كان .

انظر :
Radtke of Caen, p. 678 .
أما عن جنود الجيش الصليبي ورجال الذين فيه فكان من الطبيعي أن يؤيد
البروتستانتين منهم رؤيات بطرس بينما أبدى فرنسيو الشمال وثقة الجيش تروهم من
بطرس وذا .

ومهما يكن من أمر فإن روايات بطرس بارثليميو وذا لم تكن إلا وسيلة ليوونجايل
لإبراز الدور البروتستانتى في الحملة الصليبية . وهو كرجل دين ، فقد عمل جاهدا على
إثبات أن الشروع الصليبي كان من عمل الرب وإرادته Deus Vult دون أن يدري أن
الشعن في الأحداث التي تسلبها كتابه - قبل كتب غيره من مؤرخي الحملة الأولى -
والعلاقات التي حاوت بين قادة الحملة وتحتتها صفحات كتابه ، وأن ملوك الفرنج ،
ومعاقبتهم ببعضهم البعض على مدار أمانة وأربعة وتسعين عاما التي عاشوها في بلاد
الشام ، إنما ثبت أن هذا الشروع الصليبي لم يكن من عمل الرب ولا في إرادته Deus
Vult . انظر : .

Gesta Francorum, p. 57 - 60; Fulcher of Chartres, pp. 99 - 100, C.F. also,
Runciman, The Holy Lance Found at Antiocha, in AB, Vol. 68., 1950
(الترجمة العربية) .

(٢١) كان بطرس ويونج أول هوبول (Alio - Pulla) Peter Raymond of Hautpoul تابعاً
لكونت تولوز وتقع القلعة التي تحمل اسمه في دولة لانغوك Languedoc بالقرب من حدود
تارين Narbonne وكان كاسون Carcassonne . وكان لبطرس رؤياه دوراً بارزاً في
حصار أنطاكية . ومات في نفس القلعة التي مات فيها أديمار تقريبا ، ومن المروص
أنه تم دفن بطرس أمام بوابة كنيسة القديس بطرس في أنطاكية ، انظر :

HGL 3 : p 517, 518 p. 692; Tudebode, Historia, BHC - H. Occ. 3, p. 92.

(٢٢) الزعماء وهى العائل الأرمينية ، وكانت في أيدي بولهيون ، شقيق يوهيند .

(٢٣) ولهم بطرس William Peter عرقه إسباني كأحد الحجاج الصليبيين .

١٨١) يقول المؤرخ في وقت لاحق أنه لم ينهم إلا بلخ بطرس بارتليميو هذه التعليلات لكونه
تولوز. وفيما أنشأ المؤرخ هذه العلوية ليكمل نفسه تبدو أقرب إلى الحقيقة. انظر :
Ezekiel, 44, 17 - 19. وفيما أبحث هذه الأسطر بطبيعة ملائكة وفوقه عند لهم
الأردن.

١٨٢) كانت قبرص بمثابة نقطة إمداد الصليبيين، وكانت معروفة لهم جيدا.

- وعن دور قبرص في الحروب الصليبية انظر : سعيد عاشور : قبرص والحروب
الصليبية، القاهرة، ١٩٥٧ م.
(الترجمة العربية)

١٨٣) في بحث الأجيالان يدعى مستغن باسم مستغن فالنتين Stephen Valentius ومن
المتعلم أنه تسمى من فالنتين وكان يظهر في رؤى عديدة.

١٨٤) يكرر المؤرخ على لسان مستغن : من سمعني في بيتك ! من سمعني الراحة على بيتك
القدس ! وهذا حادثة كنية بكلمة من العهد القديم. انظر : Psalms, 134 : 1.
وتعتبر رؤية مستغن ممارسة شائعة في إحياء الأسفار. والمؤرخ حاذق في هذه الدراسة.

١٨٥) ينتم لنا المؤرخ في هذا الموضع أومبافا لوزارو السارون، تلك الأوصاف التي لا بد وأنه
قام باقتباسها من الفن الفارح في هذه الأيام. وعندما يكتب وقد ظهر : رجل - وسيم
لسر كينة الشر. نعرف أنه يشير إلى المسيح، وأنه حتى أشبه الرجال جيلا
يعرفون ذلك. انظر :

Saint Augustine, De Civitate Dei, 22, 1, Col. 548 - 550. Cf. also,
Louis Boon, Iconographie de l'art Chrétien, Paris, 1913.

١٨٦) التعليلات التي تقول : انهمدوا عن الخطية وسأعود إليكم : مأخوذة من العهد القديم
انظر : Prophecia Zachariae, 1, 3.

١٨٧) والتعليلات التي صدرت إلى الصليبيين ليقللوا : لقد جمع أعدائنا وتباهوا بقرتهم
وهذا رد يلقى في العفوات. انظر :

Bevelatium Annumalis, October.

١٨٨) كان وليم جرانديستل William of Grand-Mesnil زوما لشقيقة بروميت. وهو من
مدينة برانديستل التي تقع جنوب لييج Liege. وقد هرب وليم في صبا - يوم ١٠ آب
١١ يونيو ١٠٩٨ م. انظر :
Hagenmeyer, Car., 278.

١٨٩) جاء غارنك تشارلز Herald of Terrors من مدينة تشارلز التي تقع إلى الشمال الغربي من
براتييه Postiers. وقد ذكر مؤلفه الجستا أن ثلاثة عشر رجلا قاموا بالهفر للعشور
على الحرية الممنوعة. ولم ينجس ريموناجيل بطرس بارتليميو ونفيل استخدام الرقم ١٢،
ربما نسبة إلى الإثنين عشر حواري. وقد تم العثور على الحرية في يوم ١٤ يونيو
١٠٩٨ م. انظر :
Hagenmeyer, op. cit., 284.

١٩٠) بين المؤرخ هنا اعتياده على رسالة بطرس : تراءىوا تحت يد الرب القوية. انظر :
1 Peter, 5 : 6.

١٩١) لم تشأ ترجمة اليت الشمسوى Lustris Sex. وهذا اليت من شعير ليناتيروس
فورتيناثوس. ولم يستخدم ريموناجيل من هذا التشيد سوى أجزاء فقط. ونعتقد أن
النص الأصلي : كما هو. أصلح من أي ترجمة.
- وقد ليناتيروس فتوروس كليميناثوس نورتيوناثوس

Venantius Honorius Clementianus Fortunatus

١٩٢) ٥٤٠ - ٦٠٠ م بالقرب من مدينة Treviso بشمال إيطاليا. وتلقى تعليمه في
مدينة رافنا. وفي عام ٥٦٥ م رحل إلى فرنسا وعاش في مدينة براتييه Postiers
حيث أصبح أسقفًا. وكشاهير يكتبه في مختلف الموضوعات، كتب فيلاتيروس قصائد
عديدة في المسائل الدينية والسياسية. كما صاغ بعض أسفاده نثرا. ويعتبر فيلاتيروس
آخر الشعراء الرومان وأول شعراء العصور الوسطى. انظر :

Alan Hudson - Williams, Venantius Fortunatus, in Oxford Classical
Dictionary, p. 1112

ومن الحقيقة : فإن من الصعب الحصول على معنى مستغن لتفكرات التي وردت هنا
باللاتينية إذا ما ترجمت إلى لغة أخرى. ويرجع ذلك إلى أن ريموناجيل التيس فقرات
غير كاملة من تشيد فيلاتيروس الأمر الذي يجعل المعنى مضطربا إلا ما تمت
ترجمتها. وعلى أية حال، فإن التفكرات المذكورة تدعو إلى تحمل الصعاب والاعلام من
نبيل الرب. وإلى البعد من التيزات الحسية التي تشغل الجسد : وإلى تجيذ الرب
والإيمان به وتبجيله.

(الترجمة العربية)

١٩٣) كان بطرس بارتليميو جاهلا، لأنه لم يذكر إلا جزءا من العسلات، والمجد في الأعالى
Gloria in excelsis كجزء من القناس. وهذا تفسير للفلسفة الجاهل.

الفصل الثامن

هزيمة كورنيليوس

في تلك الأثناء ، أصبح الطعام نادراً جداً ، حتى أن رأس الحصان يكون
لسان ، كانت تباع ب اثنين أو ثلاثة صولدي ، وأمعاء الماعز بخمسة صولدي .
والدجاجة شمانية أو تسع صولدي . ومادة يمكن أن أخد من أسعار الخبز عنصر
بشعر الجوع بعد أكل ما قيمته خمسة صولدي ١ . أما الأتبياء الذين يملكون
الذهب والفضة والملابس ، فلم يكن غريباً عليهم . أو مرفقاً لهم ، أن يدفعوا
التكاليف الباهظة . هكذا فقد ارتفعت الأسعار لأن ضائقة القرمان الشديدة كانت
تنتقل إلى الشجاعة المسيحية . فكانوا يجمعون التبن الفج ويظهرونه ويبيعونه .
ويستقون جلود الماشية ، والحبوب ، والنفائات الصالحة للأكل ، ويبيعونها بأسعار
مرتفعة جداً ، حتى أن أي إنسان كان يمكنه أن يأكل كمية تكفيه صولدين . ولكن
أغلب القرمان ، الذين كانوا يتوقعون رحمة الرب ، رفضوا أن يذهبوا خيولهم ،
ويحصلوا بدعائهم .

وبينما كانت هذه المصائب وغيرها مما لا يستطيع ذكره لما فيه من يؤس ،
نفض متجمع المسيحيين ، فإن رجالنا لجأوا إلى الحياة ، وأبلغوا الأتراك بحالة
اليؤس التي تعيش فيها أنطاكية ، فأزادوا بذلك من حسرتنا . وحفظت هذه الأنباء
الأتراك إلى القيام بأعمال جريئة جعلتنا غرمة لتهديداتهم . ووقع أحدها في شهر
أحد الأيام . فقد اعتلى نحو ثلاثين منهم أحد أبراجنا ، وخلقوا لفترة من الوقت ،
حالة من الذعر ، ولكن قواتنا التي تعرضت للخطر ، قاتلت بتأييد من الرب .
فقتل رجالنا بعض الأعداء ، وأبعدوا الآخرين عن الشرفات . في ذلك الوقت وبعد
كل الصليبيين باتباع أوامر يوهيند لمدة خمسة عشر يوماً بعد القتال ، بحيث
يمكنه أن يدير أمر حماية أنطاكية ، ووضع خطط القتال . وكان سبب هذا القرار هو
التهديد التركي ومرض الكوليرا وموتد وأدهيسار ، وهروب ستيفن أوف بلوا^(١) .
وأذكرهم بأن ستيفن ، رغم اختياره قائداً صليبياً قبل سقوط أنطاكية ، قد قر

حارباً نتيجة الشائعات بقرب وقوع المعركة . وكما ذكرنا فقد جاءتنا معرفة السماء
للسيحين الملهومين الملقين بالهيم والأحزان . هي طريق بطرس باثولوميو .
مكتشف الجربة ، الذي كان يسدينا النصع فيما نلفل قبل المعركة وأثامنا .
فأخبرنا أن أندرو المبارك قد أمرنا :

« أن الجميع قد أغضبوا الرب إلى حد بعيد ، فوقع عليهم العذاب . وأنت
قد صليت للرب واستمع إليك الرب ، فليهجرك كل منهم الأثم ويوجه إلى الرب .
ويقدم حسن حذقات ، بسبب جروح الرب الحسنة ، وإذا عجز عن ذلك فليردد
« أبانا » خمس مرات Pater Noster . وبعد اكتمال تنفيذ هذه الأوامر ، إبدأوا
المعركة باسم الرب ، ولابد أن تبدأ ، وفقاً لحططة المعركة التي وضعها
الأمراء ، لأن يد الرب ستكون معكم . ومع ذلك فإذا ارتاب أحد في نتيجة
المعركة ، فليفتتحوا الأبواب ، وتدعوه يجرى إلى الأتراك حيث سيشهد كيف
يحميه الله Allah . وأكثر من ذلك ، فليكن أي متخاذل لا يقيم على القتال ، فمع
يهودا ، خائن يسوع المسيح ، الذي تغلى عن الرسل وراح النسيج لليهود .

« وبالصدق ، يجعلهم يتقدمون إلى المعركة . بإيمان بطرس المبارك ،
متسكين بزعم المسيح له عند قيامه وظهوره في اليوم الثالث ، ودعهم يتقدمون
إلى المعركة . لأن هذه الأرض ليست وثنية ، بل تدخل في اختصاص القديس
بطرس . ولشكن مبيحة التجمع بينكم « ساعدنا أيها الرب » . وسوف يساعدكم
الرب فعلاً . وسيقاتل معكم كل وفاق وحظكم الذين ماثروا بشرة الرب ، ولحقت
قيادته عند تسعة أعشار الأعداء ، بينما تقايلون أتم العشر الباقى . أمرعوا إلى
المعركة حتى لا ينفود الرب عدداً مساوياً من الأتراك ضدكم ، ويحاصر أنطاكية
حتى يأكل بعضكم البعض . ولكن كونوا مطمئنين إلى أن الأيام التي تنيا بها
المسيح لمريم ولرسله قد جاءت ، الأيام التي سيطيح فيها بسلكة الوثنيين .
وسحقها تحت قدمه ، ويرفع فيها الإشارة المسيحية . ولكن لا تتحولوا إلى قيام
الأعداء ، طلباً للذهب والفضة » .

ثم تجلست يد القدرة الإلهية ، والذي أمرنا بالأوامر المذكورة أعلن لنا عن
طريق القديس أندرو . ما شجع كل القلوب بالأمال والإيمان ، حتى أن كل مسيحي
شعر أنه قد أحرز نصراً . فعادت إليهم حماسهم للقتال عندما زاحوا يشجعون
بعضهم البعض . وأصبحت الجحوش ، التي كان الحرف والفقر قد أصابها بالشلل
منذ عدة أيام فقط ، تسال عن السبب في تأخير المعركة وتتهر الأمرار . وبالتالي ،
عبد الزعماء . تاريخ المعركة . ثم أرسلوا بطرس الناسك إلى كبروغا . أتاك
الموصل . ومعه أوامر بأن يتخلّى عن حصار أنطاكية ، لأنها كانت تدخل في نطاق
اختصاص القديس بطرس والمسيحيين . إلا أن كبروغا المتعطرين ، أجاب بأنه
سواء كان على حق أو خطأ ، فإنه يرغب في أن يصبح سيدياً على المدينة وعلى
القرعة . ويصل بطرس الناسك بركع أمامه زغماً عنه ^(١١) .

في ذلك الوقت ، تارت مسألة اختيار بعض القوات لحراسة أنطاكية من
الهجمات التي تتم من القلعة ، بينما تخرج قوات أخرى إلى ميدان القتال .
وهكذا ، أقاموا سوراً حجرياً وتحصينات فرق تل يواجه العدو ، وحصنوها
بالصخور ، وجعلوا عليها حامية بها ريموند كووث تولوز . الذي كان مصاباً بجرح
خطير . ومعه مائتان من الرجال . وأتى اليوم المحدد للمعركة . وتناول الجميع
العشاء الرباني . في ذلك الصباح . وخضعوا لإرادة الرب . وحتى للموت إذا شاء
ذلك . ولشرف الكنيسة الرومانية وجنس القرعة .

وقام تنظيم القتال على أساس وجود طابورين متوجهين من اليرغفساليين
من قوات ريموند وأديمار ، مع مشاة في المقدمة . يهاجمون أو يتوقفون طبقاً
لأوامر قادتهم ، ثم يتجمعهم الفرسان كحرس مؤخرة . وسارات قوات يوهيند بنفس
النظام القتالي . وكذا قوات تانكرد وكووث نورماندى ، والقرعة ، والدون
والبرجنديين . وانطلق النادون في أنطاكية بحثون كل رجل على القتال مع
قائده . وكان نظام الزحف كما يلي : هير العظيم ، وكووث الفلاتور وكووث
نورماندى أولاً ، ثم الدوق والأسقف ، وأخيراً يوهيند ^(١٢) . وبهذه الطريقة وقفوا
في صفوفهم القلبية تحت المدينة وأمام باب الجسر .

أهكم هي مباركة تلك الأمة التي يكون مبدعها هو الرب ، والشعب الذي
اختاره ليبرته ١١ ، وكم تغير مظهر هذا الجيش ، من حالة الكسل والتراخي ، إلى
النشاط والحركة ^(١٤) . فقبل أيام قليلة ، كان القادة والنبلاء يسرون في شوارع
أنطاكية بسألون الرب العون ، وكان العامة يسرون في المدينة حفاة ، وهم
يصرخون ويضربون صدورهم ، وبلغ من يؤس حال المسيحيين أن الأب وابنه ،
والأخ وأخاه ، لم يكرهوا يتبادلون التحية ولا النظرات ، وهم يهرون في الشوارع ،
ومع التغير المفاجئ ، في الروح ، صار المرء يرى المسيحيين يخرجون كحياء
تشقة ، ويتعتمون بأسلحتهم ، ويلوحون برماحهم ، ويحتفلون في صخب
بالسلوك والكلام . ولكن لماذا نزرع هذه القصة ؟ إن الرغبة في القتال كانت الآن
أمرأ مفروغا منه ، وخطط القادة كانت تتقذ .

في الوقت نفسه وبينما كان كبروغا يغبى الشطرنج في خيمته ، فقد تواتر
إليه أن الفرزجة كانوا خارجين للقتال . فاضطربت نفسه لهذا التحرك المفاجئ .
واستدعى ميردالين Mirdalin وهو لاجئ تركي من أنطاكية ونبيل شجاع معروف
وصالته : « ماذا يجري ؟ » ألم تخبرني بأن المسيحيين الأقل عددا منا لن يقاتلوا
أبداً لأن عدو الفرزجة كان صغيراً ؟ .

ورد ميردالين على هذا السؤال قائلاً : « لا يسهدي إني لم أبلغك بشيء
من هذا القبيل ، ولكن اتبعني قرف أراقيهم وأنضع لك إذا كان يتركك التغلب
عليهم بسهولة » .

وعندما تقدم الصف الثالث من حلبينا ، استطلع ميردالين صفوفنا وأبلغ
كبروغا : « أن المسيحيين يسرون قبل أن يهروا » .

وسأل كبروغا بدوره : « ألا يمكن دفع بعض المسيحيين إلى الخلف
قليلاً ؟ » .

ورد ميردالين : « لو اندفع العالم كله ضدكم ، ما تحركوا قيد أنملة » .

ودغم خوف كبروغا ، فإنه وضع جيشه العظيم في تشكيل قتالي ، وسع
للمسيحيين أن يخرجوا من أنطاكية دون مضايقات ، رغم أنه كان يستطيع سد
الطريق عليهم . وخشية أن تتعرض تراثنا لشكائكات الإلتهاف من الخلف ، فإن
قواتنا نقلت خططها القتالية نحو الجبال التي كانت على بعد ميلين كاملين من
الجسر ، وتقدمنا في مركب يشبه قارما مركب رجال الدين ، ولعلنا أضيف ، أنه
كان مركب حفاة . فسار الكهنة والكثير من الرهبان وهم يرتدون القمصان البيضاء
أمام صفوف فرساننا ، وهم يشتدون ويطلبون العون من الرب وحماية القديسين .
ومع ذلك فقد حاجنا الأتراك وأطلقوا علينا سهامهم ، ولكن كبروغا ، الذي لم يعد
يتعامل العروضي السحيقة ، اقتبح على قادتنا أن يقاتل خسة أو عشرة من
الأتراك نفس العدد من الفرزجة ، على أن يغادر الجيش الذي انتهزم مشلول من
الفرسان ميدان المعركة في سلام .

وأجاب رجالنا ، « لقد رفعت ذلك عندما أودناه ، ولكن لما كنا على
استعداد للقتال فليقاتل كل إنسان في سبيل حرقه » .

وكما أومحنا ، فقد كنا مصطفىين على السهل عندما حاجت كتيبة من
الأتراك . جاءت من خلفنا ، فرقة من المشاة الذين داروا وقابلوا الهجوم بشجاعة .
وعندما عجزت قوات الأعداء عن القضاء على المشاة ، أشعلوا ناراً حولهم حتى
تحصد النيران من لا يهرب السيف . ولما كانت الأشجار بالغة الجفاف فقد جرى
إنحساب إيجابوي .

ومع جيشنا خارج أنطاكية . وقف الكهنة حفاة يرتدون الملابس الكهنوتية ،
نوق الأسيار يتهلون إلى الرب أن يحسن شعبه ويحمر الفرزجة نصراً يكون
ذليلاً على العهد الذي قسده بدمه . إلا أننا عند التقدم من الجسر إلى الجبل ،
قاتلنا قتالاً شديداً لإحاطة الأتراك بنا . وفي هذا الأثناء ، اندفع الأعداء
مهاجمين الذين كانوا منا في صفوف أدهبار . ومع التفوق العددي فإنهم لم

يجرحوا أنبا من رجالنا أو يظفروا سيوفهم علينا ، لاشك ، بسبب حماية الحرية المقدسة لنا . وقد كنت شاهدا على هذه الحوادث ، وحاملاً للحرية المقدسة . أكثر من ذلك فإذا كانت الشائعة قد انتشرت ، بأن هرقل حامل راية الأسقف ، قد أصيب في القتال ، فليكن معلوماً أنه أعطى رايته لشخص آخر وكان يعينا عن صفوتنا .

ولما حارب كل جنودنا خارج أنطاكية ، كَوْنُ أمراؤنا ، كما ذكرنا من قبل ، ثمانية صفوف . ولكن ظهرت في صفوتنا خمسة أخرى ، قصار عدد الصفوف بذلك ثلاثة عشر صفاً . ولن فر من الكرام على هذا الحدث الجدير بالذكر ، حين أنزل الرب على المسيحيين المتقدمين للقتال ، مطراً خفيفاً إبتهجوا لمطره فكانت قطرات هذا المطر تجلب لن عسهم خفة وقوة ، حتى أنهم صاروا يحرقون العدو ، وهاجموا كما لو كانوا قد تربوا على الطريقة الملكية . وكان لهذا الوابل من المطر تأثير على خيرتنا لا يقل إعجازاً . ودليل ذلك اننى أسأل : أى حصان انهار قبل نهاية القتال ، رغم أنه لم يكن قد أكل إلاغاء الشجر وأوراقه ثمة ثمانية أيام ؟ ولأن الرب قد أضاف جنوداً إلى جيشنا ، فقد تفوقنا عدونا على الأتراك رغم أننا كنا نبدو قبل ذلك أقل عدداً ^(٧) .

وعند اكتمال تقدمنا وتشكيلنا القتالى ، حرب العدو حين أن يعطينا الفرصة للقتال ، ثم طاردتهم قراتنا حتى غروب الشمس . وعمل الرب بشكل مذهش مع الرجال والخيول ، فلم يكن استمع يعوق الرجال ، وإذا بهذه الخيول التى لم تأكل منذ فترة ، والشى قادها أصحابها بعيداً عن العلف الثقيل ، إلى ميدان القتال ، تطارد أسرع الخيول التركية . وأعد الرب لنا حدثاً سعيداً آخر ، وهو أن المدافعين عن القلعة عندما رأوا هروب رجال كبريغا ، يتسوا واستسلم بعضهم بعد ضمان حياتهم ، بينما لاذ آخرون بالفرار على وجه السرعة . ورغم هذه المعركة الفظيعة الرهيبة ، فإن قلة من الفريسان الأتراك قد هلكوا ، ومن ناحية أخرى فلم يشج بهيباته أحد من المشاة . فضلاً عن ذلك فإن الغنائم كانت تنحصر كل خيام

الأتراك والكثير من الذهب والفضة ، والكثير من الأسلاب ، ومكسبات لا تقدر من الخيول . وأعداداً لا تحصى من الماشية ، والجمال . فلذكرتنا بهروب السوربان في سامرة عندما كان صانع الدقيق والشعير يشتري بشيكيل SHEKEL (٧) ، وقد وقعت هذه الأحداث في ليلة عيد القديس بطرس والقديس بولس ، وكان ذلك ملائمة . لأند من خلال هذين الشفيعين المقدسين ، جلب الرب يسوع المسيح هذا النصر إلى كنيسة الحاج الفرجية . حقاً لقد كان ربنا الرحيم هو الذى يعش مع خدمه ويسكن معهم إلى أبد الأبد .



هوامش الفصل الثامن

(١) كان ستيفن كوث بلوا وشعارته صليبا عاق . وكانت زوجته أديلا Adela ابنة وليام الثاني . قد حثته على الاشتراك في الحملة الصليبية . وقد زال أثر هروبه والحزن الذي سببه بصرجه في عام ١١٠٢م أثناء هجوم بلدوين الأول ملك بيت المقدس (١١٠٠ - ١١١٨م) القاتل وفرمانه على القوات الناصية في الرملة . انظر :

James Brundage, An Errant Crusader Stephen of Blois, in Tradition, 16, 1960, pp. 380 - 395.

(٢) بحث الفرنج مع بطرس الناصك بترجم يدعى آرلين Actin لمساعدته في انتقام مع الشبلين . وذلك في ٢٧ يولية ١٠٩٨م / ٢٥ رجب ٤٩٩هـ . ولا تعرف ما هو تأكيد ما جرى على لسان كزيوفا و بطرس . يبدو أن الأخير حاول في أول الأمر إغاثة كزيوفا وتهديده بالكلام عن إمكانية الصليبيين وأسلحتهم وقسكهم بأنطاكية . وربما جرت اقتراحات بإجراء مفاوضات فردية لحسم الأمر ، إلا أن السفارة الصليبية اصطلمت بمناد كزيوفا الذي رأى أن يحصل الصليبيين دون قيد أو شرط ، أو أن السيف هو الذي يحسم من تكون له المدينة . انظر :

Albert d'Art, p. 426; Gregory Beithada, charbon d'Amiocha en provençal, French Trans. by Meyer, in ADL, vol. 2, pp. 496 - 498.

ويذكر الفرنج الإنجليزي وليام مالمسبري أن كزيوفا رفض الرد على بطرس واستمر في لعب الرد . وصار على أماله وصرف بطرس كما جاء . انظر :

William of Malmesbury, Gesta Regum Anglorum, 2 vols. ed. W. Stubbs, in RS, London, 1889, vol. 2, p. 419.

(الترجمة العربية) .

(٣) هيو العظيم Hugh the Great ابن هنري الأول ملك فرنسا وعرف بكونه فيرمندوا . واشترك أيضا في صليبية ١١٠١م . وكما جاء في بعض الروايات . فقد تلقى حثه في طرسوس لإخباته بسلم جرحه بقاتل .

(٤) بدأ وصف معشريات الصليبيين الشفيرة بمسيرة د . آ . كد هي مباركة تلك الأمة التي

الفصل التاسع

موت أدهيسار والإبلاغ عن رؤى

في أعقاب الانتصار استولى يوهينند ، والكونت والدوق ، وكونت الفلاتير على القلعة من جديد ، ولكن يوهيند أجبر شرا دفعه إلى الإثم ، فاستولى على الأبراج العالية ، وطرد بالقوة أتباع جودفري وكونت الفلاتير وكونت سان جيل من القلعة متعللاً بأنه كان قد أقسم للتركي الذي سلمهم أنطاكية أنه هو فقط الذي سيملكها^(١١) . وتشجع يوهينند بهذا العمل الذي يردون عقاب ، فجاء يطلب بالقلعة وبأبواب أنطاكية ، التي كان يحصنها ريموند وأدهيسار وجودفري من أيام حصار كيريغا ، واستسلم الجميع بانتشاء الكونت . فترقم حالة الضعف التي كان عليها ريموند فإنه لم يشأ أن يتنازل عن باب الجسر ، ولم تشد عن عزمه الصلوات ، والوعود ، والشهيدات .

وقلق قادتنا بسبب الصراع الداخلي الذي قوض أسس العلاقات الودية ، بحيث أن قلة فقط هي التي كانت تتجنب النزاعات مع الزملاء أو الخدم على السرقة أو العنف . وفي غيبة قاض يمكنه أن يناقش القضايا ، فإن كل شخص أصبح قانوناً في حد ذاته . وفي هذه الظروف لم يكن للكونت الميراث والأستاذ يقدمان حماية كبيرة لاتباعيهما . ولكن لماذا تشغل أنفسنا بهذه التفاصيل الصغيرة ؟ فالصليبيين الذين كانوا يرفلون في غمول وثراء ، وخلاقاً لأوامر الله ، أجبروا الرحلة حتى أول نوفمبر . ونحن نعتقد ، أن النتيجة لم تقدموا . فإنه لم تكن هناك سيرة بين أنطاكية وبيت المقدس تلقى عليهم حجراً واحداً . فقد كانت مدن المسلمين في ذلك الوقت تعيش في رعب وفضول شديدين بعد هزيمة كيريغا^(١٢) .

في هذه الأثناء ، انتقل إلى الرب في سلام - في الأيام الأولى من أغسطس أدهيسار^(١٣) اللورد أسقف في بويه المحبوب من الرب والناس . والذي كان بلا خطأ في تقدير الجميع . وكان حزن كل المسيحيين عليه عظيماً عندما

وفي الحقيقة ، فقد حل النشاط محل التراخي ، ولم يجرده ريمونداجيل في استخدام معلوماته عن التعرف السديد الذي سلكه الفرنج في هذه اللحظة . كما بين أيضاً الشبان يجعل كيريغا مضطرب النفس وهو يلعب الرد .

(٥) لم يتم التعرف على من يحمل لقب ميردالين Mirdalini من رجال كيريغا ، وربما كان في الاسم تحريفاً قائماً على الكلمة الفرنسية القديمة أميرال Amiral ، من كلمة أمير العربية . وقد تصح وثاب بين محمود وهو قائد عربي ، تصح كيريغا بأن يتخذ على الفرنج بجرده خروجهم من المدينة . واختار كيريغا أن يهاجمهم جميعاً قلعة واحدة على أمل أن يحقق نصراً كاملاً .

- ربما افتر كيريغا بتخامة قرائه حيث أمر كتابه أن يرسل إلى الخليفة العباسي وإلى السلطان السلجوقي يخبرهما بحصاره للفرنج ، ويؤكد انتصاره عليهم . وربما أكد له فكرته هذه ما سمعه عما سببه الهجمات للفرنج من متاعب ، انظر : ابن الأثير وراجع أيضاً .

Matthieu de Baldouin III. Historia Nicenae vel Antiochenae Prologum. in RHC - H. Occ., vol. 5, p. 163.

(الترجمة العربية) .

(٦) لم يكن وصف ريمونداجيل للمعركة ثرياً بالمعلومات التاريخية . ويفضل الموضح أن يكتب عن مواكب القضاة الصليبية مقارناً إياها بالمواكب الكثرية . ويستخدم الخبرة القديمة كأثر نافع في المعركة ، ولم يقاوم نفسه في جعل المطر الحليل المحبب يسقط على الصليبيين . وهرقل هو فيكونت بوليغناك Polignac وهو الأخ الأصغر ليوئز . ومدينة بوليغناك تقع بالقرب من لي نويه مقر أسقفية أديمار . ولقد عارض يوينز وهرقل إصلاحات أديمار .

(٧) يذكرنا انتصار الصليبيين ، بهروب السريان في السامرة . وهذا التشبيه مقبول من سفر الملوك . انظر

وقد وقعت المعركة في صباح يوم ٢٥ يونية ١١٩٨ م / ٢٦ رجب ٤٩٩ هـ .

= وفي الحقيقة ، فقد حل النشاط محل التراجع ، ولم يتردد ريمونداجيل في استخدام معلوماته عن التصرف السديد الذي ملكه الفرنج في هذه اللحظة ، كما بين أيضا الشبان يجعل كبريوا مضطرب النفس وهو يلعب التره

(٥) لم يتم التعرف على من يحمل لقب ميردالين Mirdalin من رجال كبريوا ، وربما كان في الاسم كبريوا قائما على الكلمة الفرنسية النقية أميرال Amiral ، من كلمة أمير العربية . وقد تصحح وثاب بين محمود وهو قائد هربس ، تصحح كبريوا بأن يغش على الفرنج بجرد خروجه من المدينة ، واختار كبريوا أن يهاجمهم جميعا دفعة واحدة على أمل أن يحقق نصرا كاملا .

- ربما اغتر كبريوا بشخامة ثرائه حيث أمر كاتيه أن يرسل إلى الخليفة العباسي وإلى السلطان السلجوقي يخبرها بحصاره للفرنج ، ويؤكد انتصاره عليهم . وربما أكد له تكرره هذه ما سمعه عما سببه الهجمات للفرنج من متاعب . انظر : ابن الأثير ، راجع أيضا :

Manitum in Balduini III. Historia Nicetas vel Antiochenae Prolegomeni in RHC - H. Occ. vol. 3, p. 163

(الترجمة العربية)

(٦) لم يكن وصف ريمونداجيل للمعركة ثريا بالمعلومات الثاقبة . ويغفل المؤرخ أن يكتب عن مراكب القتائل الصليبية مقارنا إياها بالمراكب الكهفوتية . ويستعبد المعركة المنسة كأثر تابع للمعركة ، ولم يمارم نفسه في جعل الطر الخفيف الحبيب يسقط على الصليبيين . وهرقل هو نيكوت بوليجناك Polignac وهو الأخ الأصغر ليويز ، ومدينة بوليجناك تقع بالقرب من لي نويه مقر أسقفية أديمار . ولقد عارض يوز وهرقل إصلاحات أديمار .

(٧) يذكرنا انتصار الصليبيين في هروب السريان في السامرة ، وهذا التشبيه مقصود من منظر المثلوك ، انظر Liber Quatuor Regum, 7 : 18 . وقد وقعت المعركة في صباح يوم ٢٨ يونيو ١٠٩٨ م / ٢٦ رجب ٤٩١ هـ .

الفصل التاسع

موت أديمار والإبلاغ عن رؤى

في أعقاب الانتصار استولى بوهيمند ، والكوت والدوق ، وكوت القلائد على القلعة من جديد ، ولكن بوهيمند أضر شرا دقعه إلى الإثم ، فاستولى على الأبراج العالية ، وطرد بالقوة أتباع جردقري وكوت القلائد وكوت سان جيل من القلعة متعللا بأنه كان قد أقسم للشركي الذي سلبهم أنطاكية أنه هو فقط الذي سيملكها^(١) . وتشجع بوهيمند بهذا العمل الذي مرّ دين عقاب ، فجاء بطالب بالقلعة وبأبواب أنطاكية ، التي كان يحسبها ريموند وأديمار وجردقري من أيام حصار كبريوا . واستسلم الجميع باستثناء الكوت ، فرغم حالة الضعف التي كان عليها ريموند فإنه لم يشأ أن يتنازل عن باب الجسر . ولم تشه عن عزومه الصلوات ، والوعود ، والتهديدات .

وقلن قادتنا بسبب الصراع الداخلي الذي فُرض أسس العلاقات الودية ، بحيث أن قلعة فقط هي التي كانت تتجنب النزاعات مع الزملاء أو الجند على السركة أو العنف . وفي غيبة قاضي يكتنه أن يناش القضايا ، فإن كل شخص أصبح قانونا في حد ذاته . وفي هذه الظروف لم يكن الكوت المريض والأسقف بقدمان حماية كبيرة لثياعهما . ولكن لماذا تشغل أنفسنا بتثلي هذه التفاصيل الصغيرة ؟ فالصليبيين الذين كانوا يرفلون في حوله وثراء ، وخلفاء لأوامر الله ، أجروا الرحلة حتى أول نوفمبر . ونحن نعتقد ، أن النتيجة لو تقدموا ، فإنه لم تكن هناك مدينة بين أنطاكية وبيت المقدس تنقذ عليهم حجرا واحدا ، فقد كانت مدن المسلمين في ذلك الوقت تعيش في دعب وضعف شديدين بعد هزيمة كبريوا^(٢) .

في هذه الأثناء ، انتقل إلي الرب في سلام - في الأيام الأولى من أغسطس أديمار^(٣) المروءة أسقف لي بويه المحبوب من الرب والناس ، والذي كان بلا خطأ في تقدير الجميع . وكان جزء كل المسيحيين عليه عظيما عندما

مات ، حتى أننا ، وقد كنا شهود عيان له ، لم نستطيع أن نصف زبدود الأفعال
عندما شرعنا في تسجيل عظمة الأحداث . ولقد أثبت تثبت القادة في أعقاب
موت أدهمار ، وعودة يوهيند إلى قيليكية ، ورحلة جودفري إلى الرها ^{١٤١} كم
كان أدهمار نافعاً لجيش المسيح Militia Christi ولقاداته .

وفي الليلة التالية لدفن الأسقف في كنيسة بطرس المبارك في أنطاكية .
ظهر الرب يسوع وأندرو المبارك وأدهمار في كنيسة ريموند لبطرس
بارثولوميو ، وهو الرجل الذي كان قد حدد موقع الحرية في أنطاكية . ثم قال
أدهمار لبطرس :

« الشكر للرب ولـيوهيند ولكل إخوتي الذين خلصوني من الجحيم . فبعد
اكتشاف الحرية ، أمنت في الآثام ، وألقي في لذلك في الجحيم . وجلدت
بقترة ، وكما يمكنك أن ترى ، فقد احترق رأسي ووجهي . وثبتت روحى في
الجحيم منذ الساعة التي غادرت فيها جسدى . حتى أعيد جسدى النقص إلى
التراب . أما الثوب الذي تراه الآن فهو ثوب أعاده الرب إلى في اللهب المشتعل .
لأننى عند ترسسى أسقفاً كنت قد أعطيت لأحد الفقراء . شكراً للرب ورغم أن
جهنم كانت تغلى وكلايب جهنم ترمجر في وجهي . فإنها لم تعب منى أى شيء
تحت الثوب . ولم يتفنى من كل الأشياء التي حملتها من ذهني . كما أفادتني
شعرة قدمي أصدقائي تقدمت لى . والدنانير الثلاثة التي قدمتها للحرية . فقد
أحييت هذه الصدقات عندما خرجت من الجحيم . وقال سيدي يوهيند أنه سيحمل
جسدى إلى بيت المقدس . ومن أجل خاطره ، فإنه لن ينفل جثمانى من مقره لأن
بعض دم الرب الذي أصبحت الآن مرتبطاً به مازال هناك .

« ولكن إذا كان يشك في أقوالى فليفتح قبرى . وسيرى رأسى ووجهي
المحترقين . وقد عاهدت بأثياعى إلى سيدي . الكوث ، فليعاملهم ريموند بعطف
حتى يكون الله رحيماً ويقب بوعوده . كما أن إخوتى لا ينبغي لهم أن يحزنوا
لورى . لأننى سأكون أكثر نفعاً ، وأنا ميت ، مما كنت حياً ، إذا ساروا بالحفاظ

على قوانين الرب . كما عيش أنا وكل إخوتى الراحلين معى . وسوف أظهر وأنتم
بصحة أفضل مما كنت أقدمه حياً . فاعلموا يا إخوانى بالأم الجعيم الثقيلة المخيفة
وأعيدوا الرب . مخلص الإنسان من هذه الآلام وغيرها . فالسيد حقاً من يتجو
من عقوبات الجعيم . فالمخلص يستطيع أن يمنح عفوه لمن حافظوا على وصاياه .
كما عليكم أن تيقوا على هذه النقاط المتساوقة من هذه الشعرة والصبغة عند
الفجر . ولما كنت ميتاً قليتخب الكوث ورجال المختارين أسقفاً بدلاً منى . حيث
أنه لا يلىق أن يبقى كرسي أسقفية لريم المبارك بدون أسقف . وأعطوا إحدى
جباياتي لكنيسة القديس أندرو ^{١٤٢} .

ثم قسم أندرو المبارك احتراماته واقترب وأمر : « فاعلموا بكلسات الله التي
أنطق بها . تذكر يا ريموند الهدية التي سلمها لك الرب . وليكن ما تقطعه باسمه
إلى برشدك الرب في كلامك وأفعالك . وقبل صلواتك . فإن نبتة أول مدينة
منحها لك الرب . إنما حرقها هو إليك . لقد أعطاك الرب مدينته . وانزعها من
أعدائك . لكن تذكر له بعد ذلك في هذا المكان . لأن أعمال الرب لم تكن
معمودة فتاة . وإذا طلب أحد معرفة الرب كان يعاقب . ومع ذلك فإن الرب
يحبه . واحسانه لا يريد أن يتخلى عنكم . وسينحكم ماتطلين . بل وأكثر مما
حسروكم على طلب . لأنه سألكم الحرية . التي اخترقت جسده الذي جرى
عنه دم ^{١٤٣} فذكروا أن الرب لم يعطكم هذه الهدية لتسيروا كما
فعلتم في الأسرى . وتستطيعون بكل تأكيد أن ترون أن الرب لم يعطها
لأولئك فيكم .

« إلى الرب وأمره . يا ريموند . أن تعبرك من بطيح أكثر إلى حركم
أنطاكية . وصلى من دور الرب في حركه . لذلك فإننا وجدت أنت وإخوانك .
وأنتم الحراس على أنطاكية . من يقدم بؤخلاص على سدالة الرب . فاعطوه
الهدية . ولكن إذا كان يخطط للاحتفاظ بأنطاكية بالقوة . معتقراً بذلك العدالة
والحكم . فاعلم أنت وإخوانك الشجرة من الرب . وسوف يقدمها لك . ولن يخلو ذلك
الأثياع . والذين يعبدون الرب حقاً . أما غير الأثياع . فيسكتهم أن يعودوا إلى من

هو عدو للعدالة ، وسترون كيف سيتقدم الرب . ستزول بهم حقاً نفس اللعنة التي
أنزلها الرب وأمه إبليس الذي هوى . فإذا كنتم متفقين . فاطلبوا النصح في
الصلاة . وسقدمه لكم الرب .

وإذا كنتم متفقين : فاعقدوا صلواتاً بخصيص بطريرك لقانونكم . ولا
تفتحوا القرآن للأمرى الراغبين في التسلك بوصاياكم . ولا تسمحوا لهؤلاء الذين
اتبعوا القرآن لكن يعبثوا بالله الذي يعبث الأتراك ¹⁸¹ . أنظروا إليهم
كأتراك . وأرسلوا اثنين أو ثلاثة إلى السجن وسدلوهم على الآخرين . وبعد
الانتهاء من هذه المهمة . اطلبوا مشيئة الرب بخصوص الرحلة الصليبية .
ومبعضكم النصح . ولكن إذا لم تتفقدوا طلة الأمر ، فإنكم لن تصلوا بيت المقدس
في عشر سنوات . رغم أنها لا تبعد عنكم إلا عشرة أيام . وسأقود الكفار إلى
بلادهم من جديد . وستنصر مائة منهم عليكم . وبالإضافة إلى ذلك . فإن عليكم
يا خدم الرب . أن تستعطفوا الرب كما فعل الرسل . وكما استجاب لصلاتهم فانه
سيستجيب لصلاتكم .

أما أنصا . يا ريموند وبوهيمند . فاذعوا إلى كنيسة أندرو المبارك .
وسيطعكم أفضل نسخة من الرب . وانصوا ما يرضه الرب في قلوبكم . وبعد
هذه الرؤيا لأندرو المبارك تاملوا أمامه . لا أنتم فقط . بل اجعلوا إخوانكم يفعلون
ذلك أيضاً . وكل وسيلة . اجعلوا السلام وجب الرب يسوع بيسكم . يا ريموند
وبوهيمند . لا تخشوا إذا انفقتا . فليستطيع شئ . أن يحطمكما . ويطبق بكما
أن تعملوا العدالة التي يجب أن تقيماتها . فاجعلوا كل الرجال الموجودين عن طريق
أسقف كل منهم يعلنون على أنلأ قبة ثروتهم . ويساعدون الفقراء . حسب
مقدرتهم والحاجة إلى هذه المساعدة . وتصرفوا طيقاً لاتفاق عام . وإذا لم يريدوا
مراعاة هذه القاعدة وغيرها من القواعد العادلة . فاكبحوا جماحهم . وإذا رغب أي
شخص في امتلاك أي مدينة . اعطاها له الرب من أجل المسيحيين . فيملك
المسلك الذي يتفق مع الوصايا المذكورة . وإذا لم يقبل فليعاقبه الكونت وأبناء
الرب .

واقبت تحذيرات القديس أندرو تصديقاً في أول الأمر . ولكن مرغان ما
كان تعذيبها التجاهل . فقد قال بعض الصليبيين . قللوا أنطاكية إلى
الكسيوس . ولكن آخرين اعترضوا .

وتبعاً بعد . وأثناء حصار عرقة . وبينما كان بطرس بارثولوميو يركب وقاد
الموت . استدعى الكونت وأوصاه قائلاً : « عند وصولك إلى بيت المقدس مر
الجيش أن يحلوا للرب لبطل حياتك وسيف يضاعف الرب عسرك . وعند عودتك
ضع الحرية على بعد خمسة فراسخ من كنيسة سان تروفيموس ومر ببناء
كنيسة هناك : وأنت - بقم - مالا كثيراً . ولا تسمح بأرتكاب أي باطل في هذا
المكان ¹⁸² . ويسمى هذا المكان جبل البهجة . ولعل هذه الأشياء تنفذ
في بروفانس لأن بطرس المبارك وعد تلميذه تروفيموس أن يسلمه الحرية
المقدسة » ¹⁸³ .

وأعلنت مصالح القراء بسبب الصراع والشقاق . ولم يحدث شئ . بخصوص
الشدة التي تلقاها القادة من القديس أندرو في ذلك الوقت . حاصر أتراك حلب
قلعة تسمى عزاز ¹⁸⁴ . وقتل الأتراك المحاصرين داخلها . فطلبوا من
جودفري . الذي كان في منطقة قريبة منهم . أن يسلموه قلعتهم . لأنهم يفضلون
سيلاً فرنجياً . وبالتالي استمضى النوب عند عودته إلى أنطاكية . ريموند الذي كان
قد شفى من مرضه . وكل قرصانه ومشائبه الذين كان الكونت قد قادهم إلى أراضى
السليين لنهب الريف من أجل القراء .

كما جد في طلبه من ريموند أن يسرع الأخير من أجل الرب . ومن أجل
شرف جيش الفرنجة - لمساعدة الأتراك المرتدين الذين كانوا الآن يستصرخون
الرب . كما أوضح أن الأتراك المحاصرين وسوا علامة الصليب في مواجهة آلات
المحاصرين . ونتيجة لهذه الإلتصاقات وغيرها . سار الكونت مع جودفري . إلا أن
الأتراك تخشوا من الحصار الذي ساءل هذا السنة . وبالتالي فعند وصول جيشنا إلى
عزاز . أخذ الدوق وهاتين من القلعة لبعضهن ولاء أهل عزاز في المستقبل . وعاد

يرتد إلى أنطاكية وقد تكبد حيث نفقات كبيرة . وهنا ، استدعى قمرانه لكي
يلوه الناس الفقراء ، الذين انقضت معيشتهم بسبب الجوع والتعب إلى أماكن
السجن ١٩١ .

وفي نفس الوقت ظهر القديس أندرو بطرس بازنطوليوس في خيمة في قلعة
الريج Castel - Rouge التي كان يحتلها أسقف أبث Api ، وريونداجيل ، كاهن
الكوث ، وكان يدعى سيمون . وعندما سمع سيمون الحديث بين القديس أندرو
وطرس ، غطي رأسه ، وكما قال فيما بعد ، سمع كثيراً مما دار ، ولكنه لم يذكر
إلا ، سيدي ، إنني أقول ... ١٩٢ .

ومع ذلك فقد أضاف أسقف أبث : « إنني غير متأكد ما إذا كنت قد رأيت
حسباً أو لم أر . ولكن رجلاً كبيراً في السن يرتدي عمامة بيضاء . وعيك في يده
حرية الرب المقدسة ، وسألتني : « هل تؤمن بأن هذه حرية يسوع المسيح » .

فأجبت قائلاً : « إنني مؤمن بذلك ياسيدي ١ » . وعندما كبر السؤال مرة
ثانية وثالثة أجبت قائلاً : « حسناً إنني اعتقد أن هذه هي الحرية التي استنزفت الدم
من جنب يسوع المسيح الذي اقتدى به الجميع » .

ثم هزمني أسقف أبث ، وريونداجيل ، وأنا نائم على مقربة . وعندما
استيقظت لاحظت العنود غير العادي ، وكما لو كانت النعمة الإلهية قد دخلت
روحى . استشرت من أسقفائى الحاضرين عما إذا كانوا يشعرون كما لو كانوا في
مجرعة تحركها عاطفة عظيمة ، وردوا جميعاً : « لا ، حقاً » . وبينما كنت أبعد
ما بين ، إجاب بطرس منقش الوجه المسكين : « إنك رأيت فعلاً نوراً مبهجاً لأن
الرب ، صاحب كل النعم ، كان يقف في هذه البقعة لفترة طويلة » .

وعندما طلبنا منه أن يحكى كلمات زواره المساورين ذكر بطرس لنا
والكوث ما على :

« الليلة جاء هنا الرب وألقى الشرارة في شكلهما المقدس » . في صخرة

رفيق صغير ، في حية طويلة ويرتدى ثياباً من الكتان . ثم أن أندرو المبارك ،
وقد أسخطه أنني تخليت عن رفاته الموجودة في الكنيسة في أنطاكية ، هذه في
عنف واستأنف قائلاً : « بعد أن ألقى الكفار من فوق الجبل بدون احترام ، إنكسر
لى إصبعان ، وبعد مرتين حنظلهما هذا الرجل ثم نقلهما إلى أنطاكية . ولكنك لم
تهتم كثيراً ببقاياه بعد أن عثرت عليها ، فسمعت برقة أحدهما ، ودميت الآخر
بشكل مشين : « ثم أرائى يده التي كان يفتضها إصبعان » .

واستأنف بطرس قائلاً : « أيها الكوث ، لقد انتفدك القديس أندرو
بقسوة ، لأنك لا تحشى ارتكاب الأثام الخطيرة الشريفة . رغم أنك تلقيت الهدية
التي لا توصف التي حنظلهما الرب لك وحده . وهذا هو السبب في أن الرب أعطاك
هذه العلامة : وهي على رجة التعرير . أنك في عيد القديس فيدبس مثل خمسة
أيام فسمعت تقعدة في شجرة كبيرة تستغرق ثلاثة أيام وثلاث ليال لتحترق .
ولكنها سرعان ما ذات ، وهوت إلى الأرض . وهذه اللبلة على العكس من ذلك
قدمت شجرة صغيرة لا تنكح تنكح لأن تحترق تماماً قبل صباح الذكبة . وهي تلقى
صوتها وتطلب إلا تنكح الآن . رغم أن للتيار قد طلع الآن ١٩٣ » .

لذلك فإن الرب يطلب منك هذه الأشياء : لا تقم بشئ ، حتى تكون قد
كفرت عن ذنوبك . لذلك إذا لم تفعل ذلك ستكون أنت ومشروعائك كشعة ذاتية
تعود إلى الأبد . ولكن الرب سيجعل كل أصالك تامة ناجحة باسم الرب . إذا
كفرت ، وسخطم الرب جهودك الصغيرة . كما جعل هذه الشجرة الصغيرة التي
قراها تليق وأنت طويلاً » .

ورغم أن ريفون أنكز جماعة أثناس : قال اعترف واكفر عنها بعد أن واجهته
بطرس بازنطوليوس بنفيه .

واستمع بطرس في توجيه كلامه إلى الكوث : « أيها الكوث إن أندرو
المبارك يعترض على مستشاريك لأنهم قدسيا لك نصيحة سوء لغرض ما . وإليها

فإنه يأمر أن تتجاهل نصيحتهم . إلا إذا اتصموا على ألا يعطوك نصيحة غير
طيبة وهم يعلمون ذلك . »

« استمع جيداً يا روثيد . إن الرب يأمرك ألا تضعي الوقت . لأنه
سيساعدك فقط بعد الاستيلاء على بيت المقدس . ولا تجعل صليبياً يقترب أكثر
من فرسخين عندما تقترب من بيت المقدس . وإذا اتبعت التعليمات . فإن الرب
يسلك المدينة . »

« وبعد هذه الأوامر شكرني القديس أندرو كثيراً لأنني حققت نكريس
الكنيسة التي شيدت باسمه في أنطاكية . ولم يشكلم في هذه الأمور فقط بل في
أمور أخرى لا تحصى الآن . وبعد ذلك صعد هو ورفيقاه إلى القضاة . »

* * * * *

هوامش الفصل التاسع

(١) قام أحمد بن مروان . مشرف القلعة . بتخليصها للفرنج بعد تأكد من هزيمة كيريلان
ومعج الفرنج لحامية القلعة بالمخروج منها . وارتد أحمد بن مروان . ويقرر ريموناجيل أن
الصليبيين اشتركوا في امتلاك القلعة . بينما يقرر هؤلاء الجيوش أن ابن مروان قد عدل
من رأيه ولم يعلم القلعة لكروث ترلوز . وأعطاهما ليوهيند . انظر : *Coste*, p. 158.
ويذكر ريموناجيل أن يوهيند كان « يضر الشر الذي دفعه إلى الإثم » . انظر :
5 : 7 . وفي ذلك الوقت أصبح العداء بين كروث ترلوز ويوهيند صريحاً .

(٢) يمسك المؤرخ سر . فهم رجال الدين حين تناوؤم الأمور العسكرية . وقد فرخت مشاكل
الحش المجهد . والإمدادات . وفشروا القدس الصلابة على الفرنج تأجيل المسير
إلى بيت المقدس والبقاء عند أنطاكية .

(٣) كان موت المذبذب الإسباني نتيجة لهما . تنشئ في أنطاكية لكثرة البحث التي لم يتم
مزاراتها التراب . انظر :
Albert d'Aix, p. 435.
(الترجمة العربية)

(٤) إلشمن زعماء الفسريج ملأوا لهم بعيداً عن أنطاكية فحبوا لولاء المنتصر في المدينة .
فاجتاز يوهيند جبال طرطوس إلى قيليقية حيث أكد سلطانه فيها استولى عليه
تكرين من أملاك . كما توجه جودلري إلى تل باشر والراوندان حيث سلمها له أخوه
بولنوين . بينما توجه روبرت الثورماندي إلى اللاذقية . انظر :

ibid., pp. 448 - 449

(الترجمة العربية)

(٥) مات أديمار في أول أغسطس ٩٨٠ م . وقد مدحه المؤرخ بالرغم من أنه كان خاضعاً
له لشككه في الحرية النفسية . وروايته عن عودة أديمار في رؤيا كانت بشكل
خبري . وهناك رواية مشابهة في عودة القديس ليونيس *Fabry* . انظر :

Benjamin Thorpe. *The Homilies of the Anglo-Saxon church*, London,
1844 . vol. 2, pp. 322 - 339

ولقد أنقذ أديمار من العقاب لأنه كان إنساناً طيباً . وعن المقالات المتعلقة بإسهامات
أديمار . انظر مقدمة الترجمة الإنجليزية . حاشية رقم ١٩٧ . ونصحت جيس بروناتج

أنا تلقى من قدر اللورد الذي قام به أدهيسار . ولقد أوضحنا أن المصادر الأولية محدودة للغاية ، وأن مزيداً أدهيسار يجب أن يفتأشوا بسبب هذا العت . ونحن أيضاً تبعت حسب هذا العت في المصادر . واعتراضاً بحقيقة أن أدهيسار قد مات في وقت حرج ، فإننا لا نستطيع القول بأنه استطاع أن يلم شمل الصليبيين . لمجرد أن زال الخطر المشترك ، لن غير المحتمل أن يكون أدهيسار قد استطاع أن يقع الإشتاق بين الشرمان واليهودنصاليين . وقد عبر ريموناجيل آسن تعبير عن ذلك حين قال على لسان أدهيسار أنه سيكون أكثر للعلماء وغيرهم منه وهو من .

(٦٦) رواية التاريخ عن تعليقات أنطوني إلى ريموند جاءت منبهة ، وفيها بعد أنورد بأن الرب لا يريد أن يتخلى عنكم ، ويستحكم ما تظنون . وهذا للاختلاف هذا التعبير في العهد القديم (الزامير وبنو الشعب) . انظر : Pralms, 24 : 5-6; Deuteronomy, 31:8.

(٦٧) يستعمل المؤلف كلمة Corazonem (خراسان) ليعتد بلاه الوثنيين . انظر ما سبق من الفصل الخامس ، عاشية (٦٦) ، انظر أيضاً :

Marthow, 11 : 21; Lukem 10 : 13.

وقد تجاسرنا على استعمال كلمة و القرآن و نظراً لحقيقة أن معنى تليغ يكون واضح .

(٦٨) وعرة مدينة أسلامية تقع على بعد خمسة عشر ميلاً من طرابلس . ويقسم المشرق الأجنات في روايته ويكشف عن مهارته في كتابة التاريخ بعد الأحداث .

(٦٩) كان تروقيموس Teophimus أسقفاً أسطوريا لأرس Aris ومن المشهور أنه تابع لتقليد بطرس . انظر : Acts, 20 : 4, 21 : 29.

وقد تأملت التعاليم الخاصة بكنيسة في الأسطورة . وكان معنى التي سموتيل يسى جبل البهجة Monjoie .

(٧٠) عزاز تقع أر Harat مدينة من مدن العتيد الوسطى تقع إلى الشمال الشرقي من أنطاكية . وكانت الحملة على عزاز في ١٤ - ١٧ سبتمبر ١٠٩٨ م .

- عزاز ، بليدة بها قلعة . تقع على بعد أربعين كيلومتراً شمالى حلب ، على الطريق الرئيس بين أنطاكية من ناحية ، والرها وتل باش من ناحية أخرى . انظر : باقرت الحسرى : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٦٦٧ .

ومن الواضح أن الترجمة الإنجليزية لم تهتم بتحديد المواقف التي لم يرد لها وصف في كتب المؤرخين اللاتين المعاصرين . إلا أنه من الواضح أن الترجمة الإنجليزية كان حل

الاهتمام قلالها بترجمة النص اللاتينى . فالمعلومات عن هذه المواقف متوفرة في كتب الرحالة اللاتين ، الذين تروى بأعمالهم مجزوعة تصور من حجاج فلسطين وبيت المقدس . (الترجمة العربية) .

(٧١) موضوع ارتقاء بعض المسلمين عن الاسلام ، الذي يرد في المصادر اللاتينية يحتاج لدراسة مفردة حيث تشكلت الشكوك . وهذا مااستقرم به في بحث مفصل إنشاء الله . أما ماورد ريموناجيل هنا فتتقصه الدقة وبعد عن الحقيقة . فكل ماحدث أن ابن عرس صاحب عزاز كان قد خرج من طاعة سيده وضوان ملك حلب السلجوقي . واستجد بالفرنج بعد أن قام وضوان بحصار عزاز . وبجهد الفرنج انظر وضوان أن يرفع حصاره عنها . وأمر الفرنج ابن عرس في أملاكه ، واتخذ ريموند كوث تولى تعلقاً من أقصائه . انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٤١ . راجع أيضاً :

Alber d'Aix, pp. 435 - 449.

وهذا الحدث يدل على أن الأمراء المسلمين - المسلمين على أنفسهم - بدأوا يستعينون بالفرنج في حازماتهم . كما يدل على أن الفرنج أنفسهم بدأوا يميلون إلى أن يتس إلىهم اتباع مسلمين . مما يسهل لهم تحقيق أطماعهم في المنطقة . انظر :

Runciman, op. cit. vol. 1, p. 257.

(الترجمة العربية) .

(٧٢) قلعة الراج (القلعة الحمراء) Chant Rouge قلعة من قلاع القسرتج وكانت تسمى روجيا Rujia . وتقع بجوار أنطاكية . وكان أسقف آيت Api منسب معية ريموند كوث تولى . وآيت إحدى مدن إقليم بروفانس . وسلمان Simon من قبيل إقتصر التعريف به على الإشارة القصيرة التي أوردتها ريموناجيل عنه .

- والراج كورة من كورة حلب في غربها يشها وبين العرة . انظر : باقرت الحسرى : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٨٢٨ .

(الترجمة العربية) .

(٧٣) حشرت قصة السعة الثانية في كتابا معلومات التاريخ عن العلوم القياسية . كلما استقرت السعة وقتاً أطول في الإشتاق ، كلما زادت طهارة من قدمها . وعندما تحترق سعة ريموند بسرعة لهر يتوقع عقابها فيها . انظر :

Patrick F. Moran, Acta Sanctorum Bernard, Dublin, 1872, pp. 107 - 126.

وكان يحتفل بعيد القديس ليديس Fidis في ٦ أكتوبر من كل عام .

الفصل الحاشـر

الاستيلاء على اليازة ومعونة النعمان

وبعد ذلك بوقت قصير تقدم ريموند ، يصحبه الحجاج الفقراء وقلة من الفرسان ، داخلين الشام حيث استولى بشجاعة على اليازة . أول مدينة إسلامية لم طريقه ^(١) . وهنا قتل الآلاف ، وأعاد آلاف غيرهم ليأبوا كعبيد في أنطاكية ، وأطلق سراح الجناء الذين امتثلوا قبل سقوط اليازة . وبعد ذلك ، وعلا برأى كهنته وأمرائه ، اختار الكونت بطريقة صحيحة تستحق الثناء ، كما أن يكون أسقفا . وبعد اجتماع عام تسبق أحد كهنة الكونت الأسرار ، وأعلن على كل الناس رغبات ريموند . ولما كان الناس يطالبون بالانتخاب ، فقد سأل الكاهن المذكور عما إذا كان هناك رجل دين يمكن أن يتلقى ولاء المؤمنين ، ويساعد الرب وأخوته بالتصدي للمؤمنين بقدر ما يستطيع .

وبسط الصمت الذي تلا ذلك ، استدعينا بطرس ، وهو من مواطني نابروزي وأرضنا له على الملأ ، عب الأسقفية ، عشاء على تولي المنصب إذا كان حازما على الاحتفاظ باليازة حتى إلى أن يموت . وعندما وعد بقيامه بذلك ، وافق عليه الناس بالإجماع ، وشكروا الرب كثيرا لأنهم كانوا يريدون أسقفا رومانيا في الكنيسة الشرقية ^(٢) . وأعطى ريموند لبطرس النابروزي نصف اليازة والمناطق المحيطة بها .

واقترب أول أيام شهر نوفمبر ، وهو الوقت المحدد لتجمع الصليبيين من جديد لمواصلة زحفهم . وكانت اليازة على مسيرة يومين من أنطاكية . ونتيجة لذلك ترك ريموند جيشه في اليازة ، ودخل إلى أنطاكية مع بطرس ، أسقف المهدد ، وأسرى كثيرين وغنائم كثيرة . وهنا تجتمع كل الأسرار باستثناء بولدوين شقيق جودفري ، وأخيه بولدوين هذا ، بعد أن انفصل عن الجيش الصليبي الرئيسي ، إلى القرى قبل الاستيلاء على أنطاكية ، واستولى على مدينة الرها الغنية المشهورة وخاض عدة معارك ناجحة ضد الأتراك .

وقبل أن انتقل إلى أحداث أخرى يجب أن أحكي لكم هذه الحكاية .
 فعندما كان جودفري في طريقه إلى أنطاكية مع اثني عشر فارساً قابل مائة
 وخمسين من الأتراك . فلم يتزدد أبداً . وأعد أسلحته . وحث فرسانه . وهاجم
 العدو بشجاعة . ولكن المسلمين الذين آثروا - مجبورين - الاختيار الأخرج
 للسوت على النجاة بالفرار . اختاروا أن يترجل بعض رجالهم حتى يطمئن الأتراك
 الركابون إلى أن أسداقهم المترجلين لن يتخلوا عنهم ويلوذوا بالفرار . ونتيجة
 لذلك . فائتاء القتال المطويل العنيف . هاجم فرسان جودفري العدو بشجاعة .
 وكان عددهم مساوياً للثلاثين عشر رسولاً . وكانوا شديدي الإيمان بأن الدوق هو
 كاهن الرب . ووهب الرب الدوق نصراً عظيماً بندا . حتى أنه قتل حوالي ثلاثين
 من المسلمين . وأسر مثل هذا العدد . وطارده الهاربين . فقتل كثيرين آخرين أو
 جعلهم يفرقون في المستنقع والنهر القريبين . وعاد جودفري إلى أنطاكية ظافراً
 في نصر بهيج . وقد حصل الأسرى من الأعداء وروس زملائهم القتلى^{١٦١}

بعد ذلك بدأ الأمراء في اجتماع ضئهم في كنيسة بطرس المبارك .
 يخططون لاستئناف الزحف إلى بيت المقدس . ثم سأل بعض من يحتفظون بقلاع
 أو أسلاك مزجرة في المناطق المحيطة بأنطاكية : « ما سيتم بشأن أنطاكية ؟ من
 سيحرسها ؟ إن ألكسيوس لن يأتي . فذكروا أنه هرب عندما سمع أن كزبرغا قد
 حاصرها . لأنه لم يكن لديه ثقة في قوته أو في جيشه الكبير . هل تنتظروا أكثر
 من ذلك ؟ من المؤكد . أن من أجبر إحصوتنا ومن جابرا لمساعدة الرب على
 التراجع . لن يأتي لمساندتنا . ومن ناحية أخرى فإننا إذا تغلبنا عن
 أنطاكية واستردنا الأتراك . فإن النتيجة ستكون أكثر خطورة من الاحتلال
 الأخير . فلتعطها ليوهيمند وهو رجل حكيم يحثها المسلمين . وهو رجل
 سيحبها جيداً .

ولكن ألكسوت وآخرين اعترضوا على ذلك قائلين : « لقد أقسمنا على
 مليب الرب . واكليل الشوك وآثار كثيرة . على أننا لن نحفظ . دون موافقة
 الاميراطور . بأي مدينة أو قلعة في مناطق نفوذ »^{١٦٢} .

وهكذا انقسم الأمراء بسبب هذه الخلافات وتكلموا بعنف شديد حتى كادوا
 يستخدمون أسلحتهم . والواقع أن جودفري وروبرت كوت الفلاندس لم يهتما كثيراً
 بمسألة أنطاكية . وكانا يريضان . سراً . تلك يوهيمند لها . ولكنهما خروفاً من عار
 الخت باليهين . لم يجزما على التوسية له بها^{١٦٣} . ونتيجة لذلك . تم تأجيل
 الرحلة وكل ما يتعلق بها من مسائل . وكذلك الاهتمام بالقرا .

وبدا الناس بعد أن راقبوا هذه القضية بين الأمراء . يقترحون بشكل حري
 في أول الأمر ثم علنا بعد ذلك : « واضح أن قادتنا لا يرغبون في قيادتنا إلى بيت
 المقدس إما بسبب الجبن أو بسبب التقصير الذي أقسموا لألكسيوس . فلماذا لا نختار
 نحن فارساً شجاعاً يمكن أن نأمن على أنفسنا ونعين في خدمته . ونحصل إن شاء
 الله إلى القبر المقدس معه كفائدة لنا . يا إلهي ! عام مضى في أرض المسلمين .
 وفقدنا مائتي ألف جندي . ألا يكفي هذا ؟^{١٦٤} فلندع أولئك الذين يطمعون في
 ذهب الاميراطور . أو ربح أنطاكية . يحصلون على ما يريدون . أما نحن الذين
 تركنا أوطاننا من أجل المسيح . فلنستأنف مسيرتنا معه قائداً لنا . وليت
 الطامعون في أنطاكية في يؤس كما مات سكانها حديثاً . وإذا استمر النزاع حول
 أنطاكية فلنهدم الأسوار . فعندئذ سيعمر زمن حسن النوايا بين الأمراء . كما كان
 الحال قبل الاستيلاء على المدينة . وذلك مع تدميرها . وإلا فإن علينا أن نعود
 إلى بلادنا قبل أن يهلكنا الجوع والشعب .

وأثرت هذه الأقراء وغيرها في روبرت ويوهيمند . فعصلا على تسوية الخلاف .
 وفي تاريخ محدد حسدوت الأوامر إلى الناس بالاستعداد لاستئناف الحملة
 الصليبية . وبعد اكتمال كافة تفاصيل الاستعداد لهذا الزحف . تقدم كوتت سان
 جيل وكوتت الفلاندس مع الناس في الجير المخد إلى داخل الشام . حيث حاصروا
 مدينة معرة النعمان الفنية ذات الاعتماد الضخم من السكان . وكانت تقع على بعد
 ثمانية أميال من البصرة^{١٦٥} . وبسبب قسوة سائق جرى معنا وتكبدنا فيه خسائر
 قاذحة . فقد عبر أهل المدينة المنعرجون قادتنا وسبوا جيشنا وونسوا حلياننا
 مشبعة على أسوار المدينة ليهربوا حقيقتنا . وفي اليوم التالي لوصولنا اشتد

غضبنا من السكان الوثنيين ، حتى أننا دأبنا الأسوار بشكل سائر وكنا - دون شك - سنستولى على معرة النعمان لو كان لدينا أربعة سلاسل أخرى . ومع ذلك فقد سعد رجالنا سلبنا القصيرين الضعيفين ، بخوف ، وكان قراى المجلس بناء الآلات وحواجز العبدان ذات الشوك والخاريس الخابية التى يمكن منها أن تصل إلى السور وتهدمه وتسرىة بالأرض . وبينما كان هذا يحدث ، أتى يوهيئد وحاصر قطاعا من معرة النعمان . وكما ذكرنا من قبل ، فإن استعدادنا لم يكن كافيا ، إلا أن ظهور الوافد الجديد شجعنا على أن نفكر فى شن هجوم جديد عن طريق ردم الخندق المائى المحيط بالسور . ولكن هجومنا الجديد ، الذى كان أكثر تعاسة من الأول ، لم يكن مجدياً .

• وإنه لما يحزننى أن أذكر أن المجاعة التى تلت ذلك جعلت أكثر من عشرة آلاف رجل يتناثرون كالماشية فى الحقول ، يتشربون ويبحثون عن حبوب القمح أو الشعير أو البقول أو أى خضروات ^(٨) . وعلى الرغم من استمرار العمل فى آلات الهجوم ، فإن بعض رجالنا بلغ من تأثرهم باليؤس المحيط بهم وجراء المسلمين ، أن فقدوا الأمل فى رحمة الرب وولوا الأدبار .

ولكن الرب حامى عباداه ، أشفق الآن على شعبه عندما رأهم فى حفاة البأس والقنوط . وهكذا استخدم الرسولين المباركين بطرس وأندرو ليبلغنا بمشيئة ريسيل تظليف أمره القاسى . ففى منتصف الليل ، دخلا كنيسة الكوث الخاصة وأيقظا بطرس بارتولوميوس . وهو الرجل الذى كانا قد أظهرنا له الحرية . ولكن بطرس بارتولوميوس ، الذى تيقظ فجأة ، عندما رأى شخصين تبيحين فى ملابس قذرة بقتان جوار الإتا ، الشين الذى يضم البقايا المقدسة ، اعتقد بالطبع أنهما من الصعاليك اللصوص . كان القديس أندرو يرتدى قباء كهنوتياً قديماً مزقاً عند الكتف ، فعلى الكتف الأيسر رقعة من القماش بينما كان الكتف الأيمن عارياً وكان يرتدى حذاء وخيشماً . وكان بطرس يرتدى قميصاً خشناً من الكتان يصل إلى كاحله .

وسألنا بطرس بارتولوميوس : « من أنتما يا سيدي وماذا تريدان ؟ » .

وأجاب بطرس المبارك : « إننا مبعوثا الرب . أنا بطرس وهذا أندرو . ولكننا اخترنا هذا اللبس حتى ترى المكاسب العظيمة التى ينالها من يخدم الرب باخلاص . لقد أتينا فى هذه الحالة وعلى هذه الهيئة بالضبط كما ترانا أنت ، إلى الرب . والآن أنظر إلينا » .

وبعد هذه الكلمات أصبح بطرس وأندرو أكثر تألقاً وأجمل مما يمكن أن تعب عنه الكلمات . وخرّ بطرس بارتولوميوس إلى الأرض كما لو كان ميتاً . وقد استبد به الرعب للربيعس المفاجئ . من الضوء . ومن شدة خوفه تصبب منه العرق حتى بلل الحصىرة التى وقع عليها . فساعد القديس بطرس على الوقوف وقال له : « لقد وقعت بسهولة » .

ورد بطرس بارتولوميوس « نعم يا سيدي » ثم شرح القديس بطرس الأمر : « وهكذا سيفتح كل الكفار والمعتدين على أمر الرب . ولكن الرب سيرفعهم كما رفعتك بعد سقوطك ، إذا تقدموا على أعمالهم الشريرة واستغاثوا بالرب أكثر من ذلك . قطالنا عرقك على الحصىرة . فإن الرب سيرفع ويحور ذنوب من يستقيتون به . ولكن أخبرنى ، كيف يدبر الجيش أمره ؟ » .

وأجاب بطرس بارتولوميوس : « بالتأكد لقد أثارنا المجاعة قلوبهم وهم فى تعاسة بالغة » .

وهنا انفجر القديس بطرس قائلاً : « إن من تركوا الرب وراء ظهرهم لابد أن يخافوا ، لأنهم نسوا الأخطار التى أنقذهم الرب منها . ولم يقدروا له الشكر . ولكنك ناديت الرب عندما كنت راكعاً ، وعند أنطاكية ، حتى أننا سمعناك فى السماء . لقد سمعك الرب ، وقدم لك حريت كدليل انتصار لك . ومنحك انتصاراً رائعاً ومجيداً على المحاصرين وعلى كبروغا . لقد آذبت الرب كعباً . والآن ، أى رب تؤمن به أنت نفسك لكنى تأمن على نفسك ؟ هل تستطيع الجبال الشاهقة أو

المفاوضات الخفية أن تخفيك ؟ إنك لا تستطيع أن تكون في مأمن حتى في أشد المرتفعات متعة ومعك كل ضروراتك . لأن مائة ألف خصم سيهددون كل واحد منكم . فليس محوكم القتل والذهب والسرية فضلا عن انعدام العدالة . كما أن هناك زنا . وإن كان مما يسعد الرب أن تتزوجوا . ولئلا يختص بالعدالة فإن الرب يأمر بأن تكون كل السلع . الموجودة في مسكن الشخص الظالم المستبد بالفقراء . ملكية عامة . وإن تودوا عشوركم . فإن الرب على استعداد لأن يعطيكم حاجتكم . لكنه سيعطيكم معرة النسيان بسبب رحمة لا لأعمالكم . تعاصروها في أي وقت تشاءون . وافعلوا ذلك لأنكم بدون شك ستأفون بها .

وبعد أن سمع الكهنة بهذه الأحداث في الصباح التالي . استدعى هر وأستقفا أورانج والباراة . كل الناس إلى الاجتماع وتصدق المؤمنين . بمحدوم الآمال الكبيرة في الاستيلاء على المدينة . بسخاء وقدموا الصلوات للرب القدير . ليحرر شعبه المسكين من أجل اسمه فقط . وعند اكتمال هذه الاستعدادات الروحية . صنعت السلالم بسرعة . وأقيم برج خشبي . ووضعت الخواجز . وعند نهاية اليوم . بدأ الهجوم . وأطلق المحاصرون في معرة النسيان الأحجار من المجانيق . والنبال واليران . وخلايا الشعل . والجير . على رجالنا الذين قومتوا أسوارهم . ولكن أحدا لم يصب تقريبا بفضل قدرة الرب ورحمته . ومن ناحية أخرى فإن الصليبيين هاجموا الأسوار بجرأة . مستخدمين الصخور والسلام في هجوم استمر من طلوع الشمس حتى غروبها . وفقا لقد كان قتالا كبيرا لم يشرح فيه أحد . ولم يشك أحد في نتيجة النهاية . وأخيرا أمهل الجميع إلى الرب أن يكون رحيما بشعبه وينفذ رجوعه بمبرورية .

وسلمنا الرب الحاضر أيضا المدينة كما تنبأ مبعوثوه . وكان أول من اعتلى السور جوثيه أوف لامبريز . ثم تبعه مسيحيون آخرون عاصروا التعصبات والأبراج . إلا أن الليل أنهى القتال وحازت بعض أبراج المدينة وأجزاء منها في أيدي المسلمين (٩) . وتوقع الفرسان وثقة مقاومة أخيرة في الصباح التالي . فحوصروا الأسوار الخارجية للتضياء على أي شخص يحاول التهرب . ولكن بعض

الصليبيين . ممن لم يعاؤوا بخيانتهم . لأن الجوع جعلهم يحترقون الحياة . استمروا في مقاومة أهل المعرة في بضع الظلام . وهكذا حصل الفقراء على نصيب الأسد من الغنيمة والبيوت في معرة النسيان . ولم يسجد الفرسان الذين انتظروا حتى الصباح ليدخلوا . إلا بقايا لا قيمة لها . في هذه الأثناء كان المسلمون يحتشرون في كهوف تحت الأرض . وبالفعل ولم يظهر منهم أحد في الشوارع . وصرق المسيحيون كل السلع التي كانت فوق الأرض ودفعهم الأمل في الحصول على ثروات المسلمين المخفية تحت الأرض . فأطلقوا الدخان على الأعداء لإخراجهم من كهوفهم باستخدام النار والأبخرة الكبريتية . وعندما حُثب زعيمهم للكهوف أمالهم عليهم المسلمون الذين تصل إليهم أيديهم حتى الموت . ومر بعض رجالنا بتجربة إقصاد المسلمين في الشوارع على أمل معرفة أماكن الغنائم . فكان أسراهم يقودونهم إلى الأبار ثم تجاة يلغون بأنفسهم في الأبار ليقتلوا حشدهم . مؤثرين الموت على كشف النقاب عن مكان الناح المطوك لهم أو لغيرهم . وبسبب عنادهم لاقتوا حتفهم جميعا . وألقيت جثثهم في المستنقعات والمناطق الواقعة وراء الأسوار . وهكذا . لم تقدم معرة النسيان الكثير للشعب (١٠) .

ورغم أن فرسان بوهيمند كانوا قاتري الهمة في تشديد الحصار . فقد قازوا بعدد أكبر من الأبراج . والخيول . والأسرى . وأدى ذلك إلى شعور بالاستياء بين النورمان والبروفنسال . وأراد الرب في ذلك الوقت أن يريثا حدثا معجزا . وكما ذكرت من قبل . فرغم أننا شرعنا للناس قبل الاستيلاء على معرة النسيان الأوامر الرسولية ليظفرو وأندرو . إلا أن بوهيمند ورفاقه سخرؤا منا . والواقع أن بوهيمند وأتباعه النورمان كانوا يشكلون عنة أكثر منهم عوناً . وبالطبع . فإن حاشية رجوند كانت ساعطة لأن النورمان استولوا على النصيب الأكبر من الغنائم . وفي النهاية اختلص السادة . فقد أراد رجوند أن يعطي المدينة لأستق البارة . وتلك بوهيمند وبعض الأبراج التي استولى عليها وحذر قائلا : « إني لن أتفق مع رجوند على أي شيء إلا إذا تنازل لي عن أبراج أنطاكية » .

وفي قسار عطا الاضطراب . راح الفرسان والناس يسألون متى سيتفضل

الأمراء بالبدن في الزحف ، لأنه رغم أن الزحف قد بدأ منذ زمن طويل ، فإن كل يوم بدا كما لو كان بداية حملة صليبية جديدة ، لأن الهدف لم يتحقق بعد ، وأجاب بوهيند بأنه لن يلعب قبل عيد الفصح ، وقد حل الآن ميلاد سيدنا المسيح ، وقد الكثيرون الأمل ، وتحولوا واجتمعوا بسبب ندرة الحبوب وغياب جودفري وهجرة الكثير من الفرسان إلى بولنديين حاكم الرها .

وأخيراً اجتمع أسقف البازة وبعض النبلاء بالفقراء وطلبوا العون من ريموند . وعندما انتهى الأسقف من عظة انتهى أمام الكوت الذي تلقى الحرية المقدسة وطلبوا منه والدعوى قلاً أقيمتهم أن يجعل نفسه قائداً للجيش وسيلاً عليه . كما قالوا أنه نظراً لما تبغى عليه حيازته للحرية المقدسة من مزايا ، ولكونه محل إعظام الرب ، فإنه لن يخشى الاستمرار في الرحلة في أمان مع جمهور الفرنج . وإذا لم يستطع ريموند أن يفعل ذلك فإن عليه أن يسلم الحرية للجساعير . وسيواصل هؤلاء مسيرتهم إلى الأراضي المقدسة تحت قيادة الرب . وسابروهم الكوت وهو يخشى ألا يتبعه الأمراء المتعبين ، الذين كانوا ينظرون إليه بعين الحسد ، إذا هو حدد يوم الرحيل .

ولماذا لا تنهى تلك القصة الكمية ؟ لقد تغلبت جميع الفقراء ، وحده ريموند تاريخ الرحيل باليوم الخامس عشر ، بينما أعلن بوهيند ، الذي أثار ذلك غضبه ، في كل أرجاء المدينة أن تاريخ الرحيل هو اليوم الخامس أو السادس ، وعاد إلى أنطاكية بعد ذلك مباشرة . والتفت ريموند وأسقف البازة إلى تجهيز حامية ، وحلوا عدد الأشخاص واختاراهم . وفي الوقت نفسه ، طلب الكوت من جودفري والمتغيين من معرة النعمان ، أن يتجمعوا في مكان واحد ويقوموا بالاستعداد اللازم لاستئناف الرحلة . واجتمع الأمراء وعقدوا مؤتمراً في قلعة البروج التي تقع في منتصف الطريق تقريباً بين أنطاكية ومعرة النعمان ، إلا أن الاجتماع لم يسفر عن شيء ، لأن القادة وكثير من حلوا خذوهم قديماً أسباباً لعدم استئناف الرحلة . ونتيجة لذلك عرض ريموند على جودفري وديورث النورماندي عشرة آلاف صولدي

لكل واحد ، وستة آلاف لروبرت كوت الفلاندر ، وخمسة آلاف لثانكرد ، ونسبة الآخرين^(١١١) .

في هذه الأثناء ، وعند تلقى أنباء بأن ريموند خطط لوضع حامية في معرة النعمان تضم فرساناً وشاة من الجيش ، دار الكلام بين الفقراء : « إذن فهذه المسألة صراع في أنطاكية . وصراع في معرة النعمان ؟ هل سيثور النزاع بين الأمراء ، وتدمر جيوش الرب في كل بقعة يتحنا الرب إياها ؟ لنضع حداً للصراع هنا . ومن أجل أن يسود الهدوء بين القادة ، وبهذا خاطر ريموند الذي يقلقه أن يضع ذلك الجيش ، فيها تقوض أسوارها » .

وعكلاً ، أثنى الجميع على المرض والضعفاء ، وقد قاموا من فراشهم وساروا مشكين على العصي طوال الطريق حتى الأسوار . وكان الرجل الأعرج التحيل يندرج إلى الأمام وإلى الخلف ويدفع من السور أحجاراً في حجم لايكاد ثلاثة ليران أو أربعة يوزحونها . وطاف أسقف البازة وأصدقائه ريموند بالمدينة وهم يحذرونهم ويرجونهم الإمتناع عن مثل هذا التخريب . ولكن الرجال الذين كانوا يهدلون بعيداً عن الأسوار ، ويختبئون عند اقتراب الحراس ، كانوا سرعان ما يستأنفون عملهم بمجرد ابتعاد هؤلاء^(١١٢) . أما المتخوفون والذين كانت تشغلهم أمور أخرى ، فقد كانوا يصلون ليلاً بحيث لم يكن هناك أي شخص يمنع الضعف أو المرض عن المساعدة في ذلك الأسوار .

أصبح نقص الطعام حاداً إلى درجة أن المسيحيين كانوا يأكلون ، في تلكه ، جثث المسلمين المتعفنة . التي كانوا قد ألغوا بها في المستنقعات قبل أسبوعين أو ثلاثة أسابيع . وأثار هذا المنظر استنزاز الكثيرين من الصليبيين والفرقاء ، ونتيجة لذلك ، فقد الكثيرون الأمل في الحصول تعويضات قرونية ، وتحولوا

عائدين ، كان رد فعل المسلمين والأتراك هو : « إن ذلك الجنس العبيد الذي لا يعرف الرحمة ولا يحركه الجوع أو السيف أو أى اضطراب ولمدة عام ، عن أنطاكية ، يتلذذ باللحم البشري ، لما قاتنا نال » من يستطيع أن يقاومهم ؟ » ونشر المسلمون قصصاً عن هذه الأعمال وغيرها من الأعمال التي تغلر من الإنسانية ، والتي ارتكبتها الصليبيون . ولكننا لم نكن ندرك أن الرب قد جعل منا سببا من أسباب الهلع (١٢١) .

فى ذلك الوقت كان ريموند ، لدى عودته من معركة النعمان ، ساخطاً أشد السخط على أتباعه ، إلا أنه اعترف بالمسبل للرب ، وأمر بتقويض أسوار الأنوار عندما علم أن تهديدات أسقف البارة والقادة الآخرين وقتلهم لم تنجح الرعاع عن عزيمتهم . ولكن نقص الطعام كان يزداد يوماً بعد يوم ، وأمرنا بإعطاء الصدقات ، والصلاة من أجل الرحلة ، لأن اليوم المحدد كان يقترب . فى هذه الأثناء ، تأثر كوثت تولوز لغيبة القادة الكبار ، وأثر المجاعة فى إشعاعه الرجال ، فأمر المسيحيين بأن يبحثوا عن الطعام فى أراضي المسلمين . ووقع بأنه سيكون فى المظلمة مع فرسانه . ولكن بعض أتباعه الساخطين اشتكوا قائلين : « إذا كان كل ما لدينا أقل من ثلاثمائة فارس وحفنة من المشاة ، فهل نقسم قواتنا قبضى البعض داخل أراضي المسلمين ، ويبقى البعض الآخر فى انقراض معركة النعمان بلا دفاع ؟ » وأقاضوا فى الحديث عن عدم استقرار ريموند الشمام .

ومع ذلك فقد سار الكوثت فى النهاية ، وبالنسبة عن الفقراء إلى أراضي المسلمين ، واستولى على بعض الحصون والأسرى وقام بالكثير من أعمال النهب ، وعند عودته مبتهجاً ظافراً بعد أن قتل الكثيرين من المسلمين ، قتل الكفار ستة أو سبعة من قرونا . ومن الغريب جداً أن تلك الجثث كان بها صلبان على الكتف الأيمن (١٢٢) . وشعر الناظرون ومعهم ريموند براحة كبيرة لهذا النظر ، وقدموا

الصلوات للرب القادر على كل شئ ، الذى تذكر فقراءه ، وإلتناع المشككين الذين بقوا مع الشاع بالقرب من معركة النعمان ، حملوا معهم أحد المرحى المصابين إصابة قاتلة ، ولكنه كان لا يزال يشفى . وقد رأينا معجزة فى هذا الرجل المسكين ، الذى كان قد مرق ، حتى أن جسمه المطعون لم تكبد توجد به بقعة تخفى روحه . ومع ذلك فقد عاش سبعة أو ثمانية أيام بدون طعام شامدا طوال ذلك الوقت على أن يسرع الذى سمضى إلى حكمه بكل تأكيد ، كان هو الرب خالق الصليب الذى كان يحمله على كتفه .

(١١) البازة Albare (Harah - له) مدينة تقع إلى الجنوب الغربي من أنطاكية . وقد كانت حلة الفرنج عليها في ٢٤ سبتمبر ١٠٩٨ م انظر : Harwinneyes, Chm. 316. - وذكر ياقوت الحموي أن بالبازة حصنا وأنها ذات بساتين . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٦٤ . لنا لم تكن غارة الفرنج عليها أمرا عشوائيا . فهم بدأوا استراتيجيتهم بفتح البلدان التي لا يستغرق فتحها وقتا طويلا . إلى جانب ما تتوفر البازة وبساتينها من مؤن للجيش . (الترجمة العربية) .

(١٢) بطرس أول تاربون Peter of Narbonne كان قسما في جيش رويسند . وقد رسمه البطريرك البيزنطي لأنطاكية (حنا) . أسقنا البازة . لكن بطرس كان على عدا - مع رجال الدين البونانيين .

- مع أن الفرنج لم يجرؤوا على تغييرات في هيئة الكنيسة في أنطاكية بينما كانوا في انتظار الكسيس كوستن ليرد على دعوتهم له بالانضمام إلى أنطاكية . فقد بدأوا في تعيين أساقفة لاتين في بلاد الشام . وكان تعيين رويسند لبطرس التاربوني هو أول هذه المناصب . ومنحه رويسند نصف المدينة وأقلمها . وكان تعيين بطرس تعيينا غير عادي في حدود القوتين الكنسي . ويبدو أن تعيينه كان لسبب سياسي واجتماعي أكثر منه لسبب كنسي . ففي أواخر القرن الحادي عشر الميلادي بر الحامس الهجري . كان حكام غرب أوروبا يعتمدون على خدمات رجال الكنيسة لشتى عمل الحكومة العلمانية . وفرضوا الأساقفة سلطات علمانية واسعة . ولكن الأساقفة البونانيين لم يكن في استطاعتهم تحمل مسؤوليات علمانية من هذا القبيل . لأنهم لم يألفوا ذلك من قبل . فلم تكن هناك حاجة بالعالم البيزنطي لأن يقدم رجال الدين في عمل الحكومة . لأن الإمبراطورية البيزنطية كان لديها طبقة من الإلاديين العلمانيين لم يكن هناك ما يماثلها في غرب أوروبا . لذلك ، تبصرة أن بدأ العلمانيين في فتح أقاليم الشام . وفي إقامة إدارة مشابهة للإدارة في غرب أوروبا . فقد كانوا مضطرين إلى تعيين بعض الأساقفة اللاتين لمساعدوا في أعمال الحكومة . ومن الواضح أن بطرس التاربوني قد قبل ليدبر البازة نيابة عن ممتلكات تولوز أكثر منه لأن يتعامل مع الاحتياجات الروحية لسكانها .

= لأن الجامعة التي تركت في المدينة هي فقط التي كانت من المسيحيين اللاتين . وكان
النس سيؤدي المهام الروحية بنجاح . انظر :

Hamilton, The Latin Church, p. 10.

(الترجمة العربية) .

(٣) . يشهد ريتشارد جيل هنا قليلا عن الأحداث ليذكر أصل برثلدوين . انظر :

Falcher of Chartres, (ed. Hagenmeyer), pp. 209 - 242.

وادعاءات يوهانس التي عبر عنها أتباعه (والتي ميّزها المزمع بعد قليل) . تقوم
على أن يوهانس قائد معتبر وسيجس أنطاكية . والمناقشة التي قام بها جودفري حدثت
حوالي نهاية أكتوبر ٩٨ م . (Hagenmeyer, Chr. 320) . انظر :

William of Tyre, VII, 4.

(٤) . تبين هذه الفقرة احترام ريتوند للقسم الذي أداء في التسطيطية . وكانت المناقشة في
أول نوفمبر ٩٨ م . أما اجتماع الأمراء في كنيسة القديس بطرس فقد تم في ٨
نوفمبر ٩٨ م . انظر :

Hagenmeyer, Chr. 321 - 323.

- حتى رحيل المزمع من أنطاكية في أواخر نوفمبر ٩٨ م . كانت كل تصرفات كوث
تولون تدل على حرصه على مصالح البيزنطة وعلى القسم الذي أداء أمام الإمبراطور
ألكسيس كوثين وعلى عهده له بأن تعود إلى بيزنطة كل أملاكها التي سبق وانتزعتها
منها السلاجقة . إلا أن ما قام به بعد ذلك وحتى استيلاء الفرنج على بيت المقدس
١ يناير ٩٩ م (كان يدل على أنه بدأ بعمل لصالحه هو . ويرى المزمع اللاتين
البرت ذلك أن ريتوند في نزاعه مع يوهانس حول ملكية أنطاكية كان يميل لنفسه .
ولم يكن ذلك حرصا على مصالح الإمبراطور البيزنطي . ويبدو أن ريتوند ، في حقيقة
الأمور ، كان ينتظر مكافأته من ألكسيس . وعندما فشل في الاحتفاظ له بأنطاكية ،
وعندما أخرج من الحملة على فلسطين خالي الوفاض بعد أن فشل في الحصول على
عرش بيت المقدس ، وبعد فشل جسته ١١٠١ م التي شارك فيها لصالح بيزنطة أيضا ،
وجد أنه لم يبق شيئا من تضامنه من أجل بيزنطة ، فراح يعمل مرة أخرى على تأسيس
إمارة لنفسه في بلاد الشام . انظر :

Albert d'Aix, p. 434. Cf. also, J. Hugh Hillard Lauria Hill, Raymond IV

Count of Toulouse, Passim.

= وعن موقف ريتوند من أطباع يوهانس في أنطاكية وعلاقاته بألكسيس كوثين . انظر :
جودفري تيسم يوهانس : العرب والروم ، ص ٢٤٤ وما بعدها .
(الترجمة العربية) .

(٥) . أعلن كل من ريتوند كوثن الثلاثين في قري أنهما لا يرغبان في العناء المكثف مع
ألكسيس .

(٦) . يقدم لنا ريتشارد جيل ، مرة أخرى ، الآراء غير الصلبة لصغار رجال الدين والفرنج . انظر :
Walter Porges, The Clergy, the Poor, and the Non-Combatant on the
First Crusade, in Speculum, 21, 1946, pp. 21 - 23.

(٧) . تتبع معرة النعمان إلى الجنوب الشرقي للباوة وأنطاكية . وقد رحل الصليبيون من البصرة
في ٢٣ نوفمبر ٩٨ م . وحاصروا المدينة في ٢٨ نوفمبر . وفي اليوم التالي ساعدتهم
يوهانس في محاولة عقبة لدخول المدينة . انظر :

Hagenmeyer, Chr. 324, 325, 327.

(٨) . كان وصف ريتشارد جيل لصليبة جمع بقايا الحصاد في الحقول وصفا إنسانيا ممتازا . وعلى
أية حال ، فقد تهكم رادولف أرف كان ، الذي كان لا يميل إلى البروتستانتية ، قائلا أنهم
« عاشوا على الكفاف ، وتفرقوا بأكل جذور النباتات » . انظر :

Radolphus Castellanus, Gesta Tancredi in expeditione Hierosolymitana,
RCH - H. Ques, 3, p. 631.

(٩) . جودفري لا ترويه Gouffier of Lamoignon هو لورد لامترويه بالقرب من نكسون
(أعالي ليموزين) . وموطنه الأصلي ليموزين . انظر :

Notitiae duae Lemovicenses de praedicatione crucis in Aquitania, RHC - H.
Occ., 5, p. 381.

وقد سقطت معرة النعمان في أيدي الصليبيين في ١١ ديسمبر ٩٨ م / ٩ محرم
١٩٢ هـ .

(١٠) . جاء ريتشارد جيل لرواية ذبح سكان المعرة وصفيا ، ويبدو أنه خال من الأشارات التي
تروى في الكتب الدينية .

= لقد أهدى سكان معرة النعمان مقاومة وبأساً شديدتين أمام الهجوم الصليبي على مدينتهم . إلا أن رواية ريمونداجيل تركزت على إبراز جهد الفرنج في دخول المدينة . وهي عادة في وصف المعارك بين المسلمين والصليبيين ، وإن كان هو يغالي في ذلك عن غيره من مؤرخي الحملة الأولى . وهنا يفقد القارئ أسلوب مؤرخ لمؤرخ مثل وليم الصوري ، وشعر بأهمية وثيقة رواياته . فلم يرد وليم الصوري غشاشة في إبراز بطولات المسلمين وانصرافهم على الفرنج في كثير من المعارك . بينما كانت روايات غيره من المؤرخين اللاتين تقتصر على عدة أسطر فقط إذا ما كان النصر في المعركة التي يتحدثون عنها من نصيب الصليبي . وعلى أية حال ، فقد عمد ريمونداجيل هنا أيضاً إلى إغفال الرعد الذي منحه الفرنج لسكان المعرة بالأمان إذا ما ألقوا عن المقاومة ، وغلبوا بهم ، ولم يقوا بشئ ، مما قرووه ، ونهبوا ما وجدوه ، وطالبوا الناس بما لا طاقة لهم به . انظر : ابن الفلاس : قيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٦ . وتلبس شدة المقاومة الإسلامية في معرة النعمان من وصف رادولف أوف كان للمعركة . انظر :

Radulph of Caen, p. 479

وقدر ابن الأثير عند قتل المسلمين مائة ألف قتيل ، بينما قدره ابن العديم بعشرين ألف رجل وامرأة وصبي . انظر : ابن الأثير : الكامل . ج ١٠ ، ص ١١٥ ، ابن العديم : زبدة الحليب ، ج ٢ ، ص ١٤٦ . وأعجم المؤرخون اللاتين عن تحديد عدد ضحايا المسلمين .

(الترجمة العربية) .

(١١١) من المحتمل أن تكون المفاوضات الأولية بين ريموند وكونت تولوز قد تمت في ٢٩ ديسمبر ١٠٩٨ م ، وكان رجيل وريموند عن المعرة في ١٣ يناير ١٠٩٩ م . وكان اجتماع الفرنج في قلعة الروج في ١ يناير ١٠٩٩ . وبعد فشل الاجتماع الذي عقد لشفقة ريموند ، عاد القادة النورمان إلى أنطاكية . ويعتقد ونيسان أن عرض كونت تولوز كان مجرد وشوة . ويرى جروسيه أن ريموند طمع في بيت المقدس في ذلك الوقت . ويرغب في نيل المساعدة من زملائه الفرنج . ويعتقد أن العرض قد قبل وأن التباين في المبالغ التي عرضتها ريموند على القادة تعبر عن أهمية القادة . وما زال نوعا التقوى التي استعملها كونت تولوز عريضين . أحدهما الملبجورين Melgorien الذي سلكه كونتات ملبجوريل Melgucil . والثاني هو عملة سان جيل التي ادعى أن التقى أصدرها هو =

= ريموند الخاص . وكان الحصان الجديد يساري مائتي ملبجورين أو حوالي أربعة ماركات (جنهان من الفضة) ، انظر :

Jean Pierre Papon, Histoire générale de Provence, Paris, 18778, 2, pp. 538, 541, 551, 552. Cf. also Mireille Castaing - Suard, Monnaies féodales et Circulation monétaire en Languedoc (Xe - XIIIe siècles), cahiers de l'association Marc Bloch de Toulouse, études d'histoire méridionale (Toulouse, 1961), 4.

ويختصر في التواريخ المذكورة . انظر : Hagenmayer, Chr., 334 - 335, 339.

(١٢) استعمال كلمة لأفندي (من لرائهم) surgentes لوصف قيام الموحى والضعفاء . يشير إلى الجبل متى (٩ : ٦ - ٨) . ومن المحتمل أن المؤرخ اقتبس هذا الوصف من كتاب خدمة القدس . انظر :

Rituale Ecclesiae Dunelmensis, ed. J. Stevenson, ancient society, London, 1839, 10, p. 37. Rabanus Maurus, On Ezechiel, MPL, 110, Col. 872.

ومن المفروض أن تدبير معرة النعمان كان في ٥ يناير ١٠٩٩ م ، أو بعد ذلك بقليل . انقضى :

(١٣) لم يكن غير أنكل خديم البشم غيرا قريبا هنا . وفي أنشودة أنطاكية نجد من يجلس من الفرنج (يعني تافور Tafur) ليشرى لحم موتى المسلمين . انظر :

Alf. Stenberg, The Tafur and the First Crusade, MS. 31, 1959; La Chanson d'Antioche, ed. Paulin Paris, 1842, 2, pp. 5 - 6.

(١٤) تعكس رواية المزب عن جثث الصليبيين الشوهة زغبته لإظهار علامة الصليب . وهناك روايات قديمة عن رجال عليهم علامة الصليب . فهناك رواية في الحرب المقاتية التي تؤكد رجوع (حيات الأكلية المعبودة) donariis idolorum التي تدل على أن الجثث كان عليها علامات . انظر : Marcabees, 11, 12 : 38 - 41.

الفصل الحادي عشر

استئناف الزحف وبداية حصار عرق

تشجع الياشون عن الطعام بحسن ظالهم وشارات الصليب الطيبة ،
فتركوا غنيمتهم عند كفر طاب على مسيرة أربعة فراسخ من معرة النعمان ^(١٢١) ،
وعاد مع ريموند من كان لهم أصدقاء في معرة النعمان . وفي اليوم المحدد ، رحل
الكوث وكهنته وأسقف البارة ، وساروا حفاة الأقدام يطلبون رحمة الرب وحماية
القديسين ، بينما راح الذهب الذي أشعله المسيحيون يعلو أفتاح معرة النعمان ،
وفي المؤخرة ، سار تاتكر مع أربعين فارساً وكثير من المشاة ، وعندما سمع حكام
المناطق القريبة أنباء استئناف الحملة الصليبية ، أرسلوا نبلاء العرب إلى ريموند
بالإحصاسات والعروض الكثيرة والوعود بالاسلام في المستقبل ، بالإضافة إلى
السلع التي يمكن إتيانها أو الحصول عليها مجاناً ^(١٢٢) .

واصلنا سيرنا في أمان معتمدين على وعدهم وتسلحهم وهائن لنا
كشمان . ولكننا نعتقد أن الأدلة الذين أرسلهم لنا حاكم شير ^(١٢٣) أساساً إرشادنا
في اليوم الأول لأننا كنا في حاجة إلى كل شيء ، باستثناء الماء ، عند موقع
المعسكر ، ولكن في اليوم التالي ، فإذنا نفس الأدلة خطأ إلى وادٍ اجتمعت فيه
ماشية الحاكم وكل المناطق المجاورة ، بسبب الخوف التي أشعرتهم به ، كان حاكم
شير يدرك منذ زمن طويل اعتزامنا الزحف ، فأمر المسلمين بالهرب ، ومع ذلك ،
فلما أنه أمر الإقليم كله بوقف زحفنا ما استطاعوا ذلك ، لأننا أيضاً كنا نلدينا
معلوماتنا . وفي ذلك اليوم قام ريموند أوف إيل ورفيق له بأمر رسول الملك ومعه
رسائل تحت كل المواطنين على الهرب ^(١٢٤) . وعند صباح الملك غير أشد رسوله قال :
« يا رجالى ، بدلا من الهروب بسرعة أمام الفرجة كما أمرت ، تقدموا إليهم ، ولما
كان الرب قد اختار هذا الجنس فلن أقف في طريق رغباتهم » . ثم يارك هذا الحاكم
الرب الذي يرزق من يخشونه بحاجاتهم .

وكان منظر هذا القطيع الضخم غير المتوقع من الماشية ، ثم الاستيلاء

عليه . سبأ في أن قرصاننا وميسوري المال من الناس ، ذهبوا إلى شيز
وحصن ، بأموالهم لشراء الخيول العربية متعللين بأنه : « لما كان الرب قد تولي
أمر إقطاعنا ، فلتول نحن أمر الفقراء والجيش » . وهكذا حصلنا على نحو ألف
من أفضل جياذ الحرب ^(١٤) ، وبعدها بعد يوم ، استرد الفقراء صحتهم ، وأصبح
الفرسان أكثر قوة ، وبدا أن الجيش يزداد عدداً ، وكلما زحفنا قدما زادت أنعم
الرب علينا . ورغم توفر المؤن فقد حاول البعض إقناع ريموند بالتوقف عن الزحف
قليلاً ، للاستيلاء على جبلت Gibellum ، وهي مدينة ساحلية ^(١٥) . إلا أن
ناثركه وبعض الرجال الشجعان الطيبين الآخرين ، حاولوا دونه ذلك قائلين : « لقد
زار الرب الفقراء وزارنا ، فهل يجب علينا لذلك أن نتحول عن الرحلة ؟ أما
كلنا الصغريات السابقة التي صادفتنا في معركة أنطاكية ، والبرد والجوع ، وكل
ما عانيتاه من اليأس الانساني ؟ لماذا يكون علينا وعدنا أن نحارب العالم كله ؟
فكروا قليلاً . فمن بين مائة ألف فارس لم يكذب بيتي إلا أقل من ألف ، ومن بين
مائتي ألف من الرجالة المسلحين ، لم يبق للقتال إلا أقل من خمسة آلاف . هل
سنظل نملكنا حتى تتم تصفيتنا جميعاً ؟ هل سيأتي المسيحيون من الغرب إذا
سعدوا عن سقوط أنطاكية وجبلت وغيرها من المدن الإسلامية الأخرى ؟ لا .
ولكن لنزحف إلى بيت المقدس المدينة التي تسعى إليها ، ومن المؤكد أن الرب
سيسلمها لنا . وعند ذلك فقط فإن المدن الأخرى التي تقع في طريقنا مثل جبلت
وطرابلس ومصور وعكا سيجلو عنها سكانها خوفاً من موجة الصليبيين الجديدة
القادمة من العالم المسيحي » ^(١٦) .

وفي نفس الوقت ، كان الأتراك والعرب الذين كمنوا في المؤخرة ، يقتلون
الفقراء الضعفاء ويسطون على أمتعتهم . وبعد جادتين من هذا الترع كمن
الكثرت في كمين بيننا من الصليبيين . ومن ناحية أخرى اندفع المسلمون الذين لم
يتألوا عقاباً ، والذين كان يحذوهم الأمل في الفنائم ، من خلف جيشنا كما فعلوا
من قبل ، لكنهم في هذه المرة عندما مروا بخيولهم أمام الكمين ، اندفع ريموند
وفرسانه مهاجمين إياهم فأوقعوا الخيل في صفوفهم ، وقطعوهم وعادوا سعداء إلى

بقية الجيش بخيولهم . وبعد هذه التجربة سار ريموند وعدد كبير من الفرسان
المسلحين حراسة المؤخرة ، وهكذا ترقب الأعداء عن اصطیاد الفقراء ^(١٧) . وفضلاً
عن هذا الإحباط ، فقد سافر فرسان مسلحون آخرون مع كونت تورماندي ، وتذكروا
أسقف البازة ، في الطبيعة ، بحيث لا يستطيع العدو أن يتألف من الأمام أو من
الخلف .

وجدير بالذكر أن أسقف البازة ترك حامية من سبعة فرسان وثلاثين من
المشاة تحت إمرة رليام ابن بطرس أوف كوتيلياكوم . في البازة ، وبناء على
تعبئة الكونت ، الذي كان يريد زيادة عدد الفرسان الذين كانوا يترقبون من محرة
النعمان إلى بيت القدس ، انضم إلى الجيش الصليبي . واستطاع رليام ، وهو
رجل مؤمن مخلص ، في وقت قصير ، ويعود من الرب أن يجعل اهتمام الأسقف
زداد عشرة أضعاف ، وبدلاً من ثلاثين من رجال المشاة أصبح لديه سبعون وأيضاً
ستون أو أكثر من الفرسان .

وبانقنا في الإجماع على التحول عن دمشق والزحف إلى ساحل البحر لئلا
كان يتكنا الإبحار مع قيرص والحزب الأخرى إذا انقضت إلينا سفننا من
أنطاكية ^(١٨) . وعندما سلكتنا هذا الطريق وجدنا أن الوطنيين هجروا مدنهم
وتحصناتهم ومزارعهم ذات المخازن المستلثة . ثم وصلنا إلى واد خصب جداً بعد أن
تنا بالإنفاق حول جبال عظيمة . لتجد بعض المزارعين من هرين بأعدادهم وقلة
سبعة ^(١٩) . وهكذا فإنهم لم يجدوا لحاية سلمية ، ولا إشارة إلى أنهم سيتخلون
عن قوتهم . على العكس من ذلك ، فإنهم التفتوا من أعلى جنتهم وهانصروا
بعض الأنبياء السلحين والرجالة الذين كانوا يحشرون عن الكلاً هنا وهناك وسط
الخقل ، وقتلوا عدداً منهم ، وحملوا الفنائم إلى قلعته . وسار رجالنا الذين
انضمهم ذلك إلى سطح الخيل ، الذي أبيت عليه القنعة . ولكن الوطنيين لم يتألوا
للاقتنا . وبعد انعقاد مجلس حرب ، شكل فرساننا ومشاةنا صفوفاً ، وتسلقوا
الخيل من ثلاث جوانب ودحروا المزارعين . وكان ثلاثون ألفاً من المسلمين يحتلون

القلعة مما أتاح لهم ، بالإضافة إلى الموقع ، الفرصة للهروب إلى الحصن أو أعلى التلحدرات ، لذلك ، أعاقرتنا لفترة .

ولكن عندما صعدنا صيغة الحرب « ساعدتنا يارب ، ساعدتنا يارب » ، ما من حوالي مائة من المسلمين الذين وب في قلوبهم الرعب ، إما خوفهم الشديد ، أو لضيق وملابهم عند أبواب القلعة ، وبالطبع ، فقد جرى خارج السور حيث كنا نحارب ، نهب شديد للماشية والخيول والأغنام ^(١١١) . بينما كان الكونت وفرسانه يجذون في القتال ، طبع الرضعا ، منا في الغنائم وبدأ الفقراء ، الواحد بعد الآخر ، ثم المشاة الفقراء ، وأخيرا الفرسان الفقراء ، يتكئون ميدان المعركة ليعودوا إلى خيابهم على بعد نهر عشرة أميال .

وفي الوقت نفسه ، أمر ريموند فرسانه ورجالته بأن يتخذوا مواقعهم ، ولكن المسلمين ، اللذين نزلوا من أعلى الجبل ، مع من كانوا في القلعة ، وأوا صفوف الصليبيين وقد بدأت تخلص من المقاتلين ، وبدأوا ينظفون صفوفهم المتفككة تعزيزا لقوتهم ، ولم يتنبه ريموند إلى هذه الاستراتيجية ، وفقد الاتصال تقريبا بفرسانه ، على بحر صحراوي شديد الانحدار منبت فيه الخيول في ظهيرة فردى . وفي مواجهة هذا الخطر ، تظاهر بالتقدم برجالهم كما لو كان سيهاجم الهابطين من أعلى الجبل ، وفي اللحظة الفاصلة التي تردد فيها المسلمون ، استددار الصليبيون وتحولوا إلى المنطقة الأسنة ظاهريا في الوادي ، وعندما رأت كتبنا الأعداء هذه الخدعة ، وكانت إحتاجا على الجبل ، والأخرى في القلعة وشاهدونا نهبط من الجبل ، صعدوا قواتهم واندفعوا مهاجمين رجال الكونت ، ولحقت وطأة الهجوم ، وقع بعض الصليبيين من على خيولهم ، بينما اندفع آخرون فستطوا عبر أماكن متحدرة ، وهكذا أفلتوا من الموت بأعجوبة ، ولكن البعض ماتوا ميتة بطولية .

وبالتأكيد ، فإن ريموند لم يتعرض أبدا لمثل هذا الخطر الذي كاد أن يفقده حياته ، وهكذا فإننا حقق على نفسه ، وعلى قواته إلى درجة أنه عند عودته إلى الجيش أنهم فرسانه في المجلس يانشغلون عن المعركة بدون إذن وتعريض حياته

للخطر . وهنا القسم الجميع على استعمار الحصار حتى يجعلوا القلعة دكا ببركة من الرب ، ولكن الرب مرشد المسيحيين وحاميهم من كل الكوارث ، ألقى الرعب في قلوب المدافعين ، حتى أنهم في تعجلهم الفرار ، تركوا مواقعهم بدون أن يدفثوهم ، وفي الصباح لم يكن في انتظارنا إلا غنائم الحرب وقلعة يسكنها الأشباح .

وتأثر مبعوثي أمير حمص ^(١١٢) وملك طرابلس ، الذين كانوا في الحسكر في ذلك الوقت ، بنظر شجاعتنا وقوتنا ، حتى أنهم توسلوا إلى ريموند أن يصرفوا على وعد بالعودة سريعا ، وبعد رحيلهم بفترة قصيرة مع مبعوثينا ، عادوا يهدايا فخمة وخيول كثيرة . وكان ذلك بسبب الخوف الذي سيطر على المنطقة كلها بعد استيلائنا على القلعة التي لم يكن أحد يستطيع اختراقها من قبل . فضلا عن ذلك ، فإن سكان الإقليم بعثوا برسالة إلى ريموند مع هدايا والتماسات يطلبون منه أن يرسل راياته وأختامه حتى يتسلم مدتهم وقلاعهم . وأذكر أنه كانت هناك عادة في جيشنا تقتضي باحترام راية أي إفرنجي وعدم الهجوم بعد ذلك . وهكذا وضع ملك طرابلس رايته الكونت على قلاعه .

ونتيجة لهذا التحول بدأ أن شهرة كونت تولوز لم تكن تفوقها شهرة أي قائد قبل ذلك . وفي رحلة فرساننا إلى طرابلس بعثتهم مبعوثين ، انبهروا من الثراء اللكن والشكاكات الفنية والمدينة المزدهجة بالسكان . لذلك فإنهم أقتنعوا ريموند بأن ملك طرابلس سوف يمنحه خلال أربعة أو خمسة أيام الذهب والفضة بما تقر به عينه ، إذا حاصر عريقة . وفي موقع يستع بدفاع قوي ولا يمكن أن تتغلب عليه القوة البشرية . وبناء على وغيابهم ، حاصرنا عريقة فجعلنا ورجالنا شجعانا يعانون شاعبا لم يعرفها أحد . وبحينتي أن أقول أننا حملنا خسائر فادحة منها الكثير من الفرسان البارزين وقد مات أحد هؤلاء الفرسان هو برنار أوف بالازون بسبب صخرة أطلقت عليه من مقذاف الحجارة ، وكانت توسلاته في التي جعلتني أوصل هذا العمل الذي نجحت نتاء كتابته لكل مستقيمي العقيدة ، خاصة من يعيشون عبر جبال الألب ، ومن أجلك أنت ، يا أسقف نيبويه الجبل .

وسأعرض بروحي الرب الذي هو الصانع الحقيقي لهذه الأحداث ، على أن أكمل بقية روايتي بنفس الحب الذي بدأت به داعياً وراجياً أن يثق كل من يسمع هذه الأشياء ، في حقيقتها وليثقلني الرب بأهوال المجيم ، ويحو اسمي من سجل الأحياء ، إذا أضفت - بدافع من التحس أو الكراهية لأي شخص - أي شيء إلى هذا الكتاب ، غير ما صدقته أو رأيته ^(١٢٢) . ورغم جهلي بأشياء كثيرة فإنني أعرف أنه من واجبي - مثل تقدمت إلى الكهنة على صليب الرب - أن أطيع الرب وأحكمي الحق ولا ألق الأكاويب ، وأود أن أستمع بنفس الود بنفس المحبة في سرد تاريخي كما حدث بولس على ذلك عندما قال أن « المحبة لا تستطع أبداً » ولتساعدني الرب ^(١٢٣) .

أثناء الحصار المطول كانت سفن القادمة من أنطاكية واللاذقية مع السفن اليونانية وسفن البنادق ترسو وبها جيوب ، وقبض ، وشعير ، ولحم خنزير ، وطلع أخري يمكن تسويقها ، ومع ذلك ، فإن البحارة سرعان ما أبحروا غاندين إلى موانئ اللاذقية وطرسوس ، نظراً لأن عرقة كانت تقع على بعد ميل من البحر ولم تجد السفن مكاناً ترسو فيه ^(١٢٤) . وكان المسلمون قد هجروا - قبل حصار عرقة - طرسوس ، وهي مدينة جيدة التحصين بأسوار داخلية وخارجية ، كما كان بها قدر كبير من المؤن . وقد تركوها بسبب الخوف الذي يشهه الرب في قلوب المسلمين والعرب في هذه المنطقة ، وهو خوف جعلهم يعتقدون أننا كنا نشع بقوة كبيرة ونعتزم تدمير بلادهم بلا رحمة .

ومع ذلك فإن الرب ، الذي لم يشأ أن يساعدنا في حصار قمتا به في سبيل مصالح ظالمة وليس في سبيله ، أمطرنا بكل أنواع الصائب ، ومن الغريب ، أن المسيحيين الذين كانوا يتشربون من قبل إلى المعارك ويستعدون لها ، أصبحوا الآن لا يلبثون إلى القتال ولا يستعملون بالحيوية ، وسار جنود المسيح الملهين الذين حاولوا عمل كل شيء ، إما جرحى أو وجدوا أن لا طائل من وراء جهودهم .

وفي حصار عرقة مات أنسلم أوف ريمونث مبته مجيدة ^(١٢٥) ، فقد

استيقظ ذات صباح واستدعى الكهنة إليه واعترف بولايته وأثامه ، وطلب الرحمة من الرب ، وأخبر بأنه علي وشك الموت . وبشما وقفوا وقد خدمتهم هذه الأشياء حيث أن أنسلم بدأ سلباً معافياً هتف بهم ، لا تتعششوا واستمعوا لي : « ففى الليلة الماضية رأيت المورود إنجلترا من سان بول ، والذي مات في معركة النعمان ، وصاتته وأنا في كامل وعيى : « ماذا يجري هنا ؟ لقد مت والآن ها أنت حيا » ^(١٢٦) .

« ورد لورود إنجلترا : « إن الذين يموتون في خدمة المسيح لا يموتون أبداً » .

نصائته مرة أخرى عن مصدر بهاته غير العادى ، وأجاب قائلاً : « ليس في هذا ما يدعش ، حيث أنني أعيش في دار جميلة » . وفي الحال أراى بيتاً في السماء جميلاً جداً لم أر ما يضارعه . وبشما وقلت مذهولاً بهذا المنظر . قال لورود إنجلترا : « إن هناك بيتاً أجمل منه كثيراً يُعد لك عدداً » . وبعد ذلك سعد .

بعد هذه الحكاية التي انتشرت على نطاق واسع ، تقدم أنسلم في نفس اليوم لقتال بعض المسلمين الذين تسللوا خارجين من قلعتهم ، على أمل أن يسرقوا شيئاً أو يصيروا شخصاً ، وفي الاشتياك الذي جرى ، قاتل أنسلم بشجاعة ، إلا أنه أصيب في رأسه بصخرة من منجانيق ، فترك هذا العالم ليعيش في بيته السارى الذي أعده الرب .

بعد ذلك أتى إلى عرقة مبعوث من عند ملك بايلون (مصر) مع فيعوتينا الذين أطلق سراحهم والذين كانوا أسرى عنده لمدة عام . كان هذا الملك مازال متزهداً بين اختياراته أو اختيار الأتراك . فعرشنا على مبعوثه هذه الشروط : إذا هو ساعدنا في بيت المقدس أو أعاد إلينا بيت المقدس وما يتبعها ، فإننا ستجد إليه هذه السابقة التي كان الأتراك قد انتزعوها منه ، في حالة استيلائنا عليها . وبالإضافة إلى ذلك فإننا كنا مستقسم معه كل المدن التركية الأخرى التي لا تقع في نطاق ممتلكاته ولكن يكون الاستيلاء عليها بمساعدتنا .

وسرت شائعة بأن الأتراك قد وعدوا ، بأنه إذا تحالف معهم ملك مصر عدونا فإنهم سيعيدون علينا ، قريب محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي كان يعيده ، وسيتقبلون عسكره ، ويدفعون له جزية ، ويوافقون على تنازلات أخرى غير معروفة لنا .

وعرف ملك مصر ، بسبب رسائل من الكنيس تضمنت معلومات عنا وبوجدناها في خيامه بعد معركة عسقلان ، أن جيشنا كان حثيرا ، وأن الإمبراطور كان يتأمر لتدميرنا ، ولهذا - ولأسباب أخرى - احتجز معوثينا لمدة عام في مصر ، أما الآن ، فعندما وصلته تقارير عن دخولنا أراضيهم ، وما صاحب ذلك من تدمير لقراء ، وحرقه ، وكل شيء آخر ، أبلغنا أنه يمكن لمائتين أو ثلاثمائة منا أن يذهبوا كل مرة ويغير سلاح ، إلى بيت المقدس ، ويعودوا بعد عبادة الرب ، وثقة منا في رحمة الرب ونقضا العرش ، وأبلغناه أنه إذا لم يُعيد إلينا بيت المقدس بغير تحفظات ، فإننا ستزحف على مصر ^{١١٨٨} .

أذكركم أن الأمير الذي كان يحتل بيت المقدس في ذلك الوقت ، لأنه عندما تلقى أخبار الكارثة الشريكة في أنطاكية ، فقد حاصر بيت المقدس وهو يعرف أن الأتراك الذين كثيراً ما كانوا ينتهزون رؤيادون لن يحاربوه . وقد سلم بيت المقدس بعد أن أعطى للمسلمين عنها هدايا عظيمة ، ثم قدم قرابين من الشموع - والبخور عند القبر فوق جبل Calvary (الجلجثة أو الجناح) .

ولكن لنعد إلى حصار عرقة ، تكما قلنا ، في شمار انشغال جيشنا هناك ، أتت أنباء بأن بابا Pope الأتراك (الخليفة العباسي) وقبائل كثيرة تبعه ، لأنه كان من ذرية محمد (صلى الله عليه وسلم) ، كانوا في طريقهم لقتالنا ، ووضع الجيش في حالة تأهب للقتال . وتم إرسال أسقف البصرة إلى جودفرى وكونت الفلاندر في جبلة ، وهي حصن يطل على البحر ، في منتصف الطريق بين عرقة وأنطاكية ، وعلى مسيرة يومين تقريباً من كل منهما . ولكن في هذه الأثناء علمنا أن الأمر كان مجرد إشاعة زائفة روجها المسلمون ، ليرهبونا ، فينالوا راحة من الحصار ^{١١٩١} . وبعد تجمع الجيوش ، راح رجال حاشية الكونت يتهاونون

بجيوشهم القوية ونزولهم ، التي سيجعلهم يذهبون في راح من القلاع والحصون ، وأجهوا الموت من أجله . ومع ذلك ، فقد كان هناك البعض من زعمرا أنهم كانوا في قدر مدفع .

وهكذا فبسبب العدد الكبير من الفقراء والضعفاء ، كان هناك حث للفقراء على تقديم عشر غنية الحرب . وكان التقسيم الذي سمح به كما يلي : الربع للكهنة الذين يقيمون القداسات ، والربع للأسقف ، والنصف لبطرس الناسك ، الخاريس المرخص له بحماية الفقراء ، وزوجات الدين ، وعامة الناس . وأعطى بطرس بدوره من هذا المبلغ لرجال الدين والمعاملة ، وبالتالي فإن الرب فتعافى من عدد القبول والجبال ولوازم الجيش الأخرى ، حتى أخذ العجب والدعشة من الصليبيين كل مأخذ . وكان هذا الرجاء المفاجئ ، سبباً في النزاع بين القادة وعبرتهم أيضاً ، إلى درجة أن أحد المسيحيين إخلاصاً للرب ، تاقوا إلى الفقر وإلى أن يهدونا القتال الرهيب .

وعرض علينا ملك طرابلس خمسة عشر ألف قطعة من الذهب من أموال المسلمين ، فضلاً عن الخيول والغال والملابس الكثيرة ، بل والمزيد من هذه الهدايا في السنوات التالية . ولكن نفهم معنى هذا العرض ، فإن قطعة ذهبية واحدة كانت تساوي ما بين ثمانية وتسعة من الصولدي . Solido . كانت الأموال المتداولة بيتنا تشمل اليكتافاني (بواتر) وانكارتييس (شارتر) والماتيس (ماتر) والمركيتيس (لوكويس) ، والفالاتزاني (فالتس) والميلير ريتيس (ملجوريل) واليوحيزي (يويه) ، وإليسان الأخيران كانوا يستخدمان بدلاً من الأثناء الأخرى ، وبالإضافة إلى ذلك ، فإن سيد جبلة خروفاً من حصار آخر ، أرسل إلى قادتنا ضريبة قدرها خمسة آلاف قطعة ذهبية ، وخبولاً ، وبغالاً ، وكعية وافر من النبيذ ^{١٢٠٠} .

والتسحت لدينا من كافيّة لأن الهدايا كانت تحمل إلينا من القلاع والمدن الأخرى غير جبلة ، فضلاً عن ذلك ، فإن بعض المسلمين ، بدافع من الخوف أو

هوامش الفصل الحادي عشر

(١) « كفر طاب » بلدة صغيرة من جنس حمص غربي حلب ، على الطريق بين معرة النعمان وشيزر . بينها وبين المعرة وشيزر اثنا عشر ميلاً ، انظر : القلشنى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، ١٤ ج ١ - القاهرة ١٩١٢ - ١٩٢٣ - ج ٤ ، ص ١٢٨ .
(الترجمة العربية)

(٢) كانت حالة التذكك على الجبهة الإسلامية أقوى من أن يشترك بحكام الشرق الأدنى الإسلامى متصافين لمواجهة الغزو الصليبي للمنطقة ، أو أن تحركهم المقاومة الباسلة التى أيقظها أهل البصرة ثم عرقة بعد ذلك ، للتصدي للفرنج . فأضطرت الأسرات العربية المحلية بالشام إلى إظهار الاستعداد لعتد اتفاقات مع الفرنج . فتجد أمراء حماة وبعض يتخلون عن فكرة مقاومة الصليبيين ، ويجد أمراء شيزر من بنى منقذ يدون للفرنج بأدلاء بقودن الطريق إلى الساحل ، ثم أمراء طرابلس من بنى عمار ، يدون للفرنج بالمزن ، ويندفعون لهم تعريضات عالية ، ويظفرون أسرى الفرنج الذين كانوا فى طرابلس . وللمزيد عن رحلة الصليبيين ، التى تعتبر رواية روبرتاجيل عنها من أدق الروايات وأكثرها تفصيلاً ، انظر : Gesta Francorum, pp. 72 - 87 .
رأيت أيضاً :

Albert d'Aix, pp. 453 - 463; Radulf of Caen, pp. 680 ff; Tudebod, De Hierosolymitano itinere, RHC - H. Occ., III, pp. 210 - 212.

راجع أيضاً ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ١١٥ - ١١٧ ، ابن القلاسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .
(الترجمة العربية)

(٣) من المحتمل أن رحيل كورت تولوز إلى كفر طاب كان فى ٨ يناير ٩٩٠ م ، وتقع قلعة شيزر جنوبي معرة النعمان ، وفى ذلك الوقت كان يحكم فيها أسرة بنى شقة وكان أميرها غرغز الدين أبو العساكر سلطان . انظر :

René Grousset, Histoire des Croisades et du royaume franc de Jérusalem, Paris, 1934, 1, p. 126; Hagenmeyer, Chr., 338, 341.

(٤) ريموند أوفه إل Raymond of Ise . لم يكن من السهل التعرف على شخصية هذا الصليبي . ومن المحتمل أن يكون من إقليم Ise Jourdain . فقد رافق كورت غرلونج

التحصن لطريقتنا فى الحياة ، تنصروا . وسبب هذا الفراء الجديد ، أرسل كل واحد من أمرائنا الرسل بالرسائل إلى المدن الإسلامية يبلغها أنه هو سيد الصليبيين . وهكذا كان سوء صدق أمرائنا فى ذلك الوقت ، وكان تانكرد من أكبر مشيرى الفتنة . وتذكرون أن تانكرد كان قد قبل خمسة آلاف صولدى ، وحصانين عربيين من سلالة ممتازة ، من ريموند ، مقابل خدماته أثناء الرحلة إلى بيت المقدس . لكنه الآن كان يريد أن ينضم إلى قوات جودفرى ، وهكذا دب النزاع بين ريموند وريموند ، وأجبراً تانكرد فى خسة عن الكورت .

* * * * *

René Dussaud, *Topographie Historique de la Syrie antique et médiévale*, Paris, 1927, p. 92; Paul Deschamps, *Les Châteaux des croisés en Terre Sainte*, Le Crac des Chevaliers, Paris, 1934, pp. 113 - 115.

وكانت الإغارة والاستيلاء على القلعة في ٢٨ - ٢٩ يناير ١٠٩٩ م.

(١١١) « ساعدنا يارب » تعبير مقتبس - انظر : Breviarium, Vema, p. 231.

(١١٢) كان أمير حصن في ذلك الوقت هو بنجاح الدولة خلف بن ملاعب الذي عينه صاحب حلب شرف الدولة مسلم العقيلي والياً على حصن في ٨٢ هـ / ٤٧٥ م. ، ليكنين شهادة حاجن بنده وبيد تاج الدولة تشش السلجوقي . وفي ابن ملاعب في حصن حتى اغتاله الباطنية في عام ١١٠٦ م / ٤٩٥ هـ . انظر : ابن القلاسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣١ ، ١٤٠ ، ٢١٨ - ٢١٩ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ١٧ ، ابن النديم : زبدة الخلف ، ج ٢ ، ص ١٢٢ .
(الترجمة العربية)

(١١٣) دحا ، روثناجيل بأن يحيى اسمه من سجل الأخياء . مقتبس من المزامير ومن سفر الخروج . انظر :
Num. ٢٥ : ٢٩ Exodus ٣٢ : ١٢

(١١٤) « الحجة لا تسقط أبداً » تعبير مقتبس من رسالة بولس الحواري الأولى إلى أهل كورنثية والتي وردت في العهد الجديد . انظر :
١ Corinthians 13 : 9 .
ومنقول بتعريف المدينة . واشكاهم بتسلطهم وليس بأسلوب روثناجيل في تقديم الأحكام .

(١١٥) اللاذقية مدينة ساحلية (Laodicea) . وانظر طرس Tortosa أيضاً مدينة ساحلية في بلاد الشام (Antiochus) . وعرة (Arqaq) (Iraq) تتحكم في الطرق المؤدية إلى كل من طرابلس واللاذقية وحلب . ومن الواضح أن الفتح لم يدرك الأهمية العسكرية لهذه المدينة . وقد بدأ حصار الفتح لعرفة في ١٤ فبراير ١٠٩٩ م . انظر :

Hagenmeyer, Chr., 352

- يذكر القلقشندي أن اللاذقية « أجلى مدينة بالساحل بثمة وصارة » ولها ميناء حسنة ، ومنها إلى أنطاكية شامية وأربعين ميلاً » ، بينما يذكر ياقوت الحموي أن أنطرقوس « مطة على البحر في شرقي عرقة بينها شامية فراعخ ولها برجان حصيان كالفلسطين » . وذكر ياقوت أيضاً أن عرقة « بلدة في شرقي طرابلس » ، بينها أربعة

عده من فرسان هذه المنطقة . وتعرف أن هناك من يدعى برقوق برتراند Raymond من هنا الاقليم مع البروقشالين . انظر :
Histoire generale de Languedoc, 3, p. 494.

(١٠١) كامبلا Camela هو الاسم اللاتيني القديم لاسيا Ercisa وهي حصن Hamis الحالية انظر :

Anonymi Gesta Francorum et aliorum Hierosolimitanorum, ed. H. Hagenmeyer, Heidelberg, 1890, p. xxxiv, 10, n. 43.

(١٠٦) وجبيل Gibellum هي جبلت Labala القديمة . وهي ميناء يقع بالقرب من اللاذقية وأنطرقوس . وقد عقبنا على حديث المزوح في كتابنا : Raymond IV, pp. 113-115 .
ولا نولي روايته الثقة الكاملة .
- وجبلت و قلعة على الساحل الشامي بينها وبين اللاذقية اثنا عشر ميلاً من جهة الجنوب . وبينها وبين أنطاكية شامية وأربعين ميلاً » . انظر : القلقشندي : منبع الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .
(الترجمة العربية)

(١٠٧) سكا مدينة ساحلية قديمة (Ptolemais) . وميناء مدينة ساحلية في بلاد الشام (Sur) وعن طرابلس ، انظر مايتقدم ، فصل ١٣ ، حاشية رقم (١١) .

(١٠٨) وصف المؤلف لهذا المكان مطابقاً تماماً لروايته عن الكمين السابق الذي نصبه البعكك . انظر ما سبق ص ٦٩ .

(١٠٩) كان يحكم في دمشق في ذلك الوقت دقاق ابن تشش السلجوقي شقيق رنجران ملك حلب . انظر :

Harold Fink, The role of Damascus in the History of the Crusades, in M.W. 49, 1, 1959.

وكان وليم أوف كونيلياكوم William of Canoliacom شخصاً مشهوراً غير معروف . ويشير HGL 3, p. 523 إلى فارس من كرملياك Cumliac أو كينلياك Ciniliac .

(١٠١) هذه القلعة هي كرك الثريسان kark des Chevaliers أو حصن الكركاء . ولا يزال هذه القلعة قائمة في سوريا . وهي إحدى أشهر الآثار الصليبية . انظر :

فرواخ ، ومن آخر أعمال دمشق ، وفي فتح جبل ، بينها وبين البحر نحو ميل وعلى جبلها قلعة . انظر القلشنى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٤٥ ، يا قوت الحسى : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٦٥٣ . الترجمة العربية : .

(١٦) أنسلم أوف ريبونت Anselm of Ribemont هو راهب وريسون ، وهو أقدم يقع في وادي أوبز Oise بالقرب من سان كوينتين بفرنسا . وهو صاحب رسالتين شهيرتين تتعلقان بالحملة الصليبية الأولى . انظر :

Hagenmeyer, Epistolae, pp. 156 ff.

(١٧) لورد إنجلترا Lord Engelrand شخص لم يتم التعرف عليه ويستخدم المصطلح ليضيف إلى قصته قصة واقعية . يستخدم إقتباسات من القديس . وعلى سبيل المثال ، يقال أنسلم لورد إنجلترا : ماذا يجري هنا ؟ لقد مت ، والآن ها أنت حيا ، ولأنك أنه أقسم هذا التعبير من سفر الرؤيا . انظر :

Apocalypsis Beati Joannis Apostoli, I : 18.

(١٨) عن البعثة الصليبية إلى القاهرة ، انظر حاشية رقم ٦ من الفصل الخامس . وفي أغسطس ٩٨٨ م قام الأفضل شاهنشاه (الوزير الفاطمي) بالاستيلاء على بيت المقدس من حكامها الأتراك سقان وإيلغازي إبن أرتق بعد الرقش الصليبي السابق لعرض الأفضل بتقسيم الشام واللسطين بينه وبينهم . ويكشف المصطلح هنا عن العداء بين الأتراك والقراطم .

— سبق أن ناقشنا القضية التي تتعلق بوقوف القراطم من الحملة الصليبية الأولى . انظر ماستي ، الفصل الخامس ، حاشية رقم (٦) . أما عن رواية ويوتناجيل هنا ، فليس هناك ما يثبت حقيقتها . في الوقت الذي يشكو لدينا ما يدع إلى عدم الأخذ بها أو الاطئتان إليها . فكل ما يرويه ويوتناجيل لم يرد عند سواء من مؤرخي الحملة المعاصرين ، وخاصة مؤلف الجستا الذي لازم الحملة حتى بيت المقدس متبعلا عن سيده يوهيند الذي بقى في أنطاكية . ولو كانت البعثة الفرنجية قد عادت إلى عرقة . أو كانت السفارة الفاطمية أو مبعثها التركية المشار إليهما في الذي قد وصلنا بعروضيهما إلى المعسكر الصليبي عند عرقة لكان مؤلف الجستا ذكر ذلك ليتأكد روايته الأولى عن وجود السفارة الفاطمية خارج أنطاكية من قبل . وإذا كان ريسان يسرد رواية =

= ويوتناجيل كاملة على أنها حقيقية . وإذا كان ريسان أيضا يحاول تأكيد رواية المصطلح بتوثيقه إياها بكتاب وليم الصوري إلى جانب كتاب ويوتناجيل ، فمن السهل الرد على ذلك بأن وليم الصوري نقل روايته عن ويوتناجيل . وربما تتبع حقيقة ما حدث في أن السفارة الفرنجية ربما تكون قد عادت بطلب الأفضل بعدم تعرض الفرنج لأعماله في فلسطين وخاصة بيت المقدس . على أن يتبع هؤلاء بحق الذهاب إلى المدينة مثل غيرهم من المسيحيين لأداء طقوس عبادتهم تسامحا من السلطات الإسلامية في مصر الأمر الذي كان متأثرا قبل وصول الفرنج إلى بلاد الشام . أما عن تواخو الإمبراطور البيزنطي الذي أثبتته عشو الفرنج على مراسلاته للقراطم ، فإن المراسلات كانت تصل إلى القاهرة وليس إلى عسقلان . كما أنه من السهل الوقوف على تواخا المصطلح ومحاولة إثبات الإمبراطور البيزنطي بتهمة الخيانة منذ دخول الفرنج أرضه . انظر :

Runciman, op. cit., Vol. 1, pp. 272 - 273.

(الترجمة العربية) .

(١٩) يشير ويوتناجيل إلى خليفة بمسما على أنه الهابة بالنسبة للأتراك . وكان الخليفة العباسي وقتذاك هو الخليفة المستظهر (٩٤٦ - ١١١٨ م) . وكانت السلطة الفعلية في أيدي السلطان السلجوقي . ويهتم ألبرت دكسي كوت تولوز بأنه تلقى وشرة من حاكم جبلة حتى يفرض كلاً من كوت القلانيز ويهودفري يعلم التعرض للمدينة . ومن ناحية أخرى ، لقد أيد المؤرخون المسلمون رواية ويوتناجيل حين ذكروا أن المسلمين أشاعوا ذلك . وليس هناك سبب قوي للشك في رواية المؤلف . وقد غادر جودفري وكوت القلانيز جبلة في ١٢ مارس ٩٩٩ م . انظر :

Hagenmeyer, Cit., 360

Charles du Fresnoy du Cange, Mediae, Glossarium mediae et infimae Latinitatis, Niorl. 1883 - 1887, 4, p. 527.

الفصل الثاني عشر روى ومحنة الحزبة المقدسة

أعلنت الآن رؤى كثيرة أرسلها إلينا الرب ، وسأحكى ، أنا مؤلف هذا الكتاب ، الرؤيا التالية تحت اسم الشخص الذي عهدها .

« في عام ١٠٩٩ م ، في الخامس من أبريل وبينما كنت أنا ، بطرس بارتولوميو ، أسير في معقل الكوث ، أثناء حصار عرقه ، تكثرت في الكاهن الذي تجلّى له الرب ، بالصلب في زمن حصار كروغنا ، ولما تسامحت لماذا لم يتجلّى لي على الصليب ، أنظر إلى الفد رأيت الرب والرسولين ، بطرس وأندرو ، وشخصاً غريباً ، ضخم الجثة ، قائم البثرة ، كبير العينين ، أضلع تقريباً ، يدخلون المعقل .

ثم سألت الرب : « ماذا تفعل ؟ » فأجبت : « إنني أقف هنا » .

واستأنف الرب كلامه قائلاً : « لقد غلبتك الآثام تقريباً ، كالأخرين ، ولكن ما هي أفكارك الآن ؟ » .

فأجبت : « يا رب ، يا أيها الأب ، لقد كنت أفكر في الكاهن وظهورك على الصليب له » ، فقال الرب : « إنني أعلم ذلك » . واستمر يقول : « آمن بأنني أنا الرب الذي ذهبت من أجله تحمل الصليب ، وأنني تحملت الآلام على الصليب في بيت المقدس ، من أجل خطاياكم ، وإذا آمنت بذلك فسوف تحيي » .

« ثم رأيت صليباً مصنوعاً من قطعتين من الخشب الأشبه المستدير المقبول ، مركباً بشكل سيء باستثناء الوصلات الستة التي تدعمه عند المنتصف » .

وأمرني الرب قائلاً : « أنظر على الصليب الذي ثبتت عنه ، وهناك على الصليب كان الرب ممداً ومصلوباً ، قائماً كما هو في الآلام وكان بطرس يستند عن يمينه وأندرو عن شماله يسك كمنهيد والغريب من خلفه يستند يمينه^(١) .

« واستمر الرب في إعطاء تعليماته : « أبلغ شعبى بهذه الرؤيا . هل ترى
جراحى الخمسة ؟ كهذه الجراح يلقف الصليبيون في خمسة صفوف ^{١٦١} . ولا يخشى
الذين في الصف الأول الرماح ولا السيوف . ولا أي نوع من العقاب . وشبهنى
الذين ذهبوا إلى بيت المقدس دون أن يخشوا السيوف والجسور واليهوديات
والعصى . وحتى الصليب . إنهم يمتدحون من أجلى كما مت من أجلهم . وحملاً
تسكن روحياً الواحد منا الآخر . وعند مرتبهم سيجلسون إلى يمين الرب . في
المكان الذي جلست فيه بعد قيامى وصعودى ^{١٦٢} . أما الذين في الصف الثاني .
فإنهم مساعدون للذين في الصف الأول . وهم حرس مؤخرة ووثاية في حالة الفرار .
وهذا الصف - يمكن أن أقول بشبه الرسل الذين تبعونى وشاركونى الطعام والذين
في الصف الثالث . يعملون في الإمداد . ليعيدون الذين يقاتلون بأشياء مثل
الأحجار والرماح وهم يذكرونى أولئك الذين راحوا يمشون معى ويخربون
في مواجهة الظلم . وأنا معلق على الصليب أعانى من آلامى ^{١٦٣} . أما الذين في
الصف الرابع . أعلقوا على أنفسهم بيوتهم واحتموا بشوئهم الخاصة عندما تشب
الحرب . لأنهم يعتقدون أن النصر لا يمكن في قوتى أنا بل في الحكمة البشرية .
أنهم يشبهون من صليبتى قائلين : « انه يستحق الموت . خذوه إلى الصليب لأنه
يزعم أنه ملك . وأنه ابن الله ^{١٦٤} . أما الذين في الصف الخامس . فإنهم عندما
سمعوا بولية المعركة نظروا إليها عن بعد . وخشوا عن سببها . وأظهروا جئناً بدلاً
من الشجاعة . ولم يدخلوا في أى مجازفة من أجلى . أو من أجل إخوتهم .
والواقع . أنهم تحت قناع الحذر يدعون من يرغبون في حوش القتال أو على الأقل
في تقديم السلاح بأن يجلسوا على الجياد فهم أشبه بالفرقة يهودا والقاضي
بروتيبوس بيلاط » .

« كان الرب معلقاً على الصليب عارياً إلا من خرقه على وسطه ذات ظلي
أسود وأحمر تحفه شرائط بيضاء وخضراء . وكانت الخرقه تتدلى من
خاضرتيه إلى ركبتيه » ^{١٦٥} . وبعد ذلك انحنى الصليب . وبنى الرب في
ملابسه السابقة . فقلت له : « سيدى الرب . إذا أبلغتكم بذلك فلن تصدقونى » .

« ورد الرب قائلاً : « هل تريد أن تعرف المشككين ؟ فأضئت قائلاً : « إننى
أريد ذلك فعلاً » .

وهنا أمرنى السبع قائلاً : « اطلب من الكوت أن يستدعى القادة والعمامة
معاً . واجعلهم يصطفون كما لو كانوا في قتال أو حصار . وفى الوقت المناسب
اطلب من أحسن الشاوين أن يطلق صيحة القتال » ساعدنا يارب » ثلاث مرات .
واطلب منهم أن يحاولوا استكمال النظام العسكري . وعندها . كما قلت لك .
مشى الصفوف وتعرف على المؤمنين وغير المؤمنين » .

ثم سألت : « ماذا ستفعل بالمشككين ؟ » فأجاب الرب : « لا تظهر لهم أى
رحمة . اقتلهم إنهم من خاننى . إخوة يهوذا الاسخريوطى . واضطوا بمشككاتهم
التجسسية فأرسل صف وفقاً لاحتياجهم . وبهذا العمل ستجدون الطريق الصحيح الذى
كنتم حتى الآن تدورون حوله . وكما تحققت التجليات الأخرى كما تنبأت بها
ستحقق هذه . وبهذه المناسبة هل تعرف الجنس الذى أحصل له تقديراً خاصاً ؟ » .

وأجبت قائلاً : « الجنس اليهودى » .

فقال الرب : « اننى أحصل الكراهية لهم بصفتهم كفاراً . وأضعهم مع أخط
الأجناس ^{١٦٦} لذلك تأكلوا من أنكم لستم كفاراً . وإلا ستكونوا مع اليهود ومرف
أخيار شعباً آخر وأحقق لهم وعدى التى وعدتكم بها » .

ثم أمرنى الرب بأن أحكى مايلى للصليبيين « لماذا تخافون أقرار العدالة ؟
دعونى أمالككم » ما الذى يفرق العدالة ؟ إننى أريدكم أن يفعلوا ما يلى - يعيشوا
قضاء بالأسير والأقارب . وإذا ارتكب شخصي جرماً في حق آخر فليسال القاضي .
أيتها الأخ هل تحب أن تعامل هذه العاملة ؟ وإذا استمر المعتدى فليحكم عليه وفقاً
لقه القانونى . وبناء على ذلك فليشعر القاضي بحريته في أن يستولى على كل
ممتلكات المعتدى عليه . فيعطى نصفها للمدعى . ونصفها للسلطات . وإذا قال
القاضي كلاماً يحتمل معنيين . لأنى سب من الأسباب . فإذهب إليه وأخبره أنه

إذا لم يصلح ذلك الأمر ، فلن يتحمل منه حتى إلى نهاية العالم ، إلا إذا خلعت أنت . هل تعرف كم يكون المزمع عبثاً ثقيلاً ؟ لقد أمرت آدم ألا يلمس شجرة المعرفة أي الخير والشر^{١٨١} . وخالف أمرى . وهكذا ظل هو وذريته في قيود نفسه . حتى أتيت لي شكل إنسان فإن معرفتهم بقتلى . وسأثروا أن البعض ينبغي أن يأخذ من العصور لأنهم أعطوا كما أمروا . وسأكانتهم وأجعلهم من التفرقين .

وبعد كلام الرب طلبت منه أن يعيد إلى معظم من قبله معرفة الخدمات (الصلوات) التي أخذت مني حديثاً في أنطاكية . وهنا سألتى الرب : ألا تكفى معرفتك لكنى تحكى ما تعرف ؟ ومع ذلك فإنه تريد أن تعرف المزيد . « وفجأة أصبحت أتقن في حكمى ولم أطلب شيئاً آخر » . وأجبت : « إنها كاذبة » . ثم استأنف الرب كلامه قائلاً : « ماذا أخبرت ؟ أجب » . ووجدتسى الآن لا أعرف شيئاً . وعندما ألح على لاكرر كلماته اعترفت : « يارب أنا لا أعرف شيئاً » . ورد الرب : « اذهب وأهلك ما تعرفه وسيكون هذا كاذباً » .

وعندما حكيتا هذه الأشياء للإخوة . قال البعض أنهم لن يصدقوا أبداً أن الرب قد أجرى حواراً مع رجل كهذا . متقاضياً عن الأمراء والأساقفة . ومُظهراً نفسه لفلاح جَلَفٍ أمى . بل إنهم قنادوا حتى وأحوا يلتقون بالشكوك حول الحرية المقدسة . بالتالى جمعنا أولئك الذين تقيقت الحرية أمامهم من قبل . ثم استدعينا أرنولف القسيس الخاص بكونت تورماندى . وزعيم التشككين في الرقيا . وطم أنه كان يتمتع باحترام كبير بسبب علمه^{١٨٢} . ثم سألتاه عن شكوكه .

وأجاب بأنه كان يشكك . لأن الأسقف أدهيسار كان قد تشكك في حقيقة الحرية . وهنا أجاب كاهن هر بطرس ديزيدريوس : « بعد موت أدهيسار رأيت عو والمبارك تيقلاس . وقال لي أخيراً : إننى أقيم في الضيافة السماوية للقديسين تيقلاس ولكن لأننى ترددت في الإيمان بحرية الرب . بينما . كان ينبغي أن أقبلها أنا بالذات من دون الناس . فقد أخذت إلى الجحيم^{١٨٣} . وأخزيت الشجر

الذى كان على الجانب الأيمن من رأسى ونصف لحيتى . ورغم أننى لا أعاقب الآن . فإننى لا أستطيع أن أرى الرب بوضوح حتى النور الكامل لشعرى ولحيتى من جديد »^{١٨٤} .

وروى لنا بطرس ديزيدريوس هذه الرقيا . وروى أخرى كثيرة تحققت فيما بعد ولكننا ستحكيها في وقتها .

وتقدم إيرار وهو كاهن . وقال : « لقد ذهبت إلى طرابلس قبل الاستيلاء على أنطاكية برقت قصير . وكنت هناك حياً أرزق عندما سمعت بحصار كبروغا للصليبيين^{١٨٥} . وعند تلقى هذه الأخبار . عرفت أن دخول أنطاكية والمخرج منها أمراً مستحيلاً . كما سمعت عن الكثير من المصائب الحقيقية والروحية أيضاً التي نشرتها أكاذيب المسلمين . وهكذا التجأت . خوفاً من الموت . إلى كنيسة . وسقطت أمام قتال مريم العذراء . ولعدة أيام طلبت بالدسوع والصلوات متوسلاً بشفاعتها . ورحمة الرب . وأنا صائم بصفة دائمة وأرسل إليها قائلاً : « أيتها السيدة الطيبة . إن هؤلاء حجاج تركوا أطفالهم . وزوجاتهم . وممتلكاتهم الثمينة . باسم المسيح . ومن أجلك . ولأن ها هم قد ارتحلوا إلى هنا من أماكن بعيدة . ويحاربون من أجل إبتك . فاشفقى عليهم . يا سيدتى وفكرى في رأى إبتك ورأيتك وفى أراحيتهم إذا أسلستهم إلى الاتراك » .

« ورحمت أضعفم وأثأروه بهذه الكلمات المرة بعد المرة . عندما جاء مسيحي سوزى وقال لي : « ابتهج وتوقف عن البكاء » واستأنف كلامه قائلاً : « منذ فترة زمنية وقفت أمام أبواب كنيسة مريم المباركة . أم المسيح . وإذا بكاهن في ملابس بيضاء يقهر^{١٨٦} . وعندما سألته عن اسمه ووطنه أجاب : « إننى مرقس . المبشر الإنجيلي . جئت من الاسكندرية حديثاً . وقد عمرجت على هنا بسبب كنيسة مريم المباركة » .

« ثم سألته عن وجهته وأجاب مرقس : « إن المسيح بقيم الآن في

أنطاكية ، ويأمر تلاميذه أن ينفضوا إليه ويضعوا في المعركة التي يجب أن يخرجوها للفرجة مع الأتراك ، وبعد ذلك انصرف .

« وعندما بقيت على شكي وحزني ودموعي طمأنني نفس السورى قائلا : يجب أن تفهم أنه سجل في الجبل بطرس المبارك ، أن الشعب المسيحي المقدس أنه أن يستولى على بيت المقدس ، سيحاصر أولا في أنطاكية ، ولن يخرجوا من الحصار إلا بعد أن يجدوا الحرية المقدسة » (١٤) .

ثم دليل إيبرا على كلامه قائلا : « إذا كان أحد يشكك في ذلك . فليعملوا نارا للاختبار ، وسوف أعيرها باسم الله ودليلا على ذلك » .

واقترب كاهن آخر هو ستيفن من قالس وهو شخص محترم وطيب ، وأضاف إلى هذه الشهادة قائلا : « لقد تحدث إلى المسيح في محنة من أشد المحن وفي حضور أمه المباركة ، مريم العذراء ، وعد بأنه في اليوم الخامس بعد هذا الحديث ، سيكون رخيما وينتهي آلام المسيحيين ، إذا عادوا إليه بكل قلوبهم . وأعتمد أن الرب كان صادقا في كلمته ، لأن الحرية المقدسة أكتشفت في اليوم الخامس . والآن إذا كنتم لا تصدقونني فإنني أقول أنني بعد هذه الرؤيا مباشرة ، عرضت على أدهيمار كبرهان على ذلك ، أن أعرض اختبار النار أمام الجمهور أو أقفز إن شاء من فوق أعلى برج ، وأنا الآن أعرض عليكم نفس الشيء » .

بإزاء أسقف آيت من قائمة شهودنا المتنامية ، فنتقدم ونشهد بأن « الرب فقط يعرف ما إذا كنت قد رأيت ذلك في المنام أم لا ، لأنني لا أعرف بكل تأكيد » (١٥) . ومهما يكن فقد وقف أمامي رجل في ثياب بيضاء ، وقد أمسك في يده حربة الرب ، هذه الحربة ، أقول ، وسألني : « هل تعتقد أن هذه حربة الرب ؟ » . وأجبت : « بالتأكيد ياسيدي » . « ولكن لما بدا على عدم الاقتناع طلب مني بخبرنة إجابتين أخريين وكررت : « إنني اعتقد أن هذه هي حربة الرب ، يسوع المسيح ، واختفى في الحال » .

الشهادة : « لقد كنت هناك في كنيسة القديس بطرس عندما أخرجت الحرية من تحت الأرض ، وهناك شهود كثيرون آخرون على ذلك في الجيش » . واستطردت قائلاً : « هناك كاهن هو بروتراند أوف لي بويه ، وهو عضو في أسرة أدهيمار أثناء حياته ، وقد أصيب بمرض مميت في أنطاكية . وفي ذلك الوقت ظهر لبورتراند أدهيمار ، وحامل رايته هرقل ، الذي أصيب في وجهه بسهم وقتل ، بعد أن هاجم الأتراك بشجاعة في أشروس معركة دارت في أنطاكية .

وهنا سأل أدهيمار : « ماذا تفعل بورتراند » وأجاب هرقل : « ياسيدي إنه مريض » . وأجاب الأسقف : « إنه مريض لأنه متشكك » . وهنا همس بورتراند : « ياسيدي إنني لا أؤمن بحرية الرب كما أؤمن بآلام الرب » ؟ « فحضره أدهيمار : « إن هذا لا يكشف . فبنيضي أن تؤمن بأكثر من ذلك » .

ورغم أن ما تلا ذلك يخرج عن موضوعنا ، فإنني سأسجله لأعبد لنفع من يستحقون . وعندما اضطر بورتراند المريض المترع إلى الجلوس أمام أدهيمار ومعه هرقل ، رأى عندما جلس هناك جرح السهم الممزق الذي أنهى جسم هرقل الدنيوية . وهنا سأل بورتراند : « ياسيدي لقد ظننا أن جرحك التام ، ولكن ما هذا ؟ » .

وأجاب هرقل : « هذا سؤال جيد . عندما جئت إلى الرب ، يسوع المسيح ، توصلت إليه أن يترك جرحي مفتوحاً لأنه أنهى حياتي ، وهكذا فإنه يجب أن يبقى شئمة الرب دون التئام » . ولم يبلغ أدهيمار وهرقل بورتراند بذلك فحسب ، بل أضافا أشياء أخرى لا تتعلق بهذه الرواية » (١٦) .

وآمن أرتولف بالحرية واعترف بعد أن سمع تلك الرؤيا وغيرها ، بل إنه وعد أسقف البارة بأن يكفر تكفيرا علنيا بسبب تشككه ، ولكنه عندما جاء في أحد الأيام إلى اجتماع ، أعلن أنه يؤمن بكل الإيمان بالحرية ، إلا أنه قال كلاماً فيه تورية ، عندما قال أنه سيكفر فقط بعد التشاور مع سيده .

وكانت أنباء موقف أرثوذكس سببا في أن يسخط بطرس باوثولوميو . وهو على حق ، كرجل صريح لكنه صادق . واندفع قائلا : « اننى لا أتمنى فقط بل أتوسل إليك أن تشعل نارا » . وسأخوض اختبار النار وفي يدي الحرية المقدسة . وإذا كانت هي حرية الرب حقاً فإننى سأخرج منها دون أن أكون بالنار^(١٧٧) . ولكن إذا كانت حرية زائفة فستهلكنى النار . وأنا أعرض أن أفعل ذلك ، لأننى أرى أنه لا أحد يصدق الرؤى أو الشهود » .

وأرغى ذلك الجمهور . وحددنا موعد اختبار النار في يوم آلام الرب على الصليب من أجل خلاصنا . وأمرنا بطرس باوثولوميو بالصوم . وبعد أربعة أيام ، وضع بزوغ فجر الجمعة الحزينة (٨ أبريل ١٩٩٠ م) . بدأ إعداد كومة الأخشاب ، واكتملت بعد منتصف النهار . واحتشد نحو ستين ألفا من السبلا . والشعب مع رجال الكنيسة الحفاة الأقدام ، الذين يرتدون الثياب الكهنوتية . ووسط ثروع الزيتون الجافة في كومتين ارتفاعهما أربعة أقدام ، يفصل بينهما نحو قدم واحد ، ويبلغ طولهما ثلاثة عشر قدما .

وبعد إشعال النار وانطلاق لهيبها في الهواء . أعلنت أنا ، وميتاجيل . في حضور الجمهور : « إذا كان الرب القادر على كل شيء . قد تحدث إلى هذا الرجل شخصياً . وإذا كان القديس أندرو ، قد كشف له الحرية المقدسة في صلاة الليل ، فليمش في النار دون أن يمس أذى . ولكن إذا كانت هذه أكذوبة فليلتهم النار بطرس باوثولوميو والحرية » . وركعت الجماهير قائلة : « آمين » . وارتفعت الحرارة الثلاثة ثلاثين ذراعاً في الهواء . ولم يستطع أحد أن يقتررب منها .

ثم ركب بطرس باوثولوميو على ركبتيه وهو يرتدى ثوبا كهنوتيا بسيطا بلا أحكام . أمام أسقف البازة . وأشهد الرب على أنه قد رأى المسيح شخصياً على الصليب وتلقى منه التعليقات المذكورة من قبل . وأيضا تعليقات من القديس بطرس ، والقديس أندرو . وأن التعليقات التى أبلغها باسم القديس بطرس أو القديس أندرو أو المسيح لم تكن من تأليفه . وأضاف أيضا أنه إذا كان

قد كذب ، فإنه لن يخرج حيا من الكومة المشتعلة . ودعا أن يغفر الرب له على تطاوله على الرب وعلى جيرانه ، وأيضا على الأسقف والكهنة والشاهدين لهذا الاختبار . وبعد ذلك سلمه الأسقف الحرية . وركب بطرس ورسم إشارة الصليب ، ومشى داخل الكومة المشتعلة بشجاعة ودون أن يخيفه شيء . ومشى يتمهل في وسطها وأخيرا ببركة الرب خرج من اللهب .

وحتى يومنا هذا يزعم بعض المراقبين أنهم رأوا هذه العلامة : وهى أن طائرا طار فوق رأس بطرس قبل أن يخرج من قبر النيران . ودار ونزله في النيران وشهد بذلك كل من إبرارد ، الذى ذكرناه سابقاً ، والذى أقام فيما بعد في بيت المقدس من أجل الرب . ويوليم يونوقيلوس ، وهو فارس محترم ممتاز من أربلس Ardes . وذكر وليم مالوس بور ، وهو فارس محترم من بيزيه ، أن رجلا يرتدى الملابس الكهنوتية . ودلة القديس فوق رأسه . دخل اللهب قبل أن يدخل بطرس^(١٧٨) . وذكر وليام أنه بدأ يصرخ عندما لم يستطع أن يرى الرجل يخرج من النار لأنه أخطأ . وظنه بطرس باوثولوميو . واعتقد أن بطرس قد إلتهمته النيران .

وفي الزحام الشديد لم تشاهد أشياء كثيرة . ولكن هناك تجليات وأحداثا كثيرة تعرفها بكل تأكيد . ولكننا لن نحكيها خوفاً من إصابة القارىء بالسأم . فضلا عن ذلك فإن ثلاثة شهود قادرين يعتبرون كافين لكافة الأحكام . إلا أننا لن نسبعد هذه : فبعد أن عبر بطرس النار ، راح الجمهور الذى أصيب بالحرق يخطفون العصي المشتعلة والقنم المتوهج . بحيث أنه لم يبق بعد وقت قصير إلا الأرض التى إسودت من النيران . وفيما بعد ومن خلال هذه الآثار . التى آمن بها الناس ، صنع الرب الكثير من الأعمال الجليلة .

سار بطرس خلال النار ولم يحترق ثوبه الكهنوتي . والحرية المقدسة ، التى كانت ملفوفة في أعلى أنواع القماش . وعندما خرج ، لوح للجماهير بوقع الحرية وهتف قائلا : « يارب ساعدنا » . وهذا أمسكت به الجماهير . أمسكت به

الجواهر أقول وجلته إلى الأرض . وأخذ كل فرد تقريباً من الرعاع يدفع ويدافع
معتقداً أن بطرس كان قريباً ويأمل أن يلمسه أو يخطف قطعة من ثيابه .
وجرحه الرعاع ثلاثة جراح أو أربعة في ساقه في أثناء التراجع ، كما كسروا
عصاه القوي . ويعتقد أن بطرس كان يصوت هناك ، لولا أن ريموند بيليه ،
وهو فارس مشهور وشجاع ، قام بمساعدة زملاء كثيرين بمهاجمة الرعاع
المتنافعين ، وحازف بحياته ليتزعم منهم . لكن لا يمكننا كتابة المزيد بسبب قلقتنا
وحزنتنا ^{١١١} .

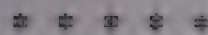
وبعد إلتئام جراح بطرس بقي حيث حصله ريموند بيليه Piler . وسألنا عن
الشيء الذي جعله يقف في النار . وأجاب : « لقد قابلني الرب في اللهب ،
وأمسك بيدي وقال لي : « بسبب شكوكك حول اكتشاف الحرية المقدسة في زمن
تجليات القديس أندرو ، فإنك لن تعبر دون جروح لكنتك لن ترى الجحيم . وبعد
هذه الكلمات اختفى الرب » . وإشأنف بطرس كلامه قائلاً : « هل ترغبون في
رؤية حروقي ؟ » كانت جراحه قاسية . أما الحروق التي كانت على ساقه فكانت
تافهة .

ثم جمعنا التشكيكين ليفحصوا وجهه وراسه وشعره وأجزاء أخرى من
جسده ، حتى يتأكدوا من صدق رفاق بطرس التي تحمل من أجلها امتحان النار .
ومجدد الكثيرون ، عند رؤية وجهه وجسده ، بهذه الكلمات « أن الله الذي خلص
هذا الرجل ، من هذه الثيران اللاقحة ، الثيران التي بلغ من حرارتها أننا اعتقدنا
أن سهماً لا يمكنه أن يمر منها دون أن يحترق تماماً ، يمكن بكل تأكيد أن يكون
حامياً لنا وسط سيوف المسلمين » .

وبعد ذلك دعا بطرس ريمونداجيل ، كاهن الكوث وكاهن الكوث وسأله : « لماذا أردت أن
أخوض امتحان النار لأثبت رؤاى للحرية المقدسة وأواسر الرب ؟ بالتاكيد إني
أعرف أفكارك المتسببة » وكشف عن شئونه ورمونه .

وعندما أنكر ريموند هذه الظنون أفعده بطرس قائلاً : « إنك لا تستطيع
إنكار هذا الدليل الدامغ لأنني عرفت الحقيقة ذات ليلة من مريم العذراء
وأدهمار . لقد اندمشت جداً عندما علمت أنه رغم أنك لم يكن لديك أي شك في
كلمات الرب ورسله ، فإنك قد قميت هلاكى وأنا أقيم الدليل على هذه الرضى
ذاتهما » .

وعندما كشف بطرس أكاذيب ريموند وقته أمام الرب ، بكى ريمونداجيل
في ألم . وراساء قائلاً « إني لا أريد لك أن تبتس ، لأن مريم العذراء المباركة
وأندرو المبارك ، سيحصلان لك على العفو أمام الرب إذا أنت جلست لهما
بحرارة » ^{١١٢} .



(١) من المحتمل أن وصف ريموناجيل لتزول المسيح من الصليب مقتبس من أدب هذه الفترة .

(٢) تعبير التهمة مفرد كان تعبيراً شائعاً في القصاص المسيحي . ومن المحتمل أن يكون لشعرون الذي يذكر ستة صفوف في خطته ضد القتلان تأثير كبير على الكتاب اللاحق . انظر :

Cicero, Second Oration Against Cataline, VIII - X.

(٣) و المسيح يجلس إلى يمين الرب : تعبير اقتبسه المزجج من الجليل متى (ابن الانبياء جالسا عن يمين القرة) . انظر :

Matthew, 26 : 64; Breviarium Ordinatum Divini Officii, p. 2

- مرة أخرى بلجاً ريموناجيل إلى الانبياس من الانجيل والتوراة ومن الأدب الروماني ومن الكتب الكنسية حتى يعطي لروايته قوة التأثير على المستمعين له من القريج . (الترجمة العربية) .

(٤) و أخزاني يفرضن حديدهم و تعبير مشابه لما جاء في الجليل لوقا . انظر :

Luke, 23 : 48.

(٥) وادعى أعضاء المسيح و إنه يستحق الموت : انظر :

Mark 14 : 46; Luke 23 : 21 - 23.

(٦) يوضح وصف المسيح وهو معلق على الصليب استخدام ريموناجيل للأشكال السائدة عن مظهره . فاشربة التي تتدلى من خاصرته إلى ركبيه كانت النمط السائد في تلك الفترة . وكانت أطول بكثير من ستار العورة المختصر الذي ظهر في فن عصر النهضة . انظر :

Alfred Maury, Croyances et légendes du moyen-âge, Paris, 1896, pp. 401-403; Bernard Teyssière, Le Sacramentaire de Gellon, Toulouse, 1959; Planches, hors-texte Fig. 143 v.

والمرجع الأخير به المنظر الأوضح للمسيح .

١٧١) - أ. أ. - بحث في التاريخ القديم - مصر - مطبع مصر - ١٩٢١ - ١٢٠

١٧٢) - أ. أ. -

١٧٣) - أ. أ. - بحث في التاريخ القديم - مصر - مطبع مصر - ١٩٢١ - ١٢٠

١٧٤) - أ. أ. -

١٧٥) - أ. أ. - بحث في التاريخ القديم - مصر - مطبع مصر - ١٩٢١ - ١٢٠

١٧٦) - أ. أ. -

١٧٧) - أ. أ. - بحث في التاريخ القديم - مصر - مطبع مصر - ١٩٢١ - ١٢٠

١٧٨) - أ. أ. -

١٧٩) - أ. أ. -

١٨٠) - أ. أ. - بحث في التاريخ القديم - مصر - مطبع مصر - ١٩٢١ - ١٢٠

١٨١) - أ. أ. - بحث في التاريخ القديم - مصر - مطبع مصر - ١٩٢١ - ١٢٠

١٨٢) - أ. أ. - بحث في التاريخ القديم - مصر - مطبع مصر - ١٩٢١ - ١٢٠

١٨٣) - أ. أ. - بحث في التاريخ القديم - مصر - مطبع مصر - ١٩٢١ - ١٢٠

١٨٤) - أ. أ. - بحث في التاريخ القديم - مصر - مطبع مصر - ١٩٢١ - ١٢٠

١٨٥) - أ. أ. - بحث في التاريخ القديم - مصر - مطبع مصر - ١٩٢١ - ١٢٠

١٨٦) - أ. أ. - بحث في التاريخ القديم - مصر - مطبع مصر - ١٩٢١ - ١٢٠

١٨٧) - أ. أ. - بحث في التاريخ القديم - مصر - مطبع مصر - ١٩٢١ - ١٢٠

العمل الذي ، الزائر الحارق للطبيعة وسط الليل ، الطائر المعلق ، وخروج البطل ، كل هذه التفاصيل وأكثر منها لها مثيلاتها في عصور أخرى . انظر :

H.C. Lea, Superstition and Force, Philadelphia, 1892, pp. 305 - 306;

H.C. Hawthorne, Saint Gregory the Great, London, 1912, pp. 227-228.

ويشير هراوث إلى أنه عندما حكم عن الشخص المعزى كحقيقة فإن هذا غالبا ما يكون كتابة أدبية أكثر منها نصا لعقل راجع . ونحن لا نلاحظ فكرة أنه كان هناك اختبار النار ، ولكننا مقتنعون بأن وصفه كان تلقيفا قام به المؤرخ . ويضع هاجنير اختبار النار في ٨ أبريل ٩٩٠ م . انظر : Hagenmeyer, Chr. 364.

- سبق أن اعتدنا في تقدمنا لرواية ريتوناجيل عن عودة السفارة الفرنجية من مصر إلى المعسكر الصليبي بالقرب من عرقة ، ووصول سفارات أخرى إسلامية إلى الفرنج ، وعن عروض قدمها المسلمون للفرنج على انفراد وريتوناجيل - دون بقية مؤرخي الحملة الأولى وخاصة مؤلف الجستا الذي وافق الجيش الصليبي إلى بيت المقدس بعد أن انفصل عن سيد بوهيمست الذي بقي في أنطاكية - وعده يسرد هذه الرواية بما يشكك في صحتها . وما يذهب إليه كرى هنا يريد ما ذهبنا إليه من قبل . انظر ماسبق ، الفصل الثماني عشر ، حاشية (١٨) .

الترجمة العربية : ١ .

(١٨) . وليم برونفيليس Guillelmus Bonafilius ، فارس من آرل Arles ، وليم فالوس بوير Guillelmus Puer ، فارس من بيزينه Béziers . وقد استخدمهما المؤرخ كشيرو علمانيين لدعم روايته .

(١٩) ريموند أوف بيليه Raymond of Piles عرقه بيزينه كفارس من ليسبون وانضم إلى القوات البيزنطية . وعرقه غريب كماكم آية Allen . انظر : H.C. Lea, 1-283.

(٢٠) مرة أخرى يختص ريتوناجيل جزا كبيرا من تاريخه لسرد وديا بارثليميو . وفي حصار عرقة ، يبدو أن وديا واحدة لم تكن تكفي ، لفرى ريتوناجيل وديا آخرين غير بطرس . وما ليزيد من حفاص الفرنج في محاولتهم للاستيلاء على تلك المدينة الإسلامية الصغيرة ، التي كللت ، المتارمة التي أهداها أهلها . الصليبيين الكثير من الأرواح والعتاد ، إلى جانب الوقت والجهد دون طائل . ومرة أخرى نجد ريتوناجيل وحده - من بين مؤرخي الحملة الأولى - يسرد هذه الرواية بإسهاب كشاعت وحيد لها . ومرة

= أخرى لا نجد لهذا الأحداث أي أثر في كتاب مؤلف الجستا الذي كان ضمن حقايق الفرنج عند عرقة . الأمر الذي يشكك في صحة الرواية التي أوردها ريتوناجيل . وإذا كان هناك من ذكر هذه الأحداث من مؤرخي هذه الحملة مثل فوشيه أوف شارتر أو رادولف أوف كان . فكلاهما لم يكن شاهد عيان لهذه الأحداث وكان فوشيه بصحة برلنمين في روما وكان رادولف لا يزال في غرب أوروبا . وأظهر فوشيه ارتيابه في أمر الحربة ، أما رادولف فلم يتوان عن إظهار تشككه في بطرس بارثليميو واتهامه بالكذب واختلاق روايات لم يحدث منها شيء . ويظهر ذلك جليا من حديث رادولف عن اختبار النار الذي مر به بطرس حيث يقول : وارثدي بطرس عيانه . ولم يرد غيرها . ومضى وسط النيران . وسقط مشغلا ، ولطف آتفاه معترقا بكذبه . وعندما رأى الناس ما حدث أمامهم . حدثت غششات وعصبات وأقروا بأنهم كانوا محتومين ... وبعد أن قال بطرس مختلق الأكاذيب العقاب الذي يستحقه ما الاتفاق ... انظر :

Fischer of Chastres, pp. 99 - 100, Radulf of Caen, pp. 682 - 683.

وبالرغم من طول الرواية التي سردوها ريتوناجيل عن الرزق المختلفة ، فإنه لا يتفطن عن ملاحظة المقارعة الشديدة والتجاعة التي أهداها أهل عرقة في التصدي للهزيمة الصليبية على حديثهم ، التي سددت دون مساعدة من سائر القوى الإسلامية ، في الوقت الذي أجبرت قوى إسلامية أخرى في بلاد الشام على الاتفاق مع الصليبيين والتخاذل أمامهم . فحصار الفرنج لعرقة كلف الفرنج الكثير . وجعل اليأس يدب في قلوب الكثيرين منهم . ويكتفى أن يصلح كورت سان جيل أوامره برفع الحصار عن عرقة وهو منخرط في البكا - على ما تكبه وقوائه من خسائر في الحصار الذي وصفه مؤرخه بأنه حصار كريمة وثقوت . فقد استمر حصار الفرنج لعرقة لمدة أربعة أشهر وتقريبا سردوا عدة تغريب فلم يقدروا عليها . انظر : ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٩٥٥ . راجع أيضا ما تقدم من الفصل ١٣ - ص ٢٢١ . (الترجمة العربية : ١)

الفصل الثالث عشر

التخلي عن حصار عربة واستئناف الرحلة

إلى بيت المقدس

في هذه الأثناء، قُسمت النزاعات الجيش، ولكن الرب، مرشدنا، ووفقاً
أصلح هذه النزاعات حتى لا تضيق أكتفه. وعندما علم حاكم طرابلس، وهي
مدينة قريبة من معسكرنا، بالنزاعات، سخر من طلب الجزية التي حمله
مبعوثونا، وقال: «من هم القرطجة؟ وما شأن قرصانهم؟ وما مدى قوتهم؟ فكروا
في الأمر. لقد حاصر جيش القرطجة عربة ثلاثة أشهر^(١)، ورغم أنني لا
أبعد عنهم إلا أربعة فراسخ، فلم يقع منهم هجوم واحد على، ولم أر رجلاً واحداً
مسلحاً منهم. أيها القرطجة تعالوا إلى طرابلس ودعونا نراكم ونختبر قوتناكم،
لماذا ينبغي أن أدفع جزية لوجوه لم أرها، ولقرة لم أعرفها؟»^(٢).

وأثار هذا التقرير التساؤل العام: «أنظروا ماذا جئنا من النزاعات
والمشاحنات؟ لقد أحجبه الرب عنا من جديد، وأصبحنا مروعاً احتقاراً».

وحدثت هذه المشاهد الأمرأ الذين أمروا أسقف البازة وجزءاً من الجيش أن
يجمعوا العسكر بينما يقومون هم مع المشاة والفرسان في التشكيل المعتاد بهاجمة
تحصينات طرابلس. وفي التاريخ المحدد عندما سار جيشاً بهذا النظام، خرج إلينا
أهل طرابلس وهم واقفون في حشودهم الصاخبة في تشكيل قتالي. كان هناك
سور صلب ومرتفع جداً لمجرى مائي يؤدي إلى طرابلس، يشكل طريقاً حقيقياً بين
المدينة والبحر الذي يحيط بطرابلس من ثلاث جهات.

وهكذا حصّن المسلمون هذا السور المذكور للمجرى المائي، بحيث يمكنهم في
حالة الانفصال أن يهربوا إلى الخلف وإلى الأمام كما لو كانوا يهربون من حصن إلى
حصن. وعندما رأى المسيحيين منظر أهالي طرابلس وهم واقفون في مرتفعهم
القتالي وأسلحتهم، ابتهلوا، مشاة وقرصاناً، إلى الرب ولجؤوا بمرأيتهم
واحتشدوا معاً. كان تقدمهم إلى صفوف العدو أشبه بمركب، بحيث أنك لم رأيت

الزحف ، خسيت أنهم يتقدمون كأصدقاء ، لا كأعداء . وشل الرب حركة قوا
طراييل بالخراب ، ولم يكن واحد يهرب بعد أول حصار مسلح . وامتلات الأرض
بدم المسلمين وسدت جثثهم المجزى المائي . وكان من المناظر المبهجة منظر الماء
الشفقة في المجرى المائي وهي تخرج أجساد النبال والدعاه إلى طراييل
وقد قسدت رؤوسها . وقعدنا رجلا أو اثنين بينما يقال أن سيمانة من الأتراك
قد قتلوا .

وبعد الانتصار ، عاد قادتنا إلى عرقة بالغانام ، وأعلنوا : « لقد رأنا ملك
طراييل اليوم كما رأينا نحن كذلك الطريق إلى طراييل ، وديونا وسائل الهجوم .
وإذا وافقتم الآن فستجعل ملك طراييل يختير معلن فرساننا غدا » . وهكذا
لم يجرؤ شخص واحد على الخروج من طراييل عند عودتنا إليها في اليوم
التالي . وبعد ذلك عرش ملك طراييل على قادتنا أن يعطيهم خمسة عشر
ألف قطعة ذهبية ، وخيولا ، وبغال ، ومائيس ، وموثا ، وموثا عامة
مفتوحة . كما أنه سيعيد إلينا جميع الأسرى المسيحيين إذا تخلينا عن حصار
عرقة^(١٣) .

وبوصل رجل من الإمبراطور الكيسوس إلى المعسكر في ذلك الوقت ،
يحملون احتجاجا على تلك بوهيشد أنطاكية ، خلافا لليهود التي قطعت
البيان ليوس . وسأقطع روايتي لأذكر أن بوهيشد كان يحتل أنطاكية في ذلك
الوقت . لأنه طرد رجال ريوثد بعنف ، من الأبراج التي كانوا يحرسونها . عندما
سمع أن الكونت قد انطلق من معرة النعمان إلى داخل سوريا ، كما ذكر المبعوث
البيزنطي أن أنكيسوس سيقدم مبالغ كبيرة من الذهب والفضة ، وأن على
المسيحيين أن ينتظروه حتى عيد القديس يوحنا (أواخر يونيو) حتى يستطيع
أن يسير معهم إلى بيت المقدس . ويحذر بالذكر أن عيد الفصح كان يتقرب في
ذلك الوقت^(١٤) .

وجادل كثيرون ، منهم كونت سانجيل ، قائلين : لنزجل رحمتنا حتى وصول

الكيسوس . فسوف تأخذ هدايا ، وسيؤمن وجوده التجارة برا وبحرا ، وستعود
تحت قيادته . وستلحق كل المدن أسلحتها وميثاقها الكيسوس أو يدمرها كما
يشاء . وهناك احتمال أيضا بأن الصليبيين ، الذين أجهدتهم الخصومات الطويلة
المسترة سيؤثرون ، إذا وصلوا بيت المقدس . أن يعزدوا إلى ديارهم فيجود أن يزوا
أسوارها . ففكروا بعناية في عدد الأخطار الكامنة في مواجهة أولئك الذين
يتقنون إلى الوفاء بذرهم . ولتصعد من حصار عرقة حتى تستسلم حاميتها في
خلال شهر ، أو يتم الاستيلاء عليها بالقوة . ومن ناحية أخرى فإذا نحن قررنا ألا
جدوى من الحصار ، وانتشرت أخبار تخليتنا عنه بعيدا . أصبحت ، ونحن جيش
عرب يتنقله لشروعاته بنجاح ، موضع سخرة واستهزاء .

ورد آخرون بمكس ذلك : « لقد أضربنا الإمبراطور دافنا وخدعنا وخامر
علينا . ولا أدرك أنه متعقب ، وأنتا أقوياء يقضيل الرب ، سعى إلى إبعادنا عن
التيار المقدس ، خوفا من أن يؤدي الحديث عن نجاحنا إلى أن يعتد آخرون خدوتنا .
فليحذر أولئك الذين آسأ إليهم بالكلام أو بالاتصال من أن يثقوا فيه ثقة لا طائل
بواقعها . ولتستأنف زحفنا إلى بيت المقدس ، ولتضع ثقتنا في المسيح قائدنا الذي
خلصنا من الخطر الذي أشعرتنا باليأس . وجعلنا من أعمال الكيسوس وخداعه .
وعندئذ فإننا ستحقق أحلامنا بسهولة بوعيد الرب . وعند سماعه لأخبار استيلائنا
على بيت المقدس ، والتجارة المفتوحة ، فإنه سيرد على ذلك بأعمال ويهدايا بدلا
من المكاسب الخداعة » .

ورافقت أغلبية الناس على هذا الرأي الأخير ، ولكن رغباتهم ومجلس
الأمراء لاقت صعوبات . وقد ثارت هذه الصعوبات بسبب الخشية الشديدة لكونت
ريوند ، ولأنه واجه الموت بشجاعة ، دون أن يكون معه القادة الآخرون ، وحقق
الكثير من المكاسب الخاصة الكبيرة .

في هذه الحجة أعلننا العزم والصلوات والصدقات للناس . على أمل أن

يتطلب الرب القادر على كل شيء . والذي أخذ بيدنا غير بلاه كثيرة ، وبهلفنا
مشيئة . وهكذا أقنعت صلوات المؤمنين الرب .

وظهر الأسقف أدهمار لستيفن أول فالتقى ، الذي كتبنا عنه من قبل
بخصوص رؤيا الرب على الصليب . وعزبه بقطيب بينما كان يمشي عائداً إلى
بيته ذات ليلة وناداه : يا ستيفن .

ورد ستيفن : يا سيدي . وعندما استدار تعرّف على أدهمار .

سأله أدهمار : لماذا تجاءت لعدة مرات أوامري الخاصة بصليب الرب ،
وأوامر أمنا مريم العذراء ؟ إنني أتحدث عن الصليب الذي كان في حطرون
الأنطاكية ، ليحمل في الجيش . قل لي أي أثر دبت في أفضل من الصليب ، ألم يرحم
هذا الصليب بما يكفيكم ؟ ألم يرشدكم إلى الحرية المقدسة ؟ إن ميدتنا مريم
العذراء المباركة تقول الآن أنه بدون هذا الصليب لن تكون لديكم حكمة .

وهنا صاح ستيفن : آه يا أعز سيد ، أين مريم المباركة ؟

وفي الحال كشف أدهمار عن مريم واثعة الشكل والمليس ، وهي تقف على
بعد تسعة أو عشرة أذرع مع أجانا المباركة وعذراء محكة بشمتين^{١٤١} . وهنا
تكلم ستيفن مع أدهمار ، الذي كان يقف بجوار مريم : يا سيدي كثيرة هي
الإشاعات في الجيش ، ومن بينها أن شعرك ولحيتك قد احترقا في الجحيم ، وغير
ذلك من القصص التي لا يمكن تصديقها . كذا فإني أتضرع إليك أن تعطيني
واحدة من التسرع لأحملها إلى الكورث دليلاً على أوامرك .

فرد أدهمار قائلاً : أنظر إلى وجهي ، ألا تراه محترقاً ؟ ثم سار
الأسقف إلى مريم العذراء وعرف مشيئتها وعاد إلى ستيفن وقال له : لا يمكن
تحقيق رغبتك ، ولكن الخاتم الذي في أصبعك لا فائدة لك منه ، ولا ينبغي أن
تلبسه . لذلك فاذهب إلى ريوثد ، وقدمه إليه وأخبره أن العذراء ، المقدسة

جنا ، تحمل هذا الخاتم إليك . وفي كل قسطنطينية استحضرت إلى ذمك السيدة مائعة
هذا الخاتم ، وتوصل إليها وسباعدك الرب .

ورقة أخرى استفسر ستيفن عن الأوامر الخاصة بأخيه ، وأجاب أدهمار :
اجعله يقف الأسقف المنتخب بإقامة ثلاثة قداسات للرب لأرواح أنارثا . وأما
مريم تأمر بالآ تظهر الحرية المقدسة بعد ذلك إلا ويحملها كاهن يرتدى الملابس
المقدسة ، وأن يسبقها الصليب على هذا البحر . وأمسك أدهمار الصليب معلقاً
من رمح وتبعه رجل يرتدى الملابس الكهنوتية ، والحرية المقدسة في يده ، بينما
الأسقف يردد :

" Gaude Maria Virgo Cunctas hereses sola unteremisti "

واشتركت مئات الآلاف من الأصوات التي لاحصر لها في جوقة المرفين السماوية
واخفت بصاغة القديسين^{١٤٢} .

وفي الصباح التالي ، كان أول ما سأل عنه ستيفن هو ما إذا كانت لدينا
الحرية ، وعندما رآها انفجر باكياً . وبدأ يحكي الرؤيا السابقة وما سمعه ورآه ،
وتأثر الكورث بذلك ، فأرسل وليام هير أول مونثيل ، شقيق أسقف لي بريد ،
إلى اللاذقية حيث ترك صليب أدهمار وقنصلوته .

في هذه الأثناء ، استنصر بطرس بارتولوميو ، الذي كان قد أقعده المرض
الناتج عن التبرعات والجسروح التي تولت به ، الكورث والقادة الآخرين إليه
وأخبرهم : لقد دنا الموت مني ، وأنا على وعي تام بأنني في حضرة الرب سوف
أعاسب على كل أفعالي ، أو كلماتي ، أو أفكارى الشريرة . وأمام الرب ، وفي
حضوركم ، أشهد أنني لم أخرج أي شيء ، بخصوص كل الأشياء التي أبلغتكم بها
على أنها من الرب والرسول . ولا شك أنكم سوف ترون تحقيق كلماتي إذا خدمتم
الرب بصدق . وبعد ذلك مات بطرس في الساعة التي جدها الله في سلام ودنن
في البقعة التي عبر فيها النار ومعه الحرية المقدسة^{١٤٣} .

في ذلك الوقت سأل ريموند والزعماء الصليبيين الآخرين أهالي المنطقة ، عن

أفضل الطرق إلى بيت المقدس . وأقلها وعورة . وهكذا ، أتى إليها بعض
السريين وأسفل مجيئهم لاستطرو قليلا . فقد كان هناك بحر متين أنفاً من
المسيحيين يمتلكون جبال لبنان والمناطق المحيطة لسنوات طويلة ، ويخاطب هؤلاء
المسيحيون باسم الصوريين حيث أنهم قرييون من Tyre التي تسمى الآن عادة
صور Sidon . وعندما زادت قوة المسلمين والأتراك بمشية الرب ، أجبر الكثير من
الصوريين الواقفين تحت ليرهم لأرضيات سدة أو يزيد على التحلي عن بلادهم
وشرعتهم المسيحية .

ولكن إذا كان البعض قد تحدى المسلمين بفضل من الرب ، فقد أجبروا على
تسليم أطفالهم لكي يتم ختانهم ، وتعليمهم القرآن . أكثر من ذلك ، فإن الآباء
كانوا يقتلون بنسباً كانت الأمهات تلقين معاملة سيئة ومتزعزعة أطفالهن من بين
أعضائهن . لقد دفعت المشاعر الشريرة الملتصبة هذا الجنس من البشر ، إلى هدم
كنائس الرب والقديسين ، وتحطيم الصور ، وفقاً عيرون الصور التي لا يمكن
تخطيها ، واستخدام التماثيل هدفاً لمهاجمهم ، وقتلوا الهيكل ، وجعلوا الكنائس
الكبيرة إلى مساجد . ولكن إذا رغب مسيحي واحد في صورة للرب أو لقديسين
في بيته ، فقد كان عليه أن يدفع ثمنها لذلك شهراً بعد شهر وعاماً بعد عام إلا
فإنه سوف يرى هذه الصورة وقد ألقيت في الرجل وحطمت . والشئ الذي ساروبه
الآن غير سار بالرة . فقد وضعوا شياهم في المراخير وتبادلوا شقيقاتهم بالخبر من
أجل المزيد من اللسق (٨٨) .

وكانت الأمهات يخشين أن يكيين على ذلك ، وعلى غيره من الآلام علناً .
ولكن لماذا أصبح كل هذا الوقت عن الصوريين ؟ من المؤكد أن هذا الجنس قد
تأمر على قدس الأقداس وتراثه . ولولا أن الرب قد حصن بأمره وميادونه
الحيوانات المشووشة ضد ضرور عائلته ، كما فعل مرة في وجودنا ، فإن
الفرحجة كانوا سيلاقون مصائب الصوريين إلا أن هذا يغفل الموضع
بشكل كافٍ (٨٩) .

ومثل الصوريين الذين تحدث عنهم فيما سبق ، في اجتماع مع ريموند أوف
سان جيل ، عن الطريق وأجبالها : « إن طريق دمشق مهد ، ومزود بالطعام
الكافى ، لكن لا ماء به لمدة يرمين . والطريق من خلال جبال لبنان ، مأمون
وتوفر بها الضروريات ، لكنه يمر جداً بالنسبة لحمال ودواب الحمل . وهناك طريق
آخر مع ذلك محاذ للبحر ، إلا أن به بعض المرات الشديدة جداً ، حتى أن خسوف
أو مائة من المسلمين يمكن أن يصدوا عندما الجنس اليسرى كله . ومع ذلك فإنه
مسلح في إيجالنا لطرس المياك ، أنه إذا كنتم أنتم الذين قدّر لهم أن يستولوا
على بيت المقدس ، فإنكم ستسيرون بحذاء ساحل البحر ، رغم أن مخاطره تجعله
يبدو مستحيلاً علينا . وهذا الإجهال الذي كتب بيننا لا يتعفن فقط اختباركم
للطرق ، بل الكثير من أعمالكم السابقة ومصار الأخلاقيات القادمة » (٩٠) .

وأثناء تبادل الآراء ، عاد وليام هيو أوف مونتيل ، بالصليب المذكور آنفاً ،
وأثارت رغبة الصليب مشاعر حاشية الكونت بخضوع الرحلة حتى أنهم خلافاً
للتصحية ريموند وأمرأه آخرين ، أخرجوا ملاجئهم وكانوا أول من غادر عرقه .

إنجبر ريموند باكياً ، وبدأ يحث نفسه والآخرين ، ولكن الرب تجاهل
مشاعره مراعاة لإرادة جمهور الصليبيين . ومن ناحية أخرى ، فإن جودفري الذي
كان تواقاً إلى استئناف الزحف راح يحرم الجماعة . وهكذا بعد أن تركنا هذا
الحصار الكريد والمثيرة لعرقه ، وصلنا إلى طرابلس حيث حاول ريموند - في
مواجهة المعارضة الإجماعية للقادة - أن يغريهم بالترسلات والمكافآت أن يحاصروا
طرابلس (٩١) .

وهنا ظهر القديس أندرو ليطرس ديزينديريوس ، وهو شخص أشرنا إليه من
قبل وأمره : « اذهب وأبلغ الكونت : « توقف عن إزعاج نفسك وإزعاج الآخرين .
لأنك لا تستطيع أن تتوقع أي مساعدة من الرب ، حتى يتم الاستيلاء على بيت
القدس أولاً . لا تتزعج لعدم اكتمال حصار عرقه . ولا تحصل شيئاً إذا لم تسقط من
ومدن أخرى في الطريق . وقولاً ، فإن هناك معركة وشبكة سيتم فيها قطع هذه

الذين هم ومدن أخرى أيضاً . لهذا ترفقت عن إطلاق نفسك وأتباعك . وباسم الرب أعط بسخاء من عطاياء لك . ولكن أيضاً رقيقاً وصديقاً مختصاً لرجالك . وسيعطيك الرب بيت المقدس والاسكندرية والقاهرة إذا فعلت ذلك . ولكن إذا لم تفعل فإنك لن تحصل على المكافآت التي وعد الرب بها . ولن يكون لك ميراثاً حتى تكون في عهد لا مفر منه .

وخضع الكونت لهذه الكلمات التي قالها الكاهن خضوعاً باللسان فقط . فقد تجاهلها بأعماله وأنكرها بتقشيره في الكنوز العظيمة التي نالها من ملك طرابلس . أكثر من ذلك ، فقد آثار غيظه أتباعه بالسب والتعنيف . وقد حكى بطرس ديزيدريوس ذلك ، ومسائل أخرى كثيرة ، ننقل بعضها في هذا الكتاب .

فقد جازى بطرس ديزيدريوس أنا ، ريمونداجيل ، قبل ذلك بوقت طويل . عندما كنا نفكر في مغادرة أنطاكية . وأخبرني أنه رأى رؤيا أتى فيها إليه شخص وأمره : « اذهب إلى كنيسة ليونتيوس المبارك . حيث ستجد بقايا أربعة قديسين . فخذها واحملها إلى بيت المقدس » . ومضى الشخص يرى بطرس الآثار ومكاتها وأخبره بأسماء القديسين . ومع ذلك ، فإن بطرس تشكك في الرؤيا بعد أن استيقظ وصلى وتوصل إلى الرب أن يؤكد له مرة ثانية أن ذلك كان صحيحاً منه . وهكذا ، ظهر نفس القديس مرة أخرى . وهدده لإهماله أوامر الرب . وقال أنه إذا لم يتم نقل البقايا قبل اليوم الخامس من الأسبوع ، فسيحل به عذاب كبير هو وسيدته إيزوارد كونت أوف داي . وهو رجل مخلص للرب بقوة وحكمت وبركته التي نفعتنا (١٦٦) .

وقد كررت هذه القصة على مسامح أستاذ أورانج ، وريموند سان جيل وآخرين بعد أن رواها لي بطرس . بعد ذلك مباشرة جئنا إلى كنيسة القديس ليونتيوس ونحن نحمل الشموع ، التي قدمناها مع الثمر للرب وللقديسين في نفس الكنيسة . وسألنا الرب الذي جعل هذه الآثار مقدسة . أن يعينها لتكون رفاقاً لنا وعوناً . وسيكون هؤلاء القديسون مرتبطين بنا بدلاً من احتقار زمالة

المحتاج . ومن نالهم الرب . وسيكون أوتياؤهم هذا يذائق من الحب المسيحي . وهكذا برطونا بالرب . في الصباح التالي . وفي صحبة بطرس ديزيدريوس أتينا إلى مكان آثار القديسين . وكما حكى تماماً ، وجدنا بقايا القديس كيريلان ، والقديس أوميجيوس ، والقديس ليونتيوس . والقديس حنا ذهبي الثم (١٦٧) . كما وجدنا هنا أيضاً خزانة بها آثار لم يتعرف عليها الكاهن . وعندما سألتا الرهبان ، جازوا في تعريفها . فقال البعض أنها للقديس مركوريوس . وبينما ذكر آخرون أسماء قديسين مختلفين . وبغض النظر عن غرض أمرنا . فقد أراود ديزيدريوس أن يجمعها ويضعها مع الأخرى (١٦٨) .

نقلت أنا - ريمونداجيل - في حضور كل الجماعة بقوة أنه : « إذا كان هذا القديس يرغب في الرحيل معنا إلى بيت المقدس . فليعلن اسمه ووظيفته . وإلا فليبق في هذا القابوت . هل نريد من أعياننا يحمل هذه العظام المجهولة ؟ » ونتيجة للكلام تركنا العظام التي لم يتعرف عليها أحد في ذلك الوقت .

وفي الليلة التالية لجمع الكاهن للبقايا الأخرى راقبنا في الأعمشة وفي غطاء . وقف شاب وسيم في حوالي الخامسة عشرة أمام هذا الكاهن في ضلوة الليل وسأل : « لماذا لم تعمل رفاقي اليوم مع الآخرين ؟ » .

وهنا سأله الكاهن : « ومن أنت ؟ » واستمر الشاب يسأل : « ألا تعرف اسم حامل راية هذا الجيش ؟ » واعترف بطرس : « لا ياسيدي » . وعندما كره بطرس نفس الإجابة قال له الشاب بعنف : « أخبرني بالحقيقة » .

وهنا رد بطرس : « ياسيدي ، يقال أن القديس جورج هو حامل راية هذا الجيش » . وهنا قال الشاب : « صحيح ما تقول . إنني أنا القديس جورج وأنا أمرك أن تجمع رفاقي وتضعها مع الآخرين » (١٦٩) .

ومع ذلك تيمموا الأيام دون أن ينفذ الكاهن الأمر عاد القديس جورج وطلب منه بقلعة : « لا تنزع الصباح يرد دون أن تجمع رفاقي . وحده أيضاً قتيبة من دم

مریم العسذراء والشهيذة ثقلًا Thecla . ومتجدها قرية . ودتل القدس .
وفي هذه المرة وجد بطرس ديزيديوس كل هذه الأشياء . وثقل أوامر القديس
جورج^(١١٦) . وقيل أن تواصل قصتنا يجب أن نذكر أولئك الرجال الذين هجروا
وأبحروا على سطح البحر المتوسط القريب الشاسع . والمحيط . حياً في القيام
بالخدمة الصليبية . فعندما سمع هؤلاء الإنجليز أخبار الحملات الصليبية التي تُشن
باسم انتقام الرب من أولئك الذين دنسوا الأرض التي ولد فيها المسيح ورسله .
أبحروا في البحر الإنجليزى وداروا حول ساحل إسبانيا . مبحرين عبر المحيط
وماخرين عباب الأمواج في البحر الأبيض المتوسط . وبعد جهد جهيد وصلوا
أنطاكية واللاذقية قبل جيشنا . وقد ضمن لنا الإنجليز . وأيضاً الجنوة . التجارة
من قبرص والجزر الأخرى . فأثبتوا بذلك نفوذهم ومعاونتهم . كانت هذه السفن
تبحر يومياً فتروح وتقدو في البحر . فتبث العرب في قلوب المسلمين وتجعل
إبحار السفن اليونانية أمراً مأمناً . ومع ذلك فعندما رأنا الإنجليز تنطلق إلى بيت
المقدس . ورواوا خشب السرو المتنوعة منه صنهم يتأكل وتتغفن لطول عهده حتى
لم يبق من الثلاثين سفينة إلا تسع سفن أو عشر . هجر البعض السفن ونزلوا إلى
الشاطئ . بينما أحرق آخرون قرازيهم وأسرعوا يتجهسون إلى الزحف على بيت
المقدس^(١١٧) .

وتباطأ أمرنا أمام طرابلس حتى نزع الرب فيهم الرغبة في مواصلة الرحلة
بحيث زالت كل معارضة . وهكذا فعلنا خلاف عاداتنا . وأوامر الأمراء . وصلنا
ليلاً . ومرتنا طوال الليل . ووصلنا بيروت في اليوم التالي . وبعد أن استولت
طليعتنا فجأة على عمر (مرتقى صور) Bucca Tona . وصلنا عكا دون أن
يتمتعنا شيء . وفي خلال أيام قليلة^(١١٨) . وخاف ملك عكا من الحصار . وتطعم
يقلق إلى رحيلنا . فأقسم لرموند على مايلي : « أنه سوف يسلم نفسه وعكا
للصليبيين . إذا استولينا على بيت المقدس . أو بقينا في فلسطين لمدة عشرين
يوماً دون أن نضطر إلى الاشتباك مع ملك مصر . أو إذا هزمنا هذا الملك . وفي
هذه الأثناء . فإن ملك عكا وعد بتقديم صداقته^(١١٩) . وبعد ذلك رحلنا من عكا
في مساء أحد الأيام وعسكرنا بالقرب من المستنقعات القريبة .

الصليبيين

كما جرت العادة في ذلك الوقت . فبينما راح البعض يجرى هنا وهناك .
يبحث عن الضرورات . والبعض يبحث عن مرقع خيام أصدقائه . ألقى ستر خام
نرق العسكر . بحماية مضاية يجرع قاتل في المعسكر الذي كان في لفظ
وضيواء . وعندما التقط أسقف أبت الحملة . وجد رسالة كانت تحيلها .

كانت الرسالة تقول : « الشحيات من ملك عكا إلى دوق قيسارية . لقد
إحتاج بلادي جيل من الكلاب . من عنصر أحق عنيد غير منظم . إذا كنت
خريفاً على حياتك فيمكنك أنت والمسلمين الآخرين أن تلتحقوا بهم الأذى طالما
يمكنك أن تفعل ما تريد بسهولة . إنقل هذه الرسالة إلى المدن والحصون الأخرى .
وفي الصباح . عندما انتظم الجيش في ارتقاء . أعلنت محتويات الرسالة . وهكذا
تجلى لنا عطف الرب . وهو عطف منح الطيور الطائرة من أن تلحق بنا الشر .
وكشف أسرار أعدائنا^(١٢٠) .

فسيحنا الرب القادر على كل شيء . وشكرناه . ثم رحلنا بلا خوف . ونخفة
وتشاعر . ونحن نسير إلى الأمام وإلى الخلف في صفوف . وعندما سمع سكان
الرملة المسلمون أبناء عبيرونا نهر قريب . تركوا قلاعهم وأسلحتهم . وأيضاً الكثير
من الحبوب في الحقل . ومحصولات محصورة . وهكذا . فعندما وصلنا في اليوم
التالي كنا على يقين من أن الرب يحارب من أجلنا . وهنا . نذرنا الثغور للقديس
جورج . قائدنا المعترف به . وقرر زعمائنا والجسور إختيار أسقف لأنا وجدنا هنا
أوله كنيسة لإسرائيل . كما شعرنا أن القديس جورج سيكون شفيعنا عند الرب .
وسيبكون قائدنا المخلص من خلال مقر إقامته .

ولما كانت الرملة تبعد خمسة عشر ميلاً عن بيت المقدس . فقد عقدنا
مجلساً هناك . وقال البعض : « أجلوا الزحف الآن . ونحولوا إلى مصر .
وإذا استطعنا بفضل الرب أن ننزع مملكة مصر . فإننا لن نكسب بيت المقدس

نقط بل أيضاً الاسكندرية والقاهرة . وممالك كثيرة . ومن ناحية أخرى .
فإذا نحن وحقنا على بيت المقدس وتحيلنا عن الحصار لنقص المياه . فإننا لن
نتجع أبداً .

بينما قالت المجموعة الأخرى : « على الرغم من أن قوتنا لا تكاد تبلغ ألفاً
وخمسمائة من الفرسان ، وعدداً صغيراً من المشاة المسلحين ، فإن البعض كان يعيد
القيام بعمله إلى أرض غربية ، وبعدة تعزلات عن معاونة بني بلدنا . وعليه .
فإن الفرص قليلة في الاحتفاظ بمدينة يتم الاستيلاء عليها . أو امتلاك طريق
للهرب عند الحاجة . وليس في هذا أي نفع . فلتنصّب بطريقنا وليتولى الرب أمر
الحصار والعطش والجوع والأشياء الأخرى ١٢١١ »

* * * * *

حوادث الفصل الثالث عشر

(١١) بدأ حصار الفرنج لعرقه في ١٤ فبراير ١١٩٩ م وانتهى في ١٢ مايو ١٢٠٠ م . وهكذا
استمر الحصار في حصار عرقه لمدة ثلاثة أشهر كما حدد مؤلف الجستا . بينما حدد ابن
الأثير فترة الحصار بأربعة أشهر . ومن المرجح أن رواية مؤلف الجستا هي الأقرب إلى
الصحة . انظر : ابن الأثير : التكميل . ج ١ ، ص ١٥ .

راجع أيضاً :
Geog. pp. 83, 85.

ومن الملاحظ أن مؤلف الجستا المجهول كان جريحاً دائماً على أن يحدد الأيام التي تقع
فيها أحداث تاريخه إلى جانب التواريخ التي تقع فيها هذه الأحداث . فهذا يمكن
ريونداجيل - في كثير من الأحيان - بذكر الحدث دون تحديد تاريخ له .
(الترجمة العربية) .

(١٢) كان أمير طرابلس في ذلك الوقت هو جلال الملك أبو الحسن بن عمار . ولا تزال طرابلس
موجودة حتى الآن . وهي مدينة جميلة بالقرب من بيروت . ولد أسس كونت تولوز -
أيضا بعد - كونتية له هناك . ولا تزال قلعة موجودة حتى الآن . وقد أبدى أمير
طرابلس - في بداية الأمر - رغبته في التفاوض مع الفرنج ، إلا أنه لم يلبث أن طلب
المعونة من بغداد .

(١٣) لم يكن العرض الذي قلعه ابن عمار للفرنج نظير التخلي عن حصار عرقه . ولكن لعدم
التعرض لطرابلس نفسها . كما يزيد مؤلف الجستا على ما ذكره ريونداجيل أنه ابن
عمار قدم للفرنج خمسة عشر حصاناً أصلاً . كما عرض عليهم أن يتردد هو إلى
السيحية . إذا ما انتصر الفرنج على الجيش الفاطمي . وأن يحكم في بلاده تحت حكم
الفرنج . وهذا ما عرضته شيفن وريبان على أنه حقيقة تاريخية . إلا أن كل ما قلعه
ابن عمار للفرنج لم يتعد في طبيعته المهادنة حتى يتخلص من حروبهم وهو يرى الجبهة
الإسلامية مفككة . وكان من الصعب عليه نيل المساعدة من الفراعنة أو من السلاجقة .
والدليل على ذلك أنه حين وجد في عام ١١٩٢ م أن رموند كونت تولوز مصر على
الاستيلاء على طرابلس بدأ يستعد للتصدي له . ولم يعد يجرس على استقلاله بين
القرى المتنازعة من قرايط مصر وسلاجقة في حلب ودمشق . وبدأ يلقي بنفسه - كرهاً -
بين أعتان القرى الإسلامية القرية لمواجهة خطر كونت تولوز . أي مسألة الإرجاء
هو الاحلام . التي تروى في كثير من المصادر اللاتينية لهذه القصة لا أساس لها من

الصحة ، واستتارها كما ذكرنا من قبل في بحث مستقل إن شاء الله . انظر :
Gesta p. 85.
راجع أيضا : سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .

(٤) وصل مبعوثو الامبراطور إلى الفرنج في ١٠ أبريل حسب رواية ريمونداجيل . انظر :
Gesta, op. cit., p. 137.

وقد ناقش ونيمان عند القضية (Runciman, op. cit., p. 272) كما علمها أيضا
كري : انظر :

A.C. Krey House Chronicle - Sources of Failure in ASR, 42, 1948, p. 243.
والناظر في التي قدمها ريمونداجيل مكررة . ففريق كان يربط في الإحتجاج إلى بيت
القدس ، ويعطى كونت تولوز ، الذي فقد شعبيته بسبب سياسته البيزنطية ، انظار
وصول الكيس . وكان يوعىته في كنفه بالفعل عن توليها بتقطيع لقمته أمام
الامبراطور حين استولى نفسه على أنطاكية . والمؤرخ هنا يتوق لاستئناف الرحلة إلى
بيت المقدس ، ويعطى صورة مظللة لكونت تولوز . ويستعمل المؤرخ النزاع بين قادة
الفرنج لجعل من تهم التراخي والتكبر والغرور كوسائل يتقل بها إلينا علوم الكنيسة
التي يعرفها . وتشير الدلائل على أن الخلاف بين قادة الفرنج لم يكن شديدا كما صوره
ريمونداجيل .

(٥) عاشت القديسة أوجاتا Saint Agatha في عهد الامبراطور Decius وقد قامت وإلى
صليب قديس وأمر بحرقها حة . وقعت هذه أروحية أوزت لجنود الذي اعتد
لشاعتها تحرق في الوقت الذي بدأت تحرق فيه كومة القش من تحتها ، فتأجل
إحراقها ، وماتت في سجنها في ٥ فبراير ٥١١ م . ولها غثاقل وعلى تسك في يديها
بكتابات وأدوات القديس .

- صدر في عهد الامبراطور دكيوس ١ (٢٤٩ - ٢٤٨ م) أول مرسوم عام بإزالة
المسيحية . وكان ذلك واجعا إلى الظروف السياسية والعسكرية والاقتصادية التي كانت
قرنها الامبراطورية إبان ما عرفته أزمة القرن الثالث . فكان مرسوم الاضطهاد تعبيرا
عن نظرية الأباطرة الرومان والكاثوليك من أن اضطهاد المسيحية ضرورية لأن
الامبراطورية . انظر : رأفت عبد الجيد ، الدولة والكنيسة ، ص ٦٤ .
(الترجمة العربية) .

(٦) - إرمي يامريم المظرا - استخدم هذا التعبير كرد أثناء الصلوات . وأحيانا كان
يستخدم كترسيل .
- ورد هذا التعبير باللاتينية في الترجمة الانجليزية . ومعناه بالعربية :
- إرمي يامريم المظرا - إيان أتباعك وحدهم قد ظهروا على جميع الطوائف .
(الترجمة العربية) .

(٧) يذهب فولشر أوف شسماتير ، الذي أورد رواية موجزة لاختبار النار ، إلى أن بطرس
بارتليميو كان محتالا ، وأن الذين آمنوا برواية الحرية النفسية أصبحوا متشككين فيها
الآن . انظر :

Fulcher (Hagenmeyer edition,) Book I, chp. 18, p. 341.

وكان رادولف أوف كان أكثر المؤرخين إتقادا لقصة الحرية النفسية واستخدمها في
قصته عند البروتستانتين . وقد مات بطرس بارتليميو في ٢ أبريل ١٠٩٩ م .
انظر :

Hagenmeyer, Chp. 357.

(٨) مرة أخرى يستعمل المؤرخ باللزخ الذي تشبه الشرور التركية ، ولكن بأسلوب تشوقه
من الملتصقين بأحياء الثقافات البدوية اللاحقين ، يقرر المؤرخ أن مبعثه غير جارة بالمره .
وصارته عن وضع الشباب في الموانير . من المحتمل أنها مقبولة من العهد القديم .
انظر :

Joel : 3 : 3; Breviarium Antiquum.

وكان سحر حيل يقرأ في الشجر الرابع من شهر نوفمبر . ونسل عزلا - المسيحيين هم
المسيحيون المارونيون الآن .

(٩) تشير رواية ريمونداجيل عن تعصين الخيوانات الترمسية إلى معركة مستقلان التي
تحدثت أيضا بعد عنتمة مار قطيع من الماشية ملزما الجيش الصليبي .

(١٠) عند المناقشة الخاصة بالجيل بطرس الشاركة . انظر :

Clemens Klein, Raimund von Aguilers, Berlin, 1892, pp. 72 - 75.

(١١) وليام هير أوف مونتل William Hugh of Moncel شقيق لأدهمار . وقد استخدم
الصليب كعرض عن تبة الحرية النفسية . بالإضافة إلى ذلك ، فإن مؤلف الجستا لم
يتناقش إجماع كونت تولوز عن الرحيل إلى بيت القدس . ومن ناحية أخرى فمن الواضح
أن المؤرخ كان حائقا على الكونت واستخدم سلسلة من الرؤى لتحذيره . كما نجد المؤرخ عند

... يجعل الكروت - في روايته - يبدل كل جهد لمع استئناف السير إلى بيت القدس . ١٢
 أن المؤرخ يوضح أن الكروت كان يمتع الخطط مع القادة الآخرين لاستئناف الرحلة .
 ومن المحتمل أن كروت كان جيل كان مقننا وهو يفرغ المقام التي أخذها الفرنج من
 خرابيس ، وأن قيسه الخاص (المؤرخ) استخدم معلوماته الكنسية لجعل منه
 دراسات أخلاقية . عن منهج المؤرخ . انظر :

John and Laurita Hill, Raymond IV, pp. 123 - 124.

(١٢) القديس ليونتيوس Saint Leontius من خرابيس . وهناك أيضا معلم لاهوت من القرن
 السادس يحمل اسم ليونتيوس . أما إيزوارد Isuard ، كروت داي Die ، لمهر من مدينة
 داي التي تقع إلى الجنوب الشرقي من فالنيس Valence .

(١٣) القديس كيريان Saint Cyprian (٢٠٠ - ٢٥٨ م) هو أبقف قرطاجنة Carthage
 الذي تربط في اضطهادات الإمبراطور فاليريان . وقطعت رأسه في ١٤ سبتمبر
 ٢٥٨ م . وهناك أيضا القديس كيريان الذي عاش زمن الإمبراطور قلدباليوس ، في
 آسيا الصغرى ، ومن المحتمل أن المؤرخ يشير إلى مخططاته بالرغم من وجود بعض
 الشك في ذلك .

والقديس حنا ذهبي الفم Saint John Chrysostom (٢٤٥ - ٤٠٧ م) أصبح في
 بداية حياته ناسكا ليتخطى عن شكل الحياة هنا ويعود إلى التبشير . وعين في عام
 ٣٩٨ م أسقفا للقسطنطينية . وفي مركزه هنا أظهر عنادة شديدة جعلت الإمبراطور
 ثيودوروس يأمر بقتله . ومات في عام ٤٠٧ م وهو في طريقه إلى منفاه في صحراء
 بيتوس Pithus .

والقديس أوميجيوس Saint Omecios من المحتمل أنه لهجة محلية لاسم القديس
 إيساخريوس Saint Epimachius .

- في الحقيقة لم يكن الإمبراطور الفرس ثيودوروس (٣٩٥ - ٤٢٣ م) هو الذي أمر
 بقتل حنا ذهبي الفم ، بل تولى الرجل بناء على أوامر الإمبراطورة إيردوكيا Eudokia
 زوجة أركاديوس إمبراطور الشرق (٣٩٥ - ٤٠٨ م) . وقد عاصر حنا حكم خلفاء
 قسطنطين الأول ، ثم حكم ثيودوروس الأول (٣٧٩ - ٣٩٥ م) ثم عهد ولديه .
 وكان حنا قسيسا من مرائش أنطاكية في شمال الشام . وتعلم على الفيلسوف الوثني
 ليبانيوس Libanius ، ثم درس علوم الكنيسة ، حتى أصبح قسيسا . ثم اعتزل لمدة
 ست سنوات عاش فيها حياة النسك والرجوة . وعين فاضلت أنطاكية للضرائب الباعظة =

= التي فرضها ثيودوروس . وطبع على كتابه (عن الشاكيل) وبه إحدى وعشرين صفحة .
 وسرحان ما ترويه حنا إلى القسطنطينية في عهد أركاديوس . وألقى عقابته في كنيسة
 أنا صوفيا ، وتعرض فيها لفساد حياة النساء . وبعض رجال الدين وأخلاقيهم ، ولائعلا
 المسيحيين . وفي النهاية دير ثيودوروس أسقف الاسكندرية مؤامرة منذ حنا انتهت بنفيه
 إلى مدينة كركس الواقعة بين جبال طوروس في قيليقية . وعاش حنا مواضلا لثقافة
 عظمت . واتصل بأبعد ولايات الإمبراطورية ، وبالبابا الروماني والإمبراطور الغربي
 ثيودوروس . واستغل المعارضين لأرائه اسم أركاديوس . وتم إبعاد حنا إلى منفاه الجديد
 على شواطئ البحر الأسود ، إلا أنه مات في الطريق عند كزمانا وهو في الستين من
 عمره . والمزيد عن حياة يوحنا ذهبي الفم . انظر : إدوارد جيبون : استغلال
 الإمبراطورية البيزنطية وشروطها ٣٠٠ جزء . نقله إلى العربية لوريس اسكندر ، القاهرة .
 ١٩٦٩ م ، ج ٢ ، ٢٢١ - ٢٤١ . رأفت عبد الحميد : الدولة والكنيسة ، ج ٢ ،
 القاهرة ١٩٨٣ م ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .
 (الترجمة العربية) .

(١٤) القديس ميركوريوس Saint Mercurius كان جنسها أرمينية قطعت رأسه حوالي عام
 ٢٥٠ م . وهناك من يدعي بالقديس ميركوريوس والمغربي في الشرق والغرب بأنه قتل
 جوتان بحرية .

(١٥) ود القديس جورج و صليح ماتقول و مقسيس من العهد القديم . انظر : Eusebius
 وكان يقرأ في اليوم السادس من التبجيل . والقديس جورج شخصية خيالية من
 القديسين أنه قتل في تيغومبيدنا حوالي عام ٣٠٠ م . وتشت عقابته إلى الله ، مستعد
 رأسه . وتروي الأسطورة الشعبية بين القديس جورج وبين تيج . ويبدو أنه كان يديلا
 لبيروس Pteris الذي قتل الرعش البحري .

(١٦) القديسة ثالا Thala قديسة مشهورة . أطلق عليها لقب « الشهيدة الأولى » . وقد
 علفت تعاليمها على أيدي بولس ، وكانت لها شعبيتها خاصة في العصر الروماني بسبب
 معانيتها باعتبار الظار وباشاعة الأخرى .

(١٧) لا يذكر المؤرخ أس ، قادة الأساطيل واستعمل عبارات مبهمه . وبدفعنا رئيسمان إلى
 الاعتقاد بأن الإخوة إمبرياني Embriaco هم قادة السفن الحربية . انظر :

الفصل الرابع عشر

حصار مدينة بيت المقدس والاستيلاء عليها

وحملنا جمالنا ، وثيراننا ، ودواب الحمل الأخرى ، وانطلقنا إلى بيت المقدس
بعد أن استأذنا الأسقف وحاميته . وفي اندفاعنا الجيوش بسبب الطمع في
الاستيلاء على القلاع والمنازل ذات الخدائق ، لم نتذكر أو نعي بأمر يارثولوميو ،
بألا نقرب من بيت المقدس ، إذا كانت تبعد عنا فرسخين إلا ونحن حفاة الأقدام .
وكان من العادات المشبعة ألا يستولى أحد على قلعة أو مدينة ترفع أحد
أعلامنا ، ويكون أول من وضع يده عليها أحد رجالنا . وهكذا دفع الطموح
الكثيرين إلى أن يخرجوا من قراشهم في منتصف الليل دون أن يصحبهم رفاقهم ،
ويستولوا على كل القلاع الجبلية والمنازل التي تحيطها الخدائق في سهول الأردن .
ولكن قلعة حافظت على أمر الرب ، وساروا حفاة الأقدام ، وهم يصعدون التلّات
العميقة إلى الرب ، بسبب التبعج على إرادته . ولكنهم لم يتذكروا عسديقا
ولا رفيقا واحدا ممن ساروا في طريق الباطل . وعندما اقتربنا من بيت المقدس إلى
هذه المسيرة المتعجزة (المتكبرة) ، ضرب أهل المدينة طليعتنا ، وأصابوا بعض
غيرنا بجراح خطيرة . كما أصابوا كثيرا من رجالنا وقتلوا ثلاثة أو أربعة من
صفوفنا .

وإذا انتقلنا إلى الحصار ، فإننا نلاحظ أن جودفري وكونت الفلاندر ،
وكونت نورماندي ، سلكوا إلى الشمال . وضمروا الحصار حول بيت المقدس من
كنيسة القديس ستيفن التي تقع في الوسط ، إلى البرج الذي يقع في الزاوية
متجاوزا لبرج داود ^(١) . واستقر ريفورد مع جيشه في الغرب ، وحاصر المدينة من
خط الدوق إلى سفح جبل صهيون . ومع ذلك ، فقد كان هناك واد عميق بين
معسكره والأسوار . يحول دون الإقتراب بيسر من المدينة . وكان سببا في أن
يرشب في تغيير معسكره وموقعه . وفي أحد الأيام ، وبينما كان ريفورد يحاصر
بيت المقدس ، توقف وزار كنيسة جبل صهيون ، حيث سمع عن معجزات الرب
هناك ، وتأثر جدا ، حتى أنه خاطب الأمراء والحاضرين قائلا : « ماذا يحدث

لنا لو أننا تخليتها عن هذه الهبات المقدسة ، واستولى عليها المسلمون ، وربما
دسروها وحطموها لكراهمتهم للصليبيين .^(١١) ومن يدري أليس من الممكن أن
تكون هذه الهبات من الرب اختباراً لحدي حيناً له . إنني أعرف أن القتل في
حراسة كنيسة جبل صهيون بحساس سيجعل الرب ينع عنا مثل هذه البقاع في بيت
القدس .

وبناء على ذلك ، وخلالنا لرغبات الأمراء ، أمر كونت تولوز بتقل معسكره
إلى جبل صهيون . وكانت هذه الحركة سيئا في استياء رجاله ، الذين لم يكونوا
يرغبون في تغيير المعسكر ، والاستمرار في المراقبة لبلأ ، وهكذا فاستثناء قلة
ذهبت إلى جبل صهيون ، بقي الآخرون كلهم في المعسكر الأصلي . ولكن الكونت
ظل يحس موقعه يومياً يدفع مبالغ ضخمة من المال لفرسانه ومقاتله .

سأستطرد الآن لأذكر بعض الأشياء المقدسة هناك . قبر داود وقبر سليمان
وقبر الشهيد الأكبر القديس ستيفن . وهناك مانت مريم البشارة ، وهناك أكل
المسيح وظهر بعد قيامه لحوازييه ولتوماس . وفي هذا المكان ذاته أوقف الرسل
بجنى الروح القدس .

وفي أحد الأيام ، بعد حصار بيت المقدس ، أخبر ناسك على جبل الزيتون
بعض الأمراء هناك أن : « الرب سيُعطيكم بيت المقدس ، إذا هاجمتوها غداً حتى
الساعة التاسعة » .

يود المسيحيون : « ليس لدينا أي آلة من آلات الحصار » .

فقال الناسك : « إن الرب قادر على كل شيء » ، حتى أنه إذا أراد ، فإنكم
ستطيعون تسلق السور بسلم واحد . إنه مع أولئك الذين يعملون من أجل
الحق » . وهكذا هاجموا بيت المقدس في الصباح التالي حتى الساعة الثالثة بالساحة
الحصار التي استطاعوا تدبيرها أثناء الليل . فحضر السور الخارجي ، وأجبروا
المسلمين على التراجع إلى السور الداخلي . وتسلق عدد صغير من الصليبيين

الخصيمات الداخلية . وفي اللحظة التي صار سقوط المدينة وشيكاً ، توقف
الهجوم بسبب التخالف والخوف^(١٢) .

وبعد هذا التخالف ، راح المسيحيون يبحثون عن الطعام في المناطق
المجاورة ، وتجمعوا الإمداد لهجوم جديد . وفشل كل واحد منهم أن يشبع فمه
وطنه . والآخر من ذلك أنهم لم يُصلِّوا للرب ليخلصهم من الشرور الكبيرة
الكثيرة التي كانت تهدد حياتهم ذاتها . فقد جاءت تهديدات جديدة من المسلمين
الذين سطوا أنواء الأبار ، ودمروا صهاريج المياه ، ومنعوا تدفق العين ، وكل ذلك
يذكرنا بالرب الذي « يحرك الأنهار إلى بركة » ، وعيون الماء إلى أرض جافة لن
يعيشون فيها » . وهكذا أصبح الماء شحيحاً بنا لهذا السبب .

وتتدفق بركة السلوان وهي تبح كبير عند سفح جبل صهيون مرة كل ثلاثة
أيام ، ولكنها ، كما يقول الوطنيون ، كانت تتدفق يوم السبت فقط وتصبح
مستنقاً بقية الأيام . وبالتأكيد فليس لدينا تفسير لهذه الظاهرة إلا أنها إرادة
الرب . وتقول الروايات أنه عندما كانت تتدفق في اليوم الثالث ، فإن التدافع
الجشعي العنيف لشرب الماء ، كان يجعل الكثيرين يلقون بأنفسهم في البركة ،
وتسبب في هلاك كثير من دواب الحبل والماشية ، وذلك في غمار التزاحم . فكان
الأنثى يتدافعون في استماتة ويخوضون في البركة الغامضة بالحيوانات الميتة ،
والبشر المتصارمين حتى المصب الصخري الذي يتدفق فيه الماء . بينما يضطر
الضعفاء إلى الاستقاء بالماء القذر .

كان الضعفاء يزحفون على الأرض بجوار الشج بأثداء قاعرة ، وقد أخرجهم
جفاف ألسنتهم وامتدت أيديهم إلتصافاً للماء من الذين هم أكثر حظاً . وفي
الحقول ، كانت تنفق الخيول والبغال والواشي والأغنام وحيوانات أخرى كثيرة لم
تعد تقوى على أن تخطو خطوة واحدة . وهناك كانت هذه الحيوانات تنزى وتموت
عطشاً ، وتتدفق في مواقعها وتملأ الجو برائحة الموت العفنة^(١٣) . فاضطر
المسيحيون ، والحال هكذا ، إلى حمل الماء في جهد ومشقة من عين تبعث قوسخين

أو ثلاثة . وليسوا ماشيتهم هناك ولكن المسلمين علموا أن رجالنا يروعون جنة
وذهابها في طرق وعرة ، وهم غير مسلحين ، فكثروا لكثيرين منهم . وقتلوا
الكثيرين وأسروا الكثيرين . واشتلوا على ماشيتهم وقطعانهم . وكان ثمن الماء
المجلوب للبيع في أوعية مرتفعاً إلى أقصى حد . وكان مبلغ خمسة أو ستة
نوميسا Nummi ^(١٤) لا يكفي لكمية مياه نقية تكفي يوماً واحداً لشخص
واحد .

أما الحمر ، فلم يذكر بالمرّة إلا فيما ندر . ومما زاد من شدة العطش ، الحر
اللافتح ، والشراب الخائق والرياح الشديدة . ولكن لماذا أصبح الوقت في تلك الأمور
القانية ؟ لم يكن هناك إلا قلة يفكرون في الرب أو في ضروريات الحصار ولم
يعمل الصليبيون طلباً لرحمة الرب . وهكذا كنا نتجاهل الرب في شدائنا وبدور لم
يهتم بالمجاهدين .

في ذلك الوقت ، جاءت ، الأنباء برؤيت من سفنا في يافا ، وجاءت
معها أيضاً مطالبة البحارة لنا بأن نرسل خامية لحصانة أبراج يافا وسنضمهم في
المناء . كانت يافا تبعد مسيرة يوم ، وهي أقرب مينا إلى بيت المقدس ، ولكن
لم يبق من الموقع المحطم إلا القليل باستثناء برج واحد سليم في قلعة دمرت
تدميراً شديداً ^(١٥) . وفرح الصليبيون وأرسلوا الكونت جيلديار كارينيل مع
عشرين فارساً وحوالي خمسين من المشاة ، ثم أرسلوا بعده ريموند بيليه ، مع
خمسين من الفرسان ، وأخيراً وليام سايران ورجاله . وعندما وصل جيلديار إلى
سهل بالقرب من الرملة ، كان هناك أربعمائة من قوات العرب الأقرباء ومائتان من
الأتراك يسيرون الطريق ^(١٦) .

ومحب جيلديار فرسانه ورماته ، الذين كانوا في الصفوف الأمامية ، بسبب
قلة عدده ورجاله . وذهب قورا على الأعداء وهو واثق في عين الرب له . واندفع
الحصون إلى الأمام وهم على يقين من أنهم يستطيعون إبادة المسيحيين ، وأخذوا
السهام ، وأحاطوا بهم ، وقتلوا أربعة فرسان ، فضلاً عن أشارد أوف مونتيريل ،

وهو شاب نبيل وقارمن مشهور ^(١٧) . كما قتلوا قارما على كل زماننا وجرحوا
آخرين من قوات جيلديار ، لكن الأمر لم يخل من تكبدتهم خسائر فادحة .

وعلى الرغم من هذه الخسائر ، قما ضعف الهجوم الإسلامي ، وما ذب
الربن إلى قوة فرساننا ، الذين كانوا فعلاً « جند المسيح » " Militia Christi " .
بل إن الجراح ، والموت نفسه ، قد جعلتهم على شئ الهجوم بقوة أكبر كلما ازداد
الضغط عليهم . وأخيراً ، وبعد أن أرهقهم التعب ، وليس الخوف ، لاحظ قادة
الفرقة الصغيرة سحابة من غبار في الأفق عندما كانت الفرقة على وشك الابتعاد .
وكان سبب هذا الغبار هو ريموند بيليه ورجاله الذين غسروا جيادهم ، وفي
هجومهم الجنوني أثاروا كثيراً من الغبار حتى أن الأعداء ظنوا أن هناك قوة
كبيرة تقترب .

وهكذا وفضل الرب ، أييد الأعداء ، وأجبروا على الفرار ، وقتل نحو مائتين
منهم . وتم الاستيلاء على غنائم كثيرة . ويمكن إرجاع كثرة الغنائم إلى عادة
متبعة بين المسلمين وهي أنهم إذا لاذوا بالفرار وطاردهم العدو مطاردة شديدة فإنهم
يطيحون بأسلحتهم ثم يلبسهم وأخيراً كل يخرج . وهكذا قبل هذا العدد الصغير
من فرساننا الأعداء حتى نال منهم التعب ، وأخذوا غنائم من لاذوا بالفرار .

وبعد القتال وجمع الغنائم وتقسيمها ، توجه فرساننا إلى يافا حيث
استقبلهم البحارة بفرح بالحيز والتبيل والسطح . ولم يكثرثوا بالخطر ، فأعملوا
سفنهم ولم يعيشوا مراقبين للحراسة بالحياة البحر في منصة المراقبة بكل سلبية .
وسرعان ما وجد البحارة السعداء غير الكثيرين أنفسهم محاطين من ناحية البحر
بالأعداء . وكان السبب الرئيس في ذلك يرجع إلى إهمالهم في تعيين حرس
المراقبة . وعند الفجر ، رأوا أنه لم تكن أمامهم فرقة قتال القوة الشرقية عليهم ،
فتركوا سفنهم ولم يأخذوا إلا الغنائم وهكذا تشكل ما عادت قواتنا إلى بيت
المقدس محتصرة ومهزومة في آن واحد . ولجأت إحدى السفن ، التي كانت تقوم
بأعمال النهب ، من الأسر ، فعندما عادت من يافا محملة بالغنائم رأت الأسطول

المسيحي وقد أحاطت به قوة أكبر منه . تغيرت إيمانيها وعادته بالمجناف والقلوع
إلى اللاذقية وتقلت إلى زملائنا وأصدقائنا الحالة الحقيقية للأوضاع في بيت
المقدس .

ونحن نعرف أنه قد أصابتنا مائتة حق ، لأننا لم نؤمن برسائل الرب .
وهكذا ، فقد الصليبيون الأمل في رحمة الرب ، وسأروا إلى سهل الأردن . وهناك
جمعوا السعف وتعمدوا في نهر الأردن ، ولما كانوا قد شاعروا بيت المقدس ، فقد
خططوا للتخلي عن الحصار والفرج إلى يافا . والعودة بأي شكل ممكن إلى
بلادهم . ولكن الرب أهتم بأمر سفن من لم يؤمنوا به .

ودعونا إلى إجتماع بسبب العلاقات العامة بين القادة وخاصة لأن تانكرد قد
استولى على بيت لحم . وهناك رفع رايته على كنيسة بيت لحم . كما لو كان
يرفعها على ممتلكات علمانية . كما طرح الإجتماع أيضاً مسألة انتخاب واحد من
الأمراء ، وجارماً على بيت المقدس في حالة إذا ما منحها الرب لنا . وقيل أن الفوز
بها سيكون مجهوداً مشتركاً ولكن إذا ضاعف فإن ذلك سيكون إسهالاً مشتركاً إذ
لم يتول أحد حمايتها ^(١٨) .

ولكن الأساقفة ورجال الدين اعترضوا قائلين : من الخطأ انتخاب ملك في
المكان الذي تألم فيه الرب وتوج بتاج الشوك . اعترضوا أن الشخص المنتخب قال
في قلبه : « إني أجلس على عرش داود » وأملكه مملكتاه ، واقترضوا أنه
أصبح داودا ، وهو منجس العقيدة والأخلاق . فلا شك أن الرب سيطيح به .
ويغضب على المكان والناس . فضلاً عن ذلك ، فإن النبي يهتف : « عندما يكون
قدس الأقداس قد أتى يستوقف المسح » لأنه قد انتصح لكل الناس أنه قد
أتى ^(١٩) . ولكن لنختر وكيلاً ليحرس بيت المقدس ونقسم الجزية والريع بين حاة
المدينة . ولهذا السبب ولأسباب أخرى ، لم يتم الانتخاب إلا بعد ثمانية أيام من
سقوط بيت المقدس . ولم يأت هذا النزاع بخير . ولم يتضاعف إلا جهد وأحزان
الناس يوماً بعد يوم ^(٢٠) .

وأخيراً أبلغنا الرب الرحيم الطيب ، حتى نحترمه وحتى يفتح المسجونين من
السخرية بقوانينه إذا سألو : « أين هو إلههم » ^(٢١) ، وأبلغنا عن طريق رسالة
من أدهيمار ، أسقف لي بونيه ، كيف تسالته ونكسب رحته . لكننا تشرنا أوامر
الرب علينا ودون أن نربط بينها وبين إسمه خوفاً من أن يعصها الناس . فيكون
عقابهم أشد بسبب ذنبهم . وأرسل الرب الكريم رسلاً عديدين إلينا ولكن لكونهم
أخوتنا ، فإن براهمتهم بقيت بلا قيمة ^(٢٢) .

في ذلك الوقت أعطى أدهيمار تعليماته لبطرس ديزيريوس : « امر
الأمراء والجمهور ، والصليبيين القادمين من بلاد بعيدة ، والذين هم هنا الآن ،
ليعبدوا الرب ورب كل الجيوش . أن حوروا أنفسهم من العالم الدني ، وليعط كل
منكم ظهره للخطيئة ، ثم اطلعوا أحذيتكم ، وسيروا حفاة بأقدام عازية حول بيت
المقدس . ولا تنسوا أن تصوموا . فإذا اتبعتم هذه الأوامر ، مستقط المدينة في
نهاية الأيام التسعة بعد هجوم عنيف . ولكن إذا لم يفعلوا ذلك ، فإن الرب سيزيده
من كل مصائب الماضي » .

وبعد أن أبلغ بطرس ديزيريوس سيده الكونت ابزوارد وشقيق أدهيمار ،
دوليم غير ، وبعض الكهنة بذلك ، دعا أولئك الثقات إلى اجتماع عام وتكلموا
بما يلي :

« أيها الرجال ، أيها الزملاء ، نعرفون أسباب الرحلة ونعونا الشديد ،
ونعرفون أيضاً أننا تباطأنا كثيراً بلا مبالاة في إقامة المعدات لحصار بيت المقدس ،
وأكثر من ذلك فإننا لم تكف بعدم مبالاة بأن يكون الرب ودوداً معنا . بل لقد
أقرنا قسبة بكل شكل يمكن أن يتخيله الإنسان في كل الأمور . كما أننا نظردوه
وثنيده فتجعلنا غريباً بسبب أعمالنا المذمومة . والآن ، إذا كنتم توافقون ، فلنترك
المحني ولننتشر بين الأخوة السبعين روح المغفرة . وبعد ذلك فلننشد كبريانا
في رقة الرب ، ونسير حول المدينة المقدسة حفاة الاندام . ونسهرل لتعمل بنا رحمة
الرب عن طريق شفاعة القديسين .

فلنصل قائلين أن الرب القدير الذي تنازل عن عرش سيادته السامية ، وأصبح بشراً من أجلنا ، ومنا نحن خدمه ، والذي دخل بيت المقدس في تواضع راكباً جحشاً في مركب محوطة الحشود التي تلوح وتقدم له آيات التكريم ، لكي يعاني بعد ذلك من الآلام على الصليب ، تضحية من أجلنا ، ولنصلّ لعله يفتح لنا أبواب بيت المقدس ، ويسلمها لنا قهقرياً وتكريماً لإسمه بينما يصير حكمه على أعدائه الذين استولوا عليها بغير حق ، ودنسوا مكان الآمه ودينه ، والذين يصلون الآن بجد ليبعدوننا عن المكاسب العظيمة الموجودة في حرم تنازله الإلهي وخلاصنا .

لقيت هذه الأوامر قبولاً عاماً ، وصدر أمر بأن يقود رجال الدين في اليوم السادس من الأسبوع وهم يحملون الصلبان وآثار القديسين مركباً يتبعه الفرسان والرجال الأقرباء ، وهم ينفخون الأبواق ، ويلوحون بالأسلحة ، ويسبرون حفاة الأقدام ، ونظفنا أوامر الرب والأمراء بكل سعادة ، وعندما سرنا إلى جبل الزيتون ، وعظما الناس في مرقع مسعود المسيح بعد القيامة ، وفي هذه المرة خرجناهم قائلين : لقد تبعنا الرب إلى مكان الصعود ، وحيث أننا لا نستطيع أن نفعل أكثر من ذلك ، فلنعف عن أولئك الذين أساءوا إلينا حتى يكون الرب القدير رحيماً بنا .

ولا حاجة بي إلى أن أتول أكثر من ذلك في هذا الموضوع . فقد غمرت الجيش روح من التسامح ، وتضرعنا ، ونحن نقدم التبرعات سخية ، إلى الرب سائلين إياه الرحمة والحنان في السؤال بالألا يتخلى عن شيعه في اللحظة الأخيرة بعد أن أتى بهم بهذه الطريقة الجيدة والعجيبة من كل هذه المسافة إلى مسعاهم من أجل القبر المقدس ، وكان الرب في هذه المرة في يمانينا لأن سوء حفظنا أثقل حفاً طيباً وصار كل شيء على مايرام .

ورغم أنني استبعدت أحداثاً كثيرة ، فإنني لا أستطيع أن اغفل عن هذه الحادثة : قائماً الزحف الصاخب حول بيت المقدس راح المسلمون والأتراك يسببون

على طول أسوارهم من أعلى وهم يسخرون منا ويدلسون بالضربات والأعمال البذيئة صليباناً وضعت على أذرع من خشب بطول الأسوار . فاندبنا بدورنا إلى الأمام قدماً ، واثقين من قرب رحمة الرب بسبب هذه الإساءات ، فتقدمنا ليلاً ونهاراً في العمل للإعداد للهجوم النهائي ^(١١٤) .

عين جسود قري وكوت نورماندي وكوت فلاندر جاسون بيسارت ، للإشراف على العمال الذين كانوا يبنون الخواجز والخنادق وسدات الحصار ، وكان تعيين هذا النبيل راجعاً إلى قهره وأمانته . وثبت أن ذلك كان اختياراً حكيماً ، لأن جاسون وضع نظاماً لتنظيم العمل ، وعجل بتنفيذ المهمة . بينما اهتم الأمراء بحلب المواد الخشبية ^(١١٥) كما كلف الكونت ريموند ولين ريكو بعمليات غائلة في جبل صهيون ، وكلف أسقف البازة بوظيفة الاشراف على المسلمين وغيرهم من العمال الذين كانوا يحملون الأخشاب . فقد أجبر رجال ريموند مسلمي القلاع التي تم الاستيلاء عليها على العمل كأتان ^(١١٦) . فكانت ترمي حصى أو سكين رجلاً منهم يحملون على أكتافهم دعامة بناء لايقوى على جزها أربعة أزواج من الشيران . ولكنني لن أرفقكم بزيد من التفاصيل .

فعلنا جميعاً بجد واجتهادنا وبتبنا وتعاوننا ، ولم يعطل عملنا التواخي أو عدم الرغبة . وكان الصنّاع فقط - الذين كانت جميع لهم الأموال ورجال ريموند ، الذين كانوا يحصلون على أجورهم من خزائنه - هم الذين يعملون نظير المال . وبالتأكيد فقد كانت يد الرب معنا ، وسرعان ما اكتملت الاستعدادات ، وبعد عقد اجتماع قديم القادة ، سيكون اليوم الخامس هو ساعة العفر ^(١١٧) . وفي هذه الأثناء ، كرّسوا أنفسكم للدعاء والصلاة الليلية والصدقات ، وأعطوا دواب العمل التي لديكم والخدم الذين يحصلون عندكم للصنّاع والتجارين الذين يصلون في حر الأخشاب والأعمدة ، والقوائم والفروع الضرورية لإقامة سائر الحصار ^(١١٨) . أيها الفرسان سيكون نصيب كل اثنين منكم من أعمال البناء إقامة سائر مقوس واحد أو سلم واحد . إعملوا بجد في سبيل الرب ، لأن مهتنا قاربت على الانتهاء .

وقد الجسج في العمل بمساعدة ، وصدرت الأوامر بمواقع الهجوم الخاصة بالأمر ،
ومواضع آلات الحصار .

ولاحظ المسلمون المعاصرون أسلحة الحصار المختلفة ، فدعشوا النقاط
الضعيفة ، بحيث بدأ من السطح من هجوم ناجح - ولاحظ جودفري ، وكونت
الفلاندر وكونت نورماندي ، عمليات الشبيد التي يقوم بها المسلمون ، وبالتالي
فإنهم راحوا طوال الليلة السابقة لليوم المحدد للهجوم ينقلون مواقع أسلحة
الحصار ، من أسبجة وأبراج ، إلى موقع بين كثبة شين المبارك وادي
جوزفات - صدقوني إن فك ونقل هذه الآلات لزيادة على الميل ، وإقامتها من
جديد لم يكن بالأمر الهين . وشعق المسلمون في الصباح التالي عندما رأوا تغير
مواقع آلاتنا وخيامنا ، وأبادر قائل ، أننا أيضا فعلنا . نحن المؤمنون الذين رأوا
يد الرب في ذلك .

ولكني أظفكم على حقيقة التحرك إلى الشمال يجب أن أقول أن عاملين
كانا وراء تغيير مواقع الحصار . فاستواء سطح الأرض هنا اقتراب أفضل لمعدات
الحرب من الأسوار ، كما أن بُعد وضع هذا المكان الشمالي جعل المسلمين
بتركونه بدون تحصين . ولم يكن مجهود كونت تولوز أقل من ذلك عند جبل
سهيون جنوبا ، وتلقى مساعدة من ويليام إمبيردكو وبعارته الجنوية الذين فقدوا
سفنهم في ياقا ، كما ذكرت من قبل لكنهم أنقذوا الخيال والمطارق والمسامير
والنفوس والمعاول والبلط ، وهي كلها أدوات لا غنى عنها ^{١١٩} . وسأترك
التفاصيل الآن وأواصل قصة الهجوم على بيت المقدس .

يبلغ فجر يوم القتال وبدأ الهجوم . ولكننا نود عند هذه النقطة أن نضيف
الإحصائيات التالية : طبقاً لأحسن تقديراتنا وتقديرات الآخرين كان هناك نحو
ستين ألف مقاتل في بيت المقدس ، نساء وأطفال لا حصر لهم . ولم يكن لدينا
في جانبنا أكثر من إثني عشر ألف رجلاً من الأقوياء مع كثير من المقعدين
والفقراء ، وما لا يزيد - في اعتقادي - عن ألف ومائتين أو ألف وثلاثمائة

قارسا . ونحن نود هذه الأرقام والمقارنات لنبي لكم أن كل الأمور عظيمة كانت أم
صغيرة . إذا ما أخذناها على عاتقنا باسم الرب سوف نتيجح ، كما ستثبت
الصفحات التالية من كتابي .

فبدأنا أولاً بدفع أبراجنا باتجاه أسوارهم ، ثم انطلقت كل أبراب جحيم
المعركة . قاتلهوت الأبحار من المقاذيف tormenti وطارت الصخور Petrarie في
الهواء وتساقتت الأسهم كالبرد ^{١٢٠} . ولكن عدم الرب العازمين على التمسك
بإيمانهم ، مهما كانت نتيجة الموت أو الانتقام الفوري من المسلمين ، تحملوا هذا
الهجوم بصبر . ولم يهجم القتال عند تلك النقطة . وعندما اقتربت الآلات من
الأسوار ، أسطر المدافعون المسيحيين بالأعجار والسهام والخشب والقش المشتعلين
والمطارق المنطاة بالثقل المشتعل ، والشع والكبريت ، والكتان ، والخرق ، على
الآلات ، وأحب أن أوضح أن المطارق كانت مثبته فيها المسامير بحيث تلتصق بأي
جزء تصيبه ثم تشتعل . واشتعلت هذه القذائف ، المصنوعة من الخشب والقش ،
والتي ألقاها المدافعون ، التيران التي حالت دون تقدم من لم تُرميهم السيوف
ولا الأسوار العالية ولا الخنادق العميقة .

وكانت الأعمال التي قمنا بها طوال ذلك اليوم رائعة وعجيبة إلى حد أننا
نشك في أن يكون التاريخ قد سجل ما هو أعظم منها . ومن جديد ، دعونا ونحن
رائقون من رحمة الرب ، دعونا قائدنا ومرشدنا القادر على كل شيء . ومع حلول
الليل استولى الخوف على المسكرين - نفع تحطيم السور الخارجي ، ودم
القتل ، أصبح الوصول بسرعة إلى السور الداخلي أمراً سهلاً . وأصبح المسلمون
يخشون سقوط بيت المقدس في تلك الليلة ، أو في اليوم التالي . كما كان
الصليبيون يدورهم خائفين من أن يدعم المسلمون موقفهم ، بإيجاد طريقة لحرق
الآلات القريبة ، فسيطر على المسكرين التباطؤ والتعب والأرق ، وفي
معسكرنا ، الأمل الوائق ، وفي معسكرهم ، القزع المؤلم . كان المسيحيون
يحاصرون المدينة . طوعاً واختياراً من أجل الرب ، وكان المسلمون يقاومون على
مضض من أجل شريعة محمد (صلى الله عليه وسلم) .

واستمر النشاط غير العادي في المعسكرين أثناء الليل . وعند بزوغ
الفجر ، أسرع رجالنا يخرجون آلات الحصار إلى مواقعها ، ليناجوا بالمسلمين
الذين حاصرونا بالآلهم ، التي كانت تفوق آلاتنا بنسبة تسعة أو عشرة إلى واحد .
ولن أظلم في هذا التفصيل الصغير ، لأننا كنا في اليوم التاسع ، وهو اليوم الذي
تبنا الكاهن بأنه سيحده سقوط بيت المقدس . وعلى الرغم من تفكك آلات
حصارتنا بفعل الأحجار المتساقطة كالطر والروح المعنوية المتخاذة لقوتنا ^(١٢١) التي
أخذ منها التعب كل ما أخذ . فإن رحمة الرب المسيطرة والتي لا تنفد كانت حاضرة
دائماً في عملنا . ومع ذلك ، فإنه لا يمكن أن أمر بهذه الحادثة الطريفة مرفراً
عابراً . فعندما حاولت امرأتان وضع وصدة على واحدة من الصخور ، انطلق أحد
الأحجار من نفس الآلة مصفوا في الهواء وقضى على حياة الساحرتين . وأيضاً
على حياة ثلاث فتيات بالقرب منهما وهكذا حطم الرصد ^(١٢٢) .

وعندما انتصف النهار كنا في حالة ارتباك ، وإرهاق وبأس . سببها المقاومة
العديدة لكثير من تبقى من الدافعين . والأسوار العالية التي لا يكاد يمكن
اختراقها ، والمهارة الدفاعية الهائلة للمسلمين . وبينما بدأنا تترنح وبدأ المسلمون
يتشجعون ، جاءت إلينا رحمة الرب الحاضرة دائماً ، شفاه لنا . وبدلت تعاستنا
فرحاً ^(١٢٣) . ففي اللحظة التي كان مجلس قادتنا يناقش فيها حكمة سحب آلاتنا
حيث احترق الكثير منها وتحطم البعض بشكل سيء . أشار فارس لا أعرف اسمه
بدرته من جبل الزيتون للكونت والآخرين بأن يتقدموا . وكان لهذا تأثير نفسي
على قراتنا المزدوجة . واستأنف بعض الصليبيين الذين دبت فيهم الحياة من جديد .
عزروهم على الأسوار . بينما بدأ آخرون يسلفون السلام والخيال . وفي نفس
الوقت أطلق شاب سهماً مشتعلة بلهابة قطعية على تحصينات المسلمين التي كانت
تتولى الدفاع في صراخية برج جودفري والكونتين . وسرعان من أبعدت النيران
الدافعين عن التحصينات . وسرعان ما أنزل جودفري الكوبري الذي كان يدافع عن
البرج . وبينما كان الكوبري يتأرجح من منتصف البرج سد الهوة بين البرج وبين
السور . وتدفق الصليبيون دون خوف . وبجرأة وشجاعة ، إلى داخل المدينة
المضروبة .

وسلك تانكرد وجودفري في المقدمة كمية لا تصدق من الدماء . وأنزل
زلازهما الذين كانوا في أعقابهم آلاماً شديدة بالمسلمين . يجب الآن أن أخبركم
بمحدث مدهش . فقد توقفت المقاومة في أحد مناطق المدينة عسلياً . ولكن
المسلمين في المنطقة القريبة من جبل صهيون قاتلوا قوات ريموند بشراسة . كما لو
كانوا لم يهزموا . وسقوط بيت المقدس وأبراجها كان المرء يستطيع أن يرى
أعمالاً مدهشة ^(١٢٤) . فقد قطعت رؤوس بعض المسلمين برحمة . بينما احترقت
الآخرين الأسهم الموجهة من الأبراج . بينما عذب آخرون لوقت طويل . وأحرقوا
حتى الموت في اللهب المتأرجح . وتكسبت في الطرقات والبيوت الرفوس . والأيدي .
والأقدام . وفعلوا . فقد كان الفرسان والرجال يجرون جيئة وذهاباً فوق الجثث .

دعوني أخبركم أن هذه الأشياء . حتى الآن هي تفاصيل قليلة تافهة . ولكننا
نجد قصة أخرى عندما نأثي إلى معبد سليمان . المكان المعتاد للترنم بالطقوس
والصلوات . هل نحكي ما جرى هناك ؟ لو أننا أخبرناكم لما حدثتونا . وأذن
فيكني أن أذكر أنه في معبد سليمان وفي الرواق خاض الصليبيون بخيولهم في
الدم الذي وصل إلى ركبهم وسروج خيولهم ^(١٢٥) وفي رأس أن في هذا عدالة إلهية
تتحل في أن يتلقى معبد سليمان دم المسلمين الذين حنوا الرب هناك لسنوات
كثيرة . وامتلات بيت المقدس الآن بالجثث . وتلفخت بالدماء . وهرت القلة
التاجية إلى برج داود وسلموا لريموند مقابل عهد بالأمان . ومع سقوط المدينة كان
بما عوشتنا أن نرى عيادة الحجاج عند القبر المقدس . وتصفيق الأيدي والاحتجاج
والثغنى بترجمة جديدة للرب . فقدت أرواحهم للرب المنتصر الظاهر صلوات
الديح التي لم يستطيعوا شرحها بالكلمات .

وكان يوماً جذيراً وسعادة جذيرة وفرحاً دائماً وتحققاً لكدنا وجينا . جلب
كلمات وتراجم جديدة للجميع . أن هذا اليوم ، الذي تؤكد أنه سيحلك على مدى
القرن ، قد بدل أجزائنا وصراعاتنا إلى سعادة واحتجاج . كما أذكر أيضاً أن هذا
اليوم أنهى كل أشكال الوثنية . وأكد المسيحية وأعاد إلينا إيماننا . وهذا هو
اليوم الذي صنعه الرب . سننتهج وسعد فيه . وهذا صحيح لأن الرب أشرق
علينا في ذلك اليوم وباركنا ^(١٢٦) .

ورأى الكثيرون اللورد أديسار ، استقفاً في بيوتهم ، في بيت المقدس في هذا اليوم ، كما أكد الكثيرون أنه في ذلك اليوم ، كان يهد الطريق فوق الأسوار ، بحث الفرسان والناس على إتياعه ، وجدير بالذكر أيضاً ، أنه في هذا اليوم أخرج الرسل من بيت المقدس وتشتتوا في كل أنحاء العالم ، وفي هذا اليوم خلص أبناء الرسل المدينة من أجل الرب والآباء ، وهذا اليوم ، الخامس عشر من يوليو ، سيخلد الذكرى مدح وتمجيد اسم الرب ، الذي استجاب لصلوات كنيسة وأعداء بيت المقدس بالإيمان والبركات إلى أطفاله ، وأيضاً أرائسها التي وعد بها الآباء ، وفي ذلك الوقت وثقنا أيضاً صلاة القيامة ، حيث أنه في ذلك اليوم قام هو ، الذي بقدرته ، من الأموات ، وشغلنا برحمته (١٢٤) .

* * * * *

١٢٥ - نواحي الفصل الرابع عشر

(١) رواية القديس ستيان *Stephani* ، التي حلت اسم أول شهيد المسيحية (انظر أصحال الرسل ٦ ، ٧) كانت تقع إلى الشمال ، ويقع برج داود إلى الغرب ليحيط بزاوية يافا ، ويقع جبل صهيون في الزاوية الجنوبية الغربية ، وتحيط الأسوار الشرقية والجنوبية والقرية عند أودية صهيون ، وكان يجرى أمر بيت المقدس القائد القاطن في انتصار الدولة ، الذي قام بتسليم الآبار ، وجمع حيرة الرب وطرد كل السحرة .

- استغل الأنفل فترة تمطر الخطة الصليبية أما أنطاكية ، وبادوا بالاستيلاء على مدينة بيت المقدس من سقمان والمقاتلين إلى أوتق نواب تتش في المدينة ، وذلك في أغسطس ١٠٩٨ م / شباط ٤٨٩ هـ ، وأحسن الأنفل العطاء إلى ولدي أوتق اللذين اتجها إلى دمشق ومنها إلى إقليم الجزيرة ليؤسسا لنفسهما إمارة هناك ، واستتاب الأنفل في بيت المقدس إقتحار الدولة ، انظر : ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ١١٧ ، ابن القلاسي : قبل تاريخ دمشق ، ص ١٢٧ .
(الترجمة العربية)

(٢) يشبه إهتمام ريسرند كوتش توليد جبل صهيون ، نفس إهتمام يهودا مكابيين *Judas Maccabeus* بنفس المكان . انظر : *Libert Machabaeorum*, 4 : 36 - 61 .
- وقد بدأ حصار الفرنج لبيت المقدس في يوم الإثنين ٩ يونيو ١٠٩٩ م ، وقد حصد مؤلف الحستا اليوم السادس من يونيو إلا أنه جعله يوم الثلاثاء الذي يوافق اليوم السابع من الشهر في هذه السنة (١٠٩٩ م) . انظر : *Gesta*, p. 87, n. 3.
(الترجمة العربية)

(٣) كان حديث الناسك إلى أمراء الفرنج في يوم الأحد ١٢ يونيو ١٠٩٩ م ، وكان هجوم الصليبيين على بيت المقدس في اليوم التالي (١٣ يونيو ١٠٩٩ م) . انظر : *Hagenmeyer, Chr.*, 386, 389 .
- مرة أخرى ينفرد ريسرند كوتش بذكر رؤيا أحد الصليبيين ، ولم يذكرها مؤلف الحستا . بينما اتفق المؤرخان بخصوص تحديد تاريخ الهجوم الصليبي على مدينة بيت المقدس . انظر : *Gesta*, p. 88.
(الترجمة العربية)

(٤٤) كانت بركة السلطان Pont of Silem تقع في الركن الجنوبي الشرقي لبيت المقدس . ولم يقاوم الخزيخ وغنجه في الاقتباس من العهد القديم 34 - Psalm 33 بلذكرنا بالزيب الذي دهمبول الشهير إلى بركة . وجاء وصف الخزيخ للتصاريح من أجل مياه بركة العشران وصفا رائعا . وفي تقويم أحد القديسين توجد قصة الخلق غير المتوافقة للسلطان وحيدة أشميا Israh . انظر :

Patrologia Orientalis, 21; pp: 674 - 675.

(٤٥) النوميكا Nomisma أو صولدي Solinus وهو الدينار البيزنطي في العملة المعيارية للدولة البيزنطية . وكان الدينار البيزنطي منذ عهد ثيودوسيوس الأول ٣٩٠ م / ٤٠٠ م من رطل الذهب . وكان ينقسم إلى ١٢ ميلاريسا . وكل ميلاريسا تنقسم بدورها إلى اثني عشر فلقة phollae . وبدأت قيمة العملة تنخفض أيام ثيودوسيوس . وحاول ثيودوسيوس كيرمين أن يسترد العملة البيزنطية قسما . إلا أن عمله كانت تساوي ١/٢ النوميكا الذهبية بعد أن غلب على عمله النحاس الأصفر . وأخذت قيمة النوميكا في الهبوط في عهد آل كومنين . أما الدينار البيزنطي فكان يساوي في وزنه الدينار الانسلامي (٢٥ و ٢٥٠ جرام ذهب) الذي شهد لأول مرة عبد الملك بن مريان في عام ٧٤١ - ٧٥٠ هـ . وفي زمن الحروب الصليبية كانت العملات البيزنطية والقاسية تمتنعان بشدة التجار الإيطاليين ، أكثر من الدينارات الأيوبية التي لم تكن بلوحة نقاء سابقتهما . إلا أن الدينارات الأيوبية كانت مقبولة لدى الأيوبيين أكثر من الدينارات النعنية التي ضربها الصليبيون في بلاد الشام كعملة رسمية لإماراتهم بدلا من العملات النعنية التي سادت أوروبا ومن الحروب الصليبية . واختار الصليبيون في حروب ودياراتهم أن يقلدوا الدينار القاسي لشدة ثقافتهم عن الدينار العباسي . إلا أن الدينار العباسي لم يرق إلى مستوى العملات الإسلامية أو البيزنطية . انظر : ناصر النشيد : الدينار الإسلامي . مجلة بومر ، بغداد ١٩٤٥ م . ج ٢ ، ص ١١٨ - ١١٩ . سلف وسيمان : الإشارة البيزنطية . ترجمة عبد العزيز جباري . القاهرة ١٩٦١ م . ص ٢١١ - ٢١٢ . حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والسلمون ، ص ٢٦٨ . حاشية رقم (٧٢) . راجع أيضا :

A.S. Ehrenbreutz, Arabic Dinari struck by the Crusaders, in *JESHO*, 1964, pp. 169 ff; R.S. Lopez, Back to Gold, in *EHR*, 9, 1957, pp. 219-221.

(الترجمة العربية) .

(٦) يافا Jaffa (Jaffa) مدينة ساحلية بالقرب من بيت المقدس . وقد وجد الصليبيون فيها يافا وقد عبره المسلمون .

(٧) كان جيلنر كارينيل Goldner Carpinel أحد المقربين من جيسودقري . وقبل موت جيسودقري بفترة قصيرة ، منح جيلنر جيلنر ولكن تنكريد منع من أخذها . انظر : E.G. Rey, *Les Familles d'Orient - mar de Douange*, Paris, 1869, p. 264; Albert d'Aix, *op. cit.*, p. 521.

وكان وليام سايران William of Sairan هو سيد سايران وقد استطاع الجيش البيزنطي . ويظهر اسمه في وثائق فرنسا . انظر : HGL 3, pp. 490 - 491, 5, pp. 687 - 708, 731.

وكان هناك اعتقاد خاطئ . بأنه أسقف البصرة . أما نتائج الأحداث فهو معروف . فقد وصل غير وصول السفن إلى الفرنج في ١٧ يونيو . وفي اليوم التالي رحل كل من حاكم دولياد سايران . وفي مساء يوم ١٨ أو ١٩ يونيو بدأ القتال . انظر : Hagenmeyer, *Chr.* 392 - 394.

ولنا بعض التحفظات حول هذه التواريخ .

- لم يقر جون ولورناجيل لمعطائهما على هذه التواريخ أو يقرها بناتبتها . وهذه التواريخ بأخذها غالبية المؤرخين الحديثين طبقا لما ورد في الجستا . (الترجمة العربية) .

(٨) إشارة لوب مونسيرين ؟ مقاطعة من تريفير (Trévier) . قام برهن ميراثه لكنوني حتى يجهل قصة الإشتراك في الحملة الصليبية . وسار مع غير العظم . انظر : Gesta, ed. Bréhier, p. 14.

(٩) عقدت جلسات مناقشة استعلاء تنكريد على بيت لحم حوالي نهاية يونيو وبداية يوليو ١١٩٩ م . انظر : Hagenmeyer, *Chr.* 396.

ونظم روثناجيل هنا - وهو شاهد العيان الوحيد الذي يورد هذا الخبر - رأي روثناجيل الكنة .

(١٠) « عشنا يكون كدس الأقباس قد أتى » عبارة مقتبسة من العهد القديم . انظر :

Daniel, *EX* : 24 - 27.

(١١) يؤكد البروت دكس في روايته عن هذا الاجتماع أن كورت تولوز وتكريد قد تشابها في ذلك الوقت . انظر :
Albert d'Aix, pp. 482 - 483.

(١٢) « الرب الرحيم الطيب » تعبير اقتبسه المؤرخ من العهد القديم . انظر :
Psalm. 77 : 38.

(١٣) « الرب الكريم » . تعبير اقتبسه المؤرخ أيضا من العهد القديم . انظر :
Psalm. 68 : 17.

(١٤) يضع هاجنماير هذه السيرات في ٨ يوليو ١١٩٩ م . انظر :
Hagenmeyer, Chr., 397, 398.

ولما بعض التحقق على روائي ريمونداجيل . فالتعليقات التي صدرت ، لاشك ، كانت قصة خيالية وروائية كتبها ريمونداجيل . ونعرف أن هناك عدة أعمال تاريخية كانت تنقل على الناس جهرة ، وأي داعية شعبي كان بإمكانه أن يتألف هذه الرواية لينقلها المروء البائع على جمهوره . انظر :
Matthew, 21 : 1 - 11.

ولقد اقتبس القناتون الحديثون بكثيرة باطلة من المسيحيين عقاة الأندلس وهم يظنون حول مدينة بيت المقدس يشاء يفت المسلمون بشاهدتهم . ولا تستطيع القول بأن مسيرة الفرنج حول المدينة لم تحدث ، ولكننا نعتقد أن الصليبيين لم يكونوا من المسافة حتى يتركوا الكثير من قواتهم معرضا لهجوم قاطلي .

- كعادته دأب ريمونداجيل على ذكر أحداث تخيلها هو دون أن تقع ، وليسج روايته قوة التأثير على القاري . المسيحي ، لقد حشد بين أسطرها الكثير من العبارات التي اقتبسها من التوراة والإنجيل . إلا أن الشخص يستطع أن يتأكد طبيعة الرواية التي يسمدها المؤرخ الصليبي . حين يتأكد من أن ريمونداجيل ينفرد هنا أيضا بذكر هذا الحدث دون أن يخبرنا عنه مؤلف الجستا . الذي حرص على تزيين كل مناصحاته سابقة . شئنا . وإذا كان على الفرنج الظرف بخلعائهم الدينية حول أسوار بيت المقدس فلم يكن مؤلف الجستا لينتقص عن القيام بذلك أو بالأحرى عن ذكر ما قد حدث .
(الترجمة العربية) .

(١٥) جاستون أرف بيسارد Gaston d'Arf Bisard هو نبيلون بيارن أوف أولودون Oulodon ومرتشار Montaner . وبعد خدمة مطبوعة في الحملة الصليبية الأولى . عاد جاستون إلى أوروبا واشترك في قتال مسلمي أسبانيا . انظر :

Jean de Jaurgain, La Vasconie, étude historique et Critique sur les Origines du royaume de Navarre, Pau, 1902, 2, pp. 546 - 549.

وقد اتخذ قرار بناء أهرات الحصار في ١٥ يونيو ١١٩٩ م . انظر :
Hagenmeyer, Chr., 391.

(١٦) كان وليم ريكو William Rieu يعرف وليم إمبرياكو Embriaco . وكان يقود هو وأخوه هير Hugh شيتين جشيتين .

- شغلت جيل في أيدي الفرنج في عام ١١٩٩ م . وأخذها برتراند دي تولوز Bertrand de Toulouse بمساعدة الجشوة . وتنازل كورت طرابلس عن إقطاع جيل لمدينة جشوا التي تنازلت عنه بنموها لأحد مواعينها وهو وليم إمبرياكو ، الذي شارك في الحملة الصليبية الأولى ، والمشار إليها . ونجح وليم وابنه هير الأول (١١١٧ - ١١٣٥ م) ثم من بعده وليم الثاني (١١٣٥ - ١١٥٧ م) في إقامة إقطاع قوي في جيل لا يتبع إلا سادة طرابلس . وكان لسادة جيل من أسرة إمبرياكو دور في الحزب الأقلية التي تنبئت بين النبلاء والجشوة في شكل في أواسط القرن ١٣ م / ٧ هـ وانضممت فيها القوى الصليبية في بلاد الشام كلها . وكان من الطبيعي أن يأخذ سكان جيل - ولما لأصلهم - صف الجشوة في هذه الحرب . انظر :

E. Rey, Les Seigneurs de Gilet, BDL 2, 1906, pp. 399 - 402.

وعن دور آل إمبرياكو في الحرب الأهلية انظر : حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون . ص ٦٠ و ٦١ .
(الترجمة العربية)

(١٧) استخدام ريمونداجيل لتعبير « خمسة أيام » قبل الهجوم النهائي بجعل تاريخ هذا الهجوم هو ٩ يوليو ١١٩٩ م . انظر :
Hagenmeyer, Chr., 396 .
- كان الهجوم النهائي على بيت المقدس في ليلة يوم الخميس ١٤ يوليو ١١٩٩ م . انظر :
Gen. p. 90.

(١٨) أهل المسلمون على الستائر التي يحتمس بها المقاتلون اسم الطارقيات والجشيات . وهي أنواع من الستائر أو الخاريس والخارجز التي تنفذ كسترة للرجال الذين يستعملون بهم في سر التحديق أو ما شاكله من أن يرموا بحجارة مسلحين آخر يقابله . فيجعل :

= عنهم مضرتها وكفيتهم سوره إصابتها . وقد جاء وصف هذه الستار في مخطوط
« تبصرة الباب الآلهاى » . انظر :

Claud Cahen, un Traité d'Armurerie, pp. 155 - 156.

(الترجمة العربية) .

(١٩) نُقلت السفن الحربية في يافا في ١٨ - ١٩ يونية . انظر :

Hagenmeyer, Cfr., 394.

(٢٠) بدأ الهجوم في يوم ١٤ يوليو . انظر :

Hagenmeyer, op. cit., 401.

ويقرر هاجنمير أن الأبراج قد نُقلت في ١٢ يوليو . ويحدثه لهذا التاريخ بعمل زيادة
ريوتناجيل تبدو زائفة لأنه يذكر أن تحرك الأبراج كان في نفس يوم الهجوم . ويقرر
رئيسان أن الأبراج قد وقعت ثمانية أسوار بيت المقدس في يوم ١٤ يوليو . وهذا يجعل
رواية ريوتناجيل صادقة . انظر :

Runciman, op. cit., I, 336.

(٢١) يناقش ريوتناجيل نقس في هذا الموضع . فأين عزيمة الفرنج وتخاذل المسلمين وقتالهم
على معش في ميبيل و شريعة محمد » (صلى الله عليه وسلم) . وهو ما ذكره في
الفقرة السابقة :

(الترجمة العربية) .

(٢٢) تكشف مقدمة ريوتناجيل عن رصد الإمرأتين عن إيمانه بالسحر . وكان يوم دخول
الفرنج لبيت المقدس هو ١٥ يوليو ٩٩٠ م . انظر :

Hagenmeyer, op. cit., 405.

(٢٣) التحول من « الشعاسة إلى الفرح » تعبير مقتبس من العهد القديم . انظر :

Psalm. 29 : 12

(٢٤) وصل ريوتناجيل في وصلة للشهد الدمسرى إلى قبة الشعير . وقد اقتبس تعبير
« الأعمال المنعشة » من العهد القديم . انظر :

Psalm. 25 : 7; 39 : 6.

(٢٥) يستعمل ريوتناجيل هنا سفر الرؤيا (B. Joannis Apostoli xiv : 20) كى يصف
ذبح المسلمين حول معبد سليمان (جامع عمر بن الخطاب) . ويكرر المؤرخون الحديثون
هذه الإشارة من العهد الجديد دون إضاءة تراءم بمسورها .

(٢٦) اقتبس المؤرخ تعبير « يوم جديد » من العهد القديم . انظر : 17 : 65 : Isaiah
كما اقتبس تعبير « هنا هو اليوم الذى شفعه الرب » من مزامير العهد القديم .
Psalm. 117 : 24.

(٢٧) يستعمل المؤرخ هنا معلوماته واعتماده بصلة البحث .

- من المهل أن تلمس القارق الكبير بين دخول الفرنج بيت المقدس وبين دخول صلاح
الدين للمدينة المقدسة حين استردها من الصليبيين في عام ١١٨٧ م / ٥٨٣ هـ .
ويوضح وصف ريوتناجيل للقطاع الذى ارتكبه الفرنج حين دخلوا المدينة المقدسة ،
وذهبهم للسكان ، الذين قدر المؤرخون الماصرون عندهم بحوالى سبعين ألفا من
المسلمين ، حتى أن المؤرخ نفسه حين ترجمه لعلوة سلطة المسجد الأقصى ، وأخذ بتلخيص
طريقه بين الحث والثناء التى بلغت ركبته » . كل ذلك يوضح الفرق بين الزوج
الصليبية وبين روح الجهاد الابلاسي في نفس الموقف الواحد . فقد حرص صلاح الدين
وهو يهاجم الفرنج في بيت المقدس على أرواح الفرنج كما حرص على ألا يتألم الضرب
المدينة المقدسة نفسها . وبما كان ريوتناجيل يترجم جلدته يفرضون في دماء
ضحاياهم ، كان رجال صلاح الدين بعد ثمانية وثلاثين عاما ، يطوفون شوارع بيت
المقدس - بناء على أوامره - يسمعون كل احتفاء يقع على المسلمين . واليوم الذى
يحاول ريوتناجيل (الجمعة ١٥ يوليو ٩٩٠ م / ٢٣ شعبان ٤٩٢ هـ) جاهدنا أن نجعله
يوما لتجديد روحه . يختلف تماما عن اليوم الذى سجد الله بالفعل (الجمعة ٢ أكتوبر
١١٨٧ م / ٢٧ رجب ٥٨٣ هـ) - ليلة الإحزاء والمفراج - في أحداثه وفي نتائجها
أيضا .

(الترجمة العربية) .

الفصل الخامس عشر

الاحداث التي تلت سقوط بيت المقدس

ومعركة عسقلان

سأنتقل إلى أمور أخرى حيث أن في الوصف السابق الكفاية . فبعد مرور ستة أو سبعة أيام إنتفت الأبراء ، طيقاً لعادتهم ، إلى انتخاب ملك بدير الملكية ، ويجمع ضرائب الإقليم ، وبعض الريف من المزي من التدمير ويعمل كمشاور للناس . وأثناء هذه المناقشة ، تجتمع بعض رجال الدين ويخبروا للأبراء عن آرائهم . « إننا نشهد بتحرككم ، ولكن لما كانت المسائل الروحية تسبق المسائل الدنيوية ، فإن السلوك المستقيم الصحيح ، يتطلب أن تتخبروا أولاً قائداً روحياً ، ثم بعد ذلك ، تتخبرون حاكماً علمانياً ، وإذا لم تفعلوا ذلك ، قلن تعترف باختباركم » . ولم ينتج عن هذا إلا إعصاب الأبراء والإسراع بالانتخاب ^(١١) .

يجب أن أخيف أن رجاله الذين قد ضعفوا في ذلك الوقت ، أولاً يموت اللورد آدميهار أسقف لى يرمه الذي كان يكنح جماع الجيش ويهدنه بأعمال تشير الإعجاب وعظائم كما فعل موسى . ثم مات بعد ذلك مباشرة وليام أرف أويرنج ، وهو رجل محترم وأسقف كرسي نفسه لحمايتنا ، ومات في معية النعمان . وهكذا قُبلت هذين الرجلين الطيبين ، لم يقف في وجه الأبراء إلا أسقف البيرة ، وعدد صغير معه . أما أسقف مارتورانا الذي كان يسلك سلوكاً متحرفاً عندما فاز بطريق القش والحداد بكيسة بيت لحم ، فقد وقع في أسر المسلمين بعد ثلاثة أو أربعة أيام ولم يظهر بيتنا بعد ذلك أبداً ^(١٢) .

احتقر الأبراء نصيحتنا واحتجاجنا وشجعوا ريموند سان جيل على قبول الملكية . لكنه اعترف بأنه يرتجف لدى سماعه اسم ملك في بيت المقدس ، ومع ذلك فقد قال أنه لن يقف في طريق أي شخص آخر يقبلها . وهكذا اتخبروا جودفري وأعطوه القبر المقدس ^(١٣) . ثم طلب جودفري برج داود من ريموند ، واعترض الكونت بقوله أنه كان يخطط للبقاء في المنطقة حتى عهد الفصح ، وطلب أن

بمعامل هو ورجاله حتى ذلك الحين المعاملة اللائقة . ورد الدوق بأنه سيكون آخر من سيخلى عن البرج . وهكذا تطور بينهما الخلاف . كان كونث الفلاندر ، وكونث نورماندى . يؤمنان بقوة فخرى فضلاً عن كل رجال ريموند . واعتقد رجال ريموند أن الكونت سيمود إلى لايجريدوك بمجرد أن يفقد برج داوره . ولم تكن هذه هي المعارضة الوحيدة التي صاوتها ريموند من قبل أتباعه البروفنساليين ، لأنهم كانوا - في وقت مبكر - قد نشروا أكاذيب ليحولوا دون انتخابه ملكاً^(١٤) .

وعندما تخلى الزملاء والأصدقاء عن ريموند ، فقد سلم البرج الأسقف البارة حتى يتم الفصل في هذه القضية . ليجد الأسقف وقد سلمه بدوره لجودفري دون أن ينشر قراراً . وعندما اتهم الأسقف بأنه لم يكن أميناً ، رد الأسقف بأنه فعل ذلك تحت إكراه ، وأنه عرض لمعاملة خشنه . وعلمت أن أسلحة كثيرة قد حبلت إلى منطقة الأسقف ، أي بيت البطريرك الذي كان يقع بالقرب من كنيسة القبر المقدس . وتحدث الأسقف عن استخدام القوة الجسدية منه ولام رجال ريموند سراً .

وبعد ضياع البرج استشاط الكونت غضباً واستاء من أتباعه قائلاً ، أنه قد اعتدى على كرامته ، وأنه سيغادر البلاد^(١٥) . وهكذا سافروا من بيت المقدس إلى أريحا Jericho وجعلوا السفن وأتينا إلى نهر الأردن . وعملوا بتحصينة بارثولوميو ، صنعنا طوقاً من الفروع الصغيرة ، ووضعنا ريموند عليه ، وجددنا عبر النهر . ثم أمرنا الحشد الشجع أن يصلى من أجل حياة الكونت والأمراء الآخرين . واشتعلنا في النهر المقدس ، والكونت ريموند لايرتدى إلا قميصاً ومنزلاً جديداً . ولكن لماذا أصدر رجل الرب ، بطرس بارثولوميو أمراً كهذا ؟ لم يكن لدينا أي فكرة حتى الوقت الحاضر^(١٦) .

وعند عودتنا إلى بيت المقدس بعد هذه المهمة ، انتخب البعض أرنولف ، كاهن كونث نورماندى بطريركاً ، خلافاً لرغبة رجال الدين الطبيعيين ، الذين اعتبروا لأنه لم يكن مساعد شماس ، وكان من أصل كهنوتى^(١٧) . والأهم من ذلك كله أنه اتهم بأنه كان يداعب النساء أثناء الرحلة ، حتى أنه كان موضوعاً

لقصص فاحشة . ولا حاجة إلى القول بأن أرنولف الطمّوح تجاهل القرارات الكنسية . وقد خطّ موند المشين وانعدام ضميره من شأن رجال الدين الطبيعيين ، ورفع نفسه إلى الكرسي البطريركى بمصاحبة الترانيم والأناشيد والتصفيق الكبير من الناس . ولم يخش أرنولف أن يحل به العقاب الإلهي الذي حل بأسقف مرثودانا ، المحرّض والموجه لانتخاب أرنولف . فقد ظل يأخذ دخل الكتائس من رجال الدين كانت لهم هياكل في قبر الرب ، أو من أولئك الذين تلقوا الرسوم مقابل العناية به .

وما إن استقر أرنولف في السلطة ، حتى راح يسعى بمساعدة السكان إلى تحديد موقع الصليب الذي كان يقبده الحجاج قبل استيلاء الأتراك على بيت المقدس . ولم يعرفوا شيئاً عن موقعه . ومضوا في ذلك إلى حد أن أقسموا على أنهم لا يعرفون شيئاً . إلا أنهم في النهاية أجبروا على أن يقولوا : أن الرمح يقول أنكم شعب الله المختار ، وأنكم تخلصتم من المحن وأعطيتم لكم بيت المقدس ، ومدناً أخرى كثيرة ، ليس بقوتكم الكبيرة بل من رب غاضب أغضب أهل الكفر . وقد منح الرب ، قائدكم ، أبواب المدن التي لا يمكن اختراقها ، وكسب لكم معارك دهيبة . وإذا كان الرب في جانبكم ، فلماذا نصر على أن نخفى آثاره عنكم ؟ ثم بعد قيادة الصليبيين إلى قاعة في الكنيسة ، نقيوا عن الصليب وسلموه^(١٨) . وهكذا سعدنا ومجدنا الرب القدير . وشكرنا له حيث أنه لم يعد إلينا مدينة آلامه فحسب ، بل أعطانا أيضاً رمزاً عليه وانتصاره ، حتى نتمكن به أكثر في أحضان الإيمان ، ونحن أكثر يقيناً ، لأننا رأينا الآن آثار خلاصنا .

وفي تلك الأثناء ، كما ذكرنا من قبل ، كان جودفري يحتفظ ببيت المقدس بالاتفاق . وكان ريموند قد أثار حنقه الحزن والظلم بسبب ضياع برج داوره ، الذي هو بلا شك مفتاح مملكة يهوذا . وهكذا وضع الخطط ليعود بجوء كبير من البروفنساليين . وعلى أية حال ، فقد جاءت الأخبار بأن ملك مصر قد وصل إلى عسقلان مع قوة كبيرة من المسلمين ، يهدف مهاجمة بيت المقدس ، وقتل كل الفرنجية عن هم في سن العشرين وما فوقها ، وأمر الياقوت مع تسانهم . وقالت

الشائعة أنه مزوج شباب الفرجة بساء من جنسه ، والنساء الفرجيات برجال من بلاد ، وذلك يرى جنساً من المعاريين من الفرجة الأجل ^(١٩) .

وجعلته خططه الضخمة يتباهى بأنه سيعامل أنطاكية ويهيمنه بنفس المعاملة ، أكثر من ذلك ، فإنه سيتوج نفسه ملكاً في دمشق والمدن الأخرى . فضلاً عن ذلك فبعد دراسة حجم جيوشه القوية من الجنود والفرسان ، رأى أن الأتراك لم يكونوا شيئاً ، والفرجة هازمى الأتراك لم يكونوا شيئاً ، ولم يكتف بذلك ، فذذف في حق الرب قائلاً ، أنه سيدمر مسقط رأس الرب ، والمذود الذي رقد فيه ومكان الألام والجلجلة . وبالذات البثعة التي أثبتت فيها دم الرب المصلوب ، والقبر الذي دفن فيه الرب ، وكل البقاع المقدسة الأخرى ، في بيت المقدس والمناطق المحيطة بها ^(٢٠) . بل زاد متباهياً بأنه سيخرج هذه الآثار من تحت الأرض ، ويحطسها ويسحقها ، وينثر ترابها فوق البحر ، حتى لا يبعث الفرجة بعد ذلك خارج بلادهم عن بقايا الرب التي ستكون قد ضاعت وطواها البحر ^(٢١) .

واجتمع أمراءنا ورجال الدين عند سماع هذه الأخبار والشائعات الأخرى عن خشوة الضخمة التي جمعها هذا الطاغية عند عسقلان ، وهي مدينة تبعد عنا مسيرة يوم ونصف اليوم . وسار الصليبيون المتجمعون حفاة الأقدام أمام القبر المقدس ، وطلبوا الرحمة ، والدموع تلاً عبرتهم ، من الرب وسألوه أن يخلص شعبه الذي تصره في الماضي . كما توسلوا إليه ألا يسمح بأي تدنيس لمكان صلبه الذي تم تطهيره توماً من أجل إسمه . ثم أتينا إلى معبد الرب حفاة الأقدام ، نلتبس رحمة بالأغاني والترانيم والمذائير المقدسة ، وهناك تدققت صلواتنا من كل مكان أمام الرب وتضرعنا أن يتذكر تدفق بركته في نفس المكان ، وإذا كان شعبك قد أخطأ في حقك ، وكان التغبير بمثابة تكفير وأتوك مصلين في هذا المكان ، فاستمع إليهم من السماء ، يارب وخلصهم من أيدي أعدائهم ^(٢٢) .

وبعد مباركة الأسقف ، وضع القادة خطط الحركة ، ورسائل حماية بيت المقدس . ثم رحل جودفري وقرسانه للتحقق من الشائعات الخاطئة بالأمير ، وعندما

وصلوا إلى سهل الزملة ، أرسلوا أسقف مرمونانا ، ليبلغ الكرنقات في بيت المقدس بحقيقة الأوجاع . ولما تأكد القادة من وقوع المعركة ، أصبحوا ندماً للرجال الأقوياء . وصلوا للرب ، وساروا خارجين من بيت المقدس في كامل أسلحتهم وهم يحملون الحرية المقدسة . وفي اليوم نفسه وصلوا إلى السهل ، وفي اليوم التالي تحركت جيوشنا المتحددة إلى الأمام في تشكيلات يحيط بها الخراس من كل جانب ^(٢٣) .

وعند التسويب ، اتحزنا من نهر على الطريق من بيت المقدس إلى عسقلان ، وشاهدنا عرباً يرمون قطعنا من الأغنام ، وأمرأيا كبيرة من الماشية والجمال . فأرسلنا ماننا فارساً للإستكشاف ، لأن العدد الكبير من العرب والدواب جعلنا نعتقد بأن قتالاً سيشتب . وفي أثناء ذلك ، كما كتبنا ، سرنا في تسعة صفوف ، ثلاثة في المزرعة ، وثلاثة في المقدمة ، وثلاثة في الوسط . كى نواجه أي هجوم بثلاثة صفوف ، حيث يكون الصف الأوسط ذاتاً مستعداً لمساندة الصفين الآخرين . وقد هرب الرعاة من العرب عند مشاهدة قرساننا . ولكن إذا كان الرب قد أعانهم كما أعاننا فإنهم ، بلا شك ، كانوا سيذاعون عن حيواناتهم . وفي الواقع ، وصل عددهم إلى ثلاثة آلاف ، بينما كان جيشنا يضم ألفاً ومائتين من الفرسان ، ولم يكن لدينا أكثر من تسعة آلاف من الرجالة . وبعد هزيمتهم ، استحوذنا على كميات لا تحصى من الأسلاب ، وأسرانا وقتلنا عدداً قليلاً من العرب . ولما كان النهار على وشك الانتهاء ، فقد ضربنا الحيام ، وأرغسنا الأسرى على الكشف عن خططهم ، وعن مدى استعدادهم ، وعن أعدادهم وقرانهم . وأقر الأسرى أن العرب يريدون أن يحاصروا بيت المقدس ، وأن يطردوا ويأسروا أو يقتلوا الفرنج . وأضافوا أن أميرهم ، الذي أقام معسكره على بعد خمسة فراسخ ، سيحلف تحزنا في اليوم التالي . ولم يقامر الرعاة بتقدير حجم جيشهم تقديرًا قاطعاً ، لأنه كان يتزايد يوماً بعد يوم . أما عن دورهم ، فقد أقرنا أنهم كانوا رعاة شرعوا في بيع حيواناتهم للجيش المصري .

وعفا الصليبيون ، استعداداً للصدام المقبل . كل منهم عن ذنوب الآخر التي

أرتكيبها في حقه والتي لم ترتكيبها ، وأصبحوا في هياج لدرجة أنهم لم يتأكدوا من التنازير الخاصة باستعدادات العدو . وفي غمرة الثقة اعتقدوا أن يكون العرب أكثر جيتا من الغزلان وأكثر وداعة من الغنم . وتولدت هذه الثقة من إيماننا بأن الرب كان معنا في المسالك الأخرى ، وأنه بسبب كثر الوثنيين ، سوف يبدأ وحده معاقبتهم حتى لو كانت قضيتنا واهية . وهكذا قضينا أن نعتبر الرب كمنازع وأثنا معاونيه . وصدرت الأوامر إذ ذاك لكل الجيش أن يكون الجميع مستعدين للمعركة عند الفجر ، وأن ينضم كل فرد إلى ثوابت قائده ، وأن لا يلبس أى منا الأسلاب حتى تنتهى المعركة إلا صدر منه فرار الحرمان . وقضينا ليلة بائسة دون خيام ، وبقليل من الخبز ، ودون نبيذ ، وبقليل من الفصح والملح ، ولكن كانت إمداداتنا من اللحم ، على الأقل ، في وفرة الزمالة . وهكذا أكلنا اللحم ، واستخدمنا لحم الضأن بدلا من الخبز .

وعند بزوغ الفجر ، انبعث دوى الطبول والأبوقة مستدعيا الجيش اليقظ . وهكذا تحركنا عند طلوع النهار ، والفرانس مرتبون على كل الأجناب كما قلنا من قبل ، وتحركنا قدما إلى معسكر المسلمين . وبقي العرب في معسكرهم اعتقادا منهم أنه عند سماع الأخبار بحضورهم فسبقى بالقرب من أسوارنا ، ووصلتهم أخبار ذبح وهروب الرعاة ، وأدى ذلك إلى أن يزدوا في أنفسهم ، لقد أتى الفرتج من أجل الأسلاب والآن سوف سيعيدون أدراجهم .

وفي الواقع ، كانت تصلهم تقارير يومية عن حالات الهروب من بيت المقدس ، وعن سفر حجم جيشنا ، وعن الوهن الذي أصاب رجالنا وحيادنا . وكانوا متأكدين ، وهم واثقين في حجم قواتهم وقوتهم ، أنه في إمكانهم إغراقنا ومعسكرنا في بضاعتهم . وقد نصحتهم فللكيهم ومنجسهم ، وهكذا مسعا ، بعدم التحرك أو القتال قبل اليوم السابع من الأسرع ، مع تحذيرهم بأن التحرك قبل ذلك التاريخ لن يكون مفيدا .

وتحركنا في تسعة صفوف ، كما ذكرنا من قبل ، وتناحى الرب من جيشه

إلى حد أننا بدونا نبلغ حجم القوات الغربية . وحدثت هذه المعجزة حين كونت الخيوانات ، التي حوزناها ، قطعانا ، وتبعتنا دون أن يوجهها أحد ، فكانت تقف حين تتوقف عن السير ، وتحيرى حين تسرع الخطا ، وتسير إلى الأمام إذا مانعنا ذلك ، ولم يعد في مقدورنا تقدير البضائع ولا إحصاء مبلغ الأسلحة والخيام التي استولينا عليها . وعندما شاهد العرب ذبح الكثيرين من رفاقهم ، ونهب الفرتج لمعسكرهم في شغف وأمان ، أقلعوا عن القتال وقرروا ، طالما أنه من المحتم علينا الفرار ، فقيم الانتظار ! وإذا كان المسيحيين اليوم ، وقد أجهدهم السير وأنهكهم التعب بسبب الجوع والنعش ، قد سحقوا قواتنا بهجوم واحد ، فسأذا يفعلون بنا وقد نالوا قسما من الراحة ، واستردوا بأنفسهم ، وقد حققوا النصر علينا ، ونحن الآن نصف أحياء ، ومستضعفين وقد أصابتنا الرعب ٢ .

ونتيجة لذلك ، عاد العرب ، وقد أسقط في أيديهم - ماعدا بعض الاستثناءات - إلى عسقلان التي تبعد عن معسكرنا بمسافة ميل واحد ، وقرر ريموند أن يبعث بيوهيند ، وهو رجل تركى ، إلى الأمير ، يشروع سلام ، ولكنه ذكر ، أنه قد رفض تسليم القدس ، واضطر إلى قتالنا ^(١١٤) . وفي نفس الوقت ، كان على يوهيند هذا ، أن يقرر الموقف ، وأن يرى ما إذا كان الأمير يخطط لأن يهوب أم ليقاتل ، وكيف كان رد فعله إذا الهزيمة . وكان يوهيند ، مع أنه تركى ، يتطق بعدة لغات ، ومارا وأرييا ، وأيضا مخلصا لنا . وقد سسى يوهيند لأن يوهيند العظيم (النيسورياندي) . قد استقبله عند حوش المعصية حين ارتد الأول عن الاسلام وجا منا مع زوجته وأسلحته ^(١١٥) .

وهنا ينتهى كتاب ريمونيلجيل بعبادة .

* * * * *

(١) يذهب هاجنمايهر إلى أن الاجتماع قد تم في ١٧ - ١٨ يوليو ١٩٩٩ م . انظر :

Hagenmeyer, op. cit., 468 - 469

راجع أيضا : William of Tyre (Babcock and Krey), n. 2, p. 380.

(٢) مات أسقف أورانج Orange في معركة التيسان حوالي ٢٠ سبتمبر ١٩٩٩ م . انظر :

Hagenmeyer, op. cit., 332.

وكان أسقف مارتورانا Martorana رجل دين من مارتورانا في كالابريا . وكان متعاملا مع النورمان وحث على انتداب أرثوذكس ملبيكون بطريركا لبيت المقدس . وقد أدى قيامه وقت معركة عسقلان إلى حيرة المؤرخين المعاصرين .

(٣) يقول ألبرت دكس أن تاج مملكة بيت المقدس قد عُرض على كونت تولوز . وقبل إلى

الاعتقاد أنه لم يُعرض عليه . ولكن المشكلة تبقى دون حل . وتدفع مناقشة اللاحقة جودفري إلى التورناب في رواية ريموناجيل . ومن المؤكد ، أنه من المحتمل أن يُعرض هذا التاج ملك بيت المقدس على كونت تولوز . وكما حاج حليس فإنه من المحتمل بالنسبة له أن يرفضه . وقد تم انتداب جودفري كخادم للقبر المقدس .

(٤) نعتقد أن الثالثة بين جودفري وريوند حول برج داود لم تكن كبيرة بالنسبة لشيء

منعنا المؤرخ إلى الاعتقاد فيها . وبالكاد ، فإنه من المحتمل أن يكون رجال ريموند كانوا في ذلك الوقت قد تخلوا عنه لصالح جودفري . وقد عهد ببرج داود إلى أسقف البارة الذي أعاده إلى جودفري . وبعد ذلك بقليل ، في ٢٨ يوليو ١٩٩٩ م ، خرج ريموند في رحلة إلى نهر الأردن (Hagenmeyer, 411) . وبعد انقضاء رحلته إلى الأردن ، عاد ريموند لمساعدة جودفري عند عسقلان . لذلك فمن المحتمل أن المؤرخ يستعمل ريموند كصورة لرجل رسم بالعار ينزع الشارب عن قدميه متخلياً عن بيت المقدس . وربما تضاربت مناعة جودفري بأنه أحد السادة العربانيين مع فكرة ريموند بأن بيت المقدس ملكا للكنيسة .

(٥) إقتبس المؤرخ وصفه لفضيب ريموند من العهد القديم . وغالباً ما يجعل المؤرخ من ريموند

موصفاً لمعارضة الكنيسة . انظر :

Psalm 2 : 13.

(٦) تفردنا حقيقة أن المزلق قد ارتاب في حكمة تعاليم بطريرك العاصدة إلى الاعتقاد أن المزلق كان يرتاب في معتبر معلوماته .

(٧) كان انتخاب أورثو كبطريرك لبيت المقدس في أول أغسطس ١٠٩٩ م . انظر : Hagemeyer, op. cit., 413.

(٨) تم العثور على الصليب في ٥ أغسطس ١٠٩٩ م . انظر : Ibid., 415.

(٩) عسقلان Ascalon هي عسقلان Askelon القديمة ، وتقع على بعد أربعين ميلاً من بيت المقدس . ومن الناحية النظرية كانت من أملاك الخليفة الفاطمي السعدي (١٠٩٤ - ١١٠٠ م) . وكانت السلطة الفعلية في أيدي الوزير الأفضل شاهنشاه . ويكتب المؤرخ عن ملك مصر - ولابد أن الأخبار باقتزاب الجيش الفاطمي قد وصلت إلى الفرنج فيما بين ٦ و ٩ أغسطس ١٠٩٩ م .

(١٠) * والمثلوث الذي رقد فيه الرب * تعبير مقتبس من العهد الجديد . انظر : Luke, 2 : 7.

(١١) * ويتر تراها * تعبير إقسيه المؤرخ من العهد القديم . انظر : Psalm, 17 : 43.

(١٢) من المحتمل أن هذا المشهد والمخاطبة كانا بلهجا من سفر الملوك . انظر : Kings, 8.

(١٣) رجل يهودي للاستكشاف في ٩ أغسطس . واقترب الصليبيون من عسقلان في ١١ أغسطس ١٠٩٩ م . وفي اليوم التالي وقعت المعركة (Hagemeyer, 418, 420, 421) وقد حصل كورت تيلوز الحرية المقيدة في حملة ١١٠١ م واستغلها أسقف ميلان لحث فرنج الحملة على القتال . وقد توشع معبر الحرية المقيدة طويلاً . وبعض من الرعاوي أن الحرية التي استغلها أسقف ميلان لم تكن هي الحرية الأصلية . وذكر ألبرت دكس أن الحرية فقدت في حملة ١١٠١ م . انظر : Runciman, The Holy Lance found at Antioch, AB, 68, 1950.

(١٤) من المحتمل أن يكون النسخ قد بدأ قصة أخرى عند هذه النقطة .

(١٥) من الواضح أن نسخ المخطوط هو الذي وضع آخر عبارة في تاريخ ريمونداجيل . لأن التاريخ يتوقف عند الفترة السابقة على العبارة الأخيرة لجاء دون أن يكمل قصة =

تسعين أهم الأحداث التاريخية

- حوالي ١٠٤١ - ١٠٤٢ م . مولد ريموند ساجيل .
- ١٥ أغسطس ١٠٩٥ م . إجماع البابا أوربان وأدهمار أسقف لي بويه في توتردام لي بويه .
- ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥ م . أوربان الثاني يعلن قيام الحملة الصليبية الأولى .
- ٢٨ نوفمبر ١٠٩٥ م . سفراء ريموند ساجيل يعلنون قبول سيدهم للحمل الصليب (الاشتراك في الحملة) .
- ١٢ يوليو ١٠٩٦ م . ريموند ساجيل يتنازل عن جزء من أملاكه لصالح كنيسة ساجيل في حضور البابا أوربان الثاني .
- أكتوبر ١٠٩٦ م . رحيل القوات البروقنصالية إلى الشرق .
- يناير ١٠٩٦ م . المعاهدة بين البروقنصاليين ويهودين في سكوتاري .
- منتصف فبراير ١٠٩٧ م . البيجناك يحتفظون أدهمار .
- ١٢ أبريل ١٠٩٧ م . هجوم البروقنصاليين على روسا .
- ١٨ أبريل ١٠٩٧ م . وصول رسل ألكسيس إلى رودستو .
- ٢٠ أبريل ١٠٩٧ م . المناوشات بين البروقنصاليين والقوات البيزنطية .
- ٢٢ - ٢٩ أبريل ١٠٩٧ م . الحوادث بين ريموند كونت ساجيل وألكسيس كومنين .
- ١ مايو ١٠٩٧ م . ريموند يرحل عن القسطنطينية .
- ١٤ مايو ١٠٩٧ م . بداية حصار نيقية .
- ١٦ مايو ١٠٩٧ م . وصول القوات البروقنصالية إلى نيقية .
- ١ يونيو ١٠٩٧ م . تفريق برج جونانسي .
- ١٩ يونيو ١٠٩٧ م . إستسلام نيقية .
- ٢٨ يونيو ١٠٩٧ م . رحيل القوات البروقنصالية عن نيقية .
- أول يوليو - ٤ أكتوبر ١٠٩٧ م . معركة دنونيلوم والرحيل إلى أنطاكية .
- ٥ أغسطس ١٠٩٧ م . مرض ريموند كونت ساجيل .

المناوشات بين ريموند ريموند والأفصل . وما أورد كل من رادولف أولف كان وألبرت دكن بكاء يكون نهاية مناسبة لفترة ريمونداجيل . فقد أرسل مسلمو عسقلان إلى المعسكر الصليبي بالقرب من عسقلان - بعد هزيمة قوات الأفصل - أنهم لن يسلموا المدينة إلا لريموند نفسه . وكذلك فعل أهل أرسوف ، إلا أن جودفري الشكك لي نوايا ريموند مثله إسماعيل على أخذ برج داود في بيت القدس ، قد رفض هذه العروض . الأمر الذي أغضب ريموند ، وكذلك روبرت الثروماندي وروبرت كونت الفلاندرز . وقرر الجميع ترك جودفري ، ريموند ليعود إلى وسط الشام حتى يكمل مشاريعه الصليبية . والروبرت كان في عودا إلى بلادهما . انظر :

Radulf of Cass, op. cit., p. 703; Albert d'Asia, op. cit., pp. 497 - 498.

أما مسألة إرتداد هذا التركي عن الاسلام فهي نهاية تتفق مع مباح السعادة الذي عبرت عنه جملة الناصح التي أنهى بها تاريخ ريمونداجيل بعد أن أدرك فقلان الجزء الأخير منه . وقد أشرنا من قبل إلى بعض التحفظات حول ما يورده ريمونداجيل عن إرتداد بعض الأتراك عن الدين الاسلامي الخفيف . انظر سابق ، الفصل الثاني . حاشية رقم (١١) .

(الترجمة العربية) .

- ٢ - ٢٢ أكتوبر ١٠٩٧ م - بداية حصار الصليبيين لأنطاكية .
- ١٧ نوفمبر ١٠٩٧ م - وصول السفن الجنوية إلى ميناء السريدي .
- ٢٩ ديسمبر ١٠٩٧ م - هجوم قوات ياشي بيان على المعسكر الصليبي .
- ٢ يناير ١٠٩٨ م - أهيمار يأمر الفرع بالصيام وإخراج الصدقات .
- ٩ فبراير ١٠٩٨ م - هزيمة قوات ريشيان ملك حلب ويوصله سفارة الأفضل إلى المعسكر الصليبي خارج أنطاكية .
- ٤ مارس ١٠٩٨ م - وصول أسطول بقيادة إدجار إنلج .
- ٢٠ مارس ١٠٩٨ م - إقام بنا - قلعة النير .
- ٥ أبريل ١٠٩٨ م - إجتماع الصليبيين لتشييد قلعة في موقع دير القديس جيلج .
- ٢٥ مايو ١٠٩٨ م - اقتراح يوهيند بأن تؤكل أنطاكية لمن يضع يده عليها .
- ٢٩ مايو ١٠٩٨ م - الأمراء الصليبيون يعثرون مجلداً للاتفاق مع يوهيند .
- ٢ يونيو ١٠٩٨ م - يوهيند يكشف عن خطته للاستيلاء على أنطاكية بمساعدة قبروز .
- ٣ يونيو ١٠٩٨ م - سقوط أنطاكية في أيدي الصليبيين .
- ٢٨ يونيو ١٠٩٨ م - هزيمة كزيوغا .
- ٣ يوليو ١٠٩٨ م - مجلس الأمراء الصليبيين يزيل الرمحيل إلى بيت المقدس .
- أول أغسطس ١٠٩٨ م - موت أهيمار .
- ١٤ سبتمبر ١٠٩٨ م - مساعدة ريموند كونت مالمجبل لجودفري عند عزاز .
- أكتوبر ١٠٩٨ م - البرونسالبرن يستولون على البارة .
- ٥ نوفمبر ١٠٩٨ م - إجتماع الصليبيين في كنيسة القديس بطرس في أنطاكية .
- ١١ - ١٢ ديسمبر ١٠٩٨ م - الاستيلاء على معرة النعمان .
- ٢٩ ديسمبر ١٠٩٨ م - إجتماع يوهيند وريموند مالمجبل .

- ٤ يناير ١٠٩٩ م - إجتماع الأمراء الصليبيين لتناقشة امتثال المسير إلى بيت المقدس .
- ١٢ يناير ١٠٩٩ م - رحيل ريموند عن معرة النعمان .
- ٢٤ يناير ١٠٩٩ م - وقوع الصليبيين في كمين .
- ٤ فبراير ١٠٩٩ م - اعتقال سفراء أمانك حمص وأمير طرابلس .
- ١٤ فبراير - ١٣ مايو ١٠٩٩ م - حصار عرفة .
- ٤ أبريل ١٠٩٩ م - إختيار الحرية المقدسة .
- ١ - ١١ أبريل ١٠٩٩ م - سفراء ألكسيس يحرضون على استيلاء يوهيند على أنطاكية .
- ١٩ مايو ١٠٩٩ م - رحيل الصليبيين عن طرابلس .
- ٣ يونيو ١٠٩٩ م - الفرع يدخلون الرملة .
- ٧ يونيو ١٠٩٩ م - إلتراب الصليبيين من بيت المقدس .
- ٩ يونيو ١٠٩٩ م - ريموند يبله يوهيند أول ترحيل بقوسين سفارة ناجحة .
- ١٧ يونيو ١٠٩٩ م - وصول السفن الجنوبية إلى يافا .
- ٨ يوليو ١٠٩٩ م - مركب الفرع حول أسوار بيت المقدس .
- ١٣ - ١٥ يوليو ١٠٩٩ م - الهجوم النهائي والاستيلاء على بيت المقدس .
- ٢٢ يوليو ١٠٩٩ م - إلتخاب جودفري .
- ٢٨ يوليو ١٠٩٩ م - رحيل ريموند مالمجبل عن بيت المقدس .
- ١٢ أغسطس ١٠٩٩ م - معركة عسقلان .

المصادر والمراجع

التي اعتمدت عليها الترجمة العربية في المقدمة والتعليق

بيانات بالاختصار
التي وردت في مقدمة وموامش الترجمة العربية

A. B.	- Analecta Bollandiana.
A. O. L.	- Les Archives de L'Orient Latin.
A. H. R.	- American Historical Review.
A. R. A. H. A.	- Annual Reports of The American Historical Association.
B.	- Byzantion.
B. E. O.	- Bulletin des Etudes Orientale.
B. I. H. R.	- Bulletin of the Institute of Historical Research.
B. P. I. A. S. A.	- Bulletin of the Polish Institute of Arts and Science in America.
B. S. O. A. S.	- Bulletin of School of Oriental and African Studies.
C. E.	- Collier's Encyclopedia.
Ch. H.	- Church History.
J. S.	- Journal des Savants.
Latomus	- Latomus.
M. S.	- Medieval studies.
R. H. C. - H. Occ.	- Recueil des Historiens des Croisades. Historiens Occidentaux.
R. H. E.	- Revue d'Histoire Ecclesiastique.
R. H. G. F.	- Recueil des Historiens des Gaules et de la France.
R. O. L.	- Revue de L'Orient Latin.

(١) المصادر الأصلية الأوربية

- Albert d'Aix, Historia Hierosolymitana, in R.H.C. - H. Occ., Vol. IV.
- Anne Comnen, The Alexiad, English trans. by Elizabeth Dawes, London, 1928.
- Anonymi, Gesta Francorum et Aliorum Hierosolymitanorum (ed. by Rosalind Hill, as The Deeds of The Franks and The Other Pilgrims to Jerusalem), London, 1962.
- Beshada (Gregory), Chanson d'Antioche en Provençal, French trans. by P. Meyer, in A. O. L., Vol. I.
- Epistolae et Chartae ad historiam primi belli Sycianter, in Die Kreuzzugabriefe, ed. H. Hagenmeyer, Innsbruck, 1901.
- Epistolae Regis Ludovici VII, in R. H. G. F., Vol. 16.
- Fulcher of Chartres, Gesta Francorum Iherosolimi (ed. by Francis Rita Ryan, as A History of the Expedition to Jerusalem), Tennessee, 1969.
- Mercurius in Baldunus III Historiae vel Antiochenae Prologum, in R. H. C. - H. Occ., Vol. v.
- Radulph of Caen, Gesta Tancredi Siciliae Regis in Expeditione Hierosolymitana, in R. H. C. - H. Occ., Vol. III.
- Raimond d'Agiles, Historia Francorum qui Ceperunt Jerusalem, in R.H.C. - H. Occ., Vol. III.
- Robert le Moine, Historia Hierosolymitana, in R.H.C. - H. Occ., Vol. III.
- Tudebod, De Hierosolymitano itinere, in R.H.C. - H. Occ., Vol. III.

R. S.	• Rolls Series.
S. E.	• Sacri Erudini.
S. M.	• Studia Medivalia.
S. M. C.	• Studies in Medieval Culture.
Speculum	• Speculum.
Traditio	• Traditio.

(ب) المصادر العربية

- ابن الأثير الجزري (ت. ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) أبو الحسن بن أبي الكرم المقرب
عز الدين :
« الكامل في التاريخ » - ١٢ ج - القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٠١ هـ .
- ابن العديم (ت. ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م) جمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن
أبي جرادة :
« زبدة الخلب من تاريخ حلب » - ٣ ج - تحقيق سامي الدهان - دمشق ،
١٩٥١ م .
- ابن القلائس (ت. ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) أبو يعلى حمزة بن أسد الدين علي
بن محمد :
« ذيل تاريخ دمشق » - بيروت (مطبعة الآباء اليسوعيين) ١٩٠٨ م .
- ابن واصل (ت. ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م) جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليم :
« مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » - ٣ ج - تحقيق الدكتور جمال الدين
الشيال - القاهرة ، ١٩٩٠ م .
- أبو الفدا (ت. ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا
إسماعيل بن علي :
« تقييد البلدان » - نشره رينيه ويديلان - باريس ، ١٨٤٤ م .
- الخطوط (عاش في القرن ٦ هـ / ١٢ م) مريض بن علي :
« تصيرة أبواب الأنياب في كيفية النجاة في الحروب من الأعداء ونشر أعلام
الأعداء في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء » - نشره مع ترجمة
فرنسية ، كلود كاهن ، انظر :

- Vitalis (Ordric), Historia Ecclesiastica, ed. M. Chibnall, 6 vols, Oxford, 1975.
- Walter The Chancellor, Bella Antiochena, in R.H.C. - H. Occ., Vol. V.
- William of Malmesbury, Gesta Regum Anglorum, 2 vols, ed. W. Stubbs, in R. S., London, 1889.
- William of Tyre, A History of Deeds Done Beyond the Sea, 2 Vols., trans. and annotated by Emily Babcock and A. C. Krey, New York, 1943.

- Brundage (James), An errant Crusader, stephen of Blois, in Tradition, Vol. 16, 1959.
- Cahen (Claud), La Syrie du Nord à l'Epoque des Croisades et la principauté Franque Antioche, Paris, 1940.
- Chalandon (F.), Histoire de la Première Croisade, Paris, 1925.
- Charanis (Peter), Aims of The Medieval Crusades and how they were viewed by Byzantium, in Ch. H., vol - 21, 1952.
- Davis (R. H. C.), William of Tyre, in Relation between East and West in the Middle Ages, ed. by Derek Baker, Edinburgh, 1973, pp. 64 - 76.
- Duc De Castries, La Conquête de la Terre Sainte par Les Croisés, Paris, 1973.
- Edbury (Peter) and Rowe (J.G.), William of Tyre and the Patriarcal election of 1180, in E. H. R., vol. 366, 1978.
- Ehrenbreux (A. S.), Arabic Dinars struck by the Crusaders, in J. E. S. H. O., 1964.
- Fink (H.), Fulcher of Chartres, Historian of the Latin Kingdom of Jerusalem, in S. M., vol. 5, 1975.
- France (J.), The departure of Tarkos from the Crusader Army, in B.I.H.R., vol. 44, no. 110, 1971.
- Glaesner (H.), Raoul de Caen, Historien et Ecrivain, in R.H.E., vol. 46, 1951.
- Gransden (A.), Historical Writing in England (550 - 1307), 2 Vols, London, 1974.
- Gutstein (M.), Maccabees, in C. E., vol. 15, New York, 1984.

Cahen (Claud), Un Traité D'Armurerie Composé pour Saladin, in B. E. O., 1947 - 1948, pp. 103 - 163.

- القلقشندي (ت ٨٢٠ هـ / ١٤١٨ م) أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله :
« صيغ الأعشى في صناعة الإنشاء » - ١٤ ج - القاهرة ، ١٩١٣ - ١٩٢٣ م .
- ياقوت الرومي الحسوي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) أبو عبد الله
ياقوت بن عبد الله اللقب شهاب الدين :
« معجم البلدان » - ٤ ج - لبيزج ١٨٦٦ - ١٨٧٠ م .

- Richard (J.), Raymond d'Aguilers, Historien de La Première Croisade, in J.S., 1971.
 - Riley - Smith (J.), A Note on Confraternities in Latin Kingdom of Jerusalem, in B. I. H. R., vol. 44, 1971.
 - Runciman (Steven), - The First Crusaders' Journey across The Balkan Peninsula, in B., vol. 18, 1948.
 - The Holy Lance Found at Antioch, in A.B., vol. 88, 1950.
 - A History of the Crusades, 3 vols, Cambridge, 1968.
 - Tischer (O.), Critical work on the sources of The First Crusade, in A. R. A. H. A., vol. 1, 1900.
 - Versey (D.W.C.), William of Tyre and the art of Histiography, in M. S., vol. 35, 1973.
-

- Hagenmeyer (H.), Die Kreuzzugsbriefe, Innsbruck, 1901.
- Hamilton (B.), The Latin Church in the Crusader States, The Secular Church, London, 1980.
- Haskins (C. H.), The Normans in European History, Cambridge, 1915.
- Hill (John H. and Laurita L.), Raymond IV de Saint Gilles, Toulouse, 1959.
- Huygens (R. B. C.), Guillaume de Tyre Eudiant, Un Chapitre (XIX, 12) de son " Histoire ", retrouvé, in Latomus, vol. 21, 1962.
- Editing of William of Tyre, in S. E., vol. 27, 1984.
- Krey (A. C.), William of Tyre, The Making of An Historian in the Middle Ages, in Speculum, vol. 15, no. 2, 1941.
- La Mont (J. L.), From Crusading Kingdom to Commercial Colony, in B.P.I.A.S.A. vol. 3, 1944 - 45.
- Lopez (R. S.), Back to Gold, in E.H.R., vol. 9, 1957.
- Munro (Dana), The Speech of Pope Urban II at Clermont, in A.H.R., vol. XI, 1906.
- Nesbitt (J. W.), The rate of march of Crusading Armies in Europe, in Traditio, vol. 19, 1963.
- Oman (Ch.), A History of the Art of war in the Middle Ages, 2 vols, London, 1924.
- Ostrogorsky (G.), History of the Byzantine State, English trans. by Joan Hussey, Oxford, 1924.
- Prawer (J.), The Latin Kingdom of Jerusalem, Jerusalem, 1972.
- Rey (E. G.), Résumé de Histoire des Princes d'Antioche, in R.O.L., vol. VIII, Paris, 1900 - 1901.
- Les Seigneurs de Gible, in R.D.L., vol. 3, Paris, 1906.

(د) المراجع الحربية والمعمارية

- السيد الهادي العريش (دكتور) :
« مؤرخو الحروب الصليبية » ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .
- السيد عبد العزيز سالم (دكتور) :
« التاريخ والمؤرخون العرب » ، الاسكندرية ، ١٩٦٢ م .
- جوزيف تسم يوسف (دكتور) :
- العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى ، الاسكندرية ١٩٦٧ م .
- الإسلام والمسيحية وحجاج الفري بينهما في العصور الوسطى ،
الاسكندرية ، ١٩٨٦ .
- جيبون (إدوارد) :
« انحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها » ، نقله إلى العربية لؤي
إسكندر ، ٣ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .
- حسين محمد عطية (دكتور) :
- إمارة أنطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدولة الإسلامية المجاورة
(١٠٩٨ - ١١٧١ م) ، رسالة ماجستير لم تشرع بعد ، الاسكندرية ،
١٩٨١ م .
- إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (١١٧١ - ١٢٦٨ م) ، الاسكندرية
١٩٨٩ م .
- رانت عبد الحميد محمد (دكتور) :
« الدولة والكنيسة » - ج ٤ - القاهرة ١٩٨٣ م .
- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :
- قبرس والحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٧٥ م .

- شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١٦ ، القاهرة ١٩٦٩ م .
- الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ، جزمأن ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .

- محمد محمد مرسى الشيخ (دكتور) :

- الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها (١٠٩٧ - ١١٤٤ م) الاسكندرية ، ١٩٧٢ م .
- الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين ، الطبعة الأولى ، الاسكندرية ، ١٩٨٠ م .

- ناصر النقشبندي (دكتور) :

- الديفار الاسلامي ، مجلة سورر ، ج ٢ ، بغداد ١٩٤٥ م .

قائمة مصادر ومراجع الترجمة الإنجليزية

— *Historia Hierosolymitana. Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium*, edited by Heinrich Hagenmeyer (Heidelberg 1913).

The Golden Legend of Jacobus de Voragine, translated by G. Ryan and H. Ripperger, 1 (New York, 1941).

HAGENMEYER, HEINRICH. 1901. Die Kreuzzugsbriefe aus den Jahren 1088-1100 (Innsbruck).

Histoire anonyme de la première croisade, edited and translated by Louis Bréhier (Paris, 1924).

KREY, A. C. 1938. The First Crusade (Clouesdale).

Patrologiae cursus completus: Series Latina, edited by J. P. Migne (Paris, 1844-1864). Hereafter cited as MPL.

Patrologiae Orientalis, edited by R. Graffin and F. Nag (Paris, 1907).

Notitiae domus Lemovicensis de Fraternitate crucis in Aquitania in RHC Occ 5 (Paris, 1895).

Radolphus Cadomensis. Gesta Tancredi in expeditione Hierosolymitana in RHC Occ 3 (Paris, 1866).

Raimundus de Agoufers. Historia Prime Crucis qui reperunt Iherusalem in RHC Occ 3 (Paris, 1866).

Rituale Ecclesiae Dunelmensis, edited by J. Stevenson, in Surtees Society 10 (London, 1839).

THORPE, BENJAMIN, editor and translator 1844-1846. The Homilies of the English Church (2 v. London).

Tudebodus, Petrus. Historia de Hierosolymitano itinere in RHC Occ 5 (Paris, 1866).

William of Tyre's archiepiscopate, known from its partials grammatical position in RHC Occ 1 (Paris, 1844).

William of Tyre. A History of Deeds Done Beyond the Sea.

١ - المخطوطات

MS. Latin 14,378, Bibliothèque Nationale, Paris.

MS. Latin 5131, Bibliothèque Nationale, Paris.

MS. Latin 5511 A, Bibliothèque Nationale, Paris.

MS. Latin 1102, Bibliothèque de l'Arsenal, Paris.

MS. Latin Add. 8927, British Museum, London.

MS. Latin 262, Bibliothèque de la ville, Clermont-Ferrand.

MS. Latin 261, Burgerbibliothek, Berne.

ب - المصادر

Acta Sancti Brendani, edited by Patrick F. Moran (Dublin, 1872).

Acta sanctorum quotque toto orbe coluntur, vel a Catholicis scriptoribus celebrantur (Antwerp, Paris, Rome, Brussels, 1643-1940).

The Alexiad of the Princess Anna Comnena, translated by Elizabeth A.S. Dawes (London, 1928).

Albertus Aquensis. Historia Hierosolymitana in Recueil des historiens des croisades: historiens occidentaux 4 (Paris, 1879). Hereafter cited RHC Occ 2.

Anonymi gesta Francorum et aliorum Hierosolymitanorum, edited by Heinrich Hagenmeyer (Heidelberg, 1890).

Evangelium Romanum (4 v. Ransbonne, 1913).

COMNENA, ANNA. 1057-1045. Alexiade, Règne de l'empereur Alexis I Comnène (1057-1118), edited by B. Leib in Collection byzantine de l'Association Guillaume Bude (Paris).

La Chanson d'Antioche, edited by Paulin Paris (2 v. Paris, 1848).

Fulcherius Carnotensis. Historia Hierosolymitana. Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium in RHC Occ 3 (Paris, 1866).

Saints: le Crar des Chevaliers (Paris).

DÉVIC, DOM. CL., and DOM J. VAISSETE. 1872-1893. Histoire générale de Languedoc (15 v., Toulouse).

DUNCALF, FREDERIC. 1928. "The Pope's Plan for the First Crusade". The Crusades and Other Historical Essays Presented to Dana C. Munro (New York).

DUSSAUD, RENÉ. 1927. Topographie historique de la Syrie antique et médiévale (Paris).

ERDMANN, C. 1935. Die Entstehung des Kreuzzugsgedankens (Stuttgart).

FINK, HAROLD S. 1959. "The Role of Damascus in the History of the Crusades". The Muslim World 49.

GAUSSIN, PIERRE-ROGER. 1960. L'Abbaye de la Chaise-Dieu (1043-1518) (Paris).

GOLB, NORMAN. 1966. "New Light on the Persecution of French Jews at the Time of the First Crusade"> Proc. Amer. Acad. Jewish Research 34.

GROUSSET, RENÉ. 1934-1936. Histoire des croisades et du royaume franc de Jérusalem (3 v., Paris).

HAGENMEYER, HEINRICH. 1902-1911. "Chronologie de la première croisade, 1094-1100". Revue de l'Orient latin 6-8.

_____. 1876. Peter der Eremit. Ein Kritischer Beitrag zur Geschichte des ersten Kreuzzuges (Leipzig).

HERMANNSSON, HALDOR. 1936. "The Problem of Vineland". Islandica 25.

HILL, JOHN HUGH. 1951. "Raymond of Saint-Gilles in Urban's Plan of Greek and Latin Friendship". Speculum 26.

HILL, JOHN HUGH and LAURITA L. 1953. "The Convention of Alexius Comnenus and Raymond of Saint-Gilles". Amer. Hist.

translated by E.A. Babcock and A. C. Krey (New York, 1943).

ج - المراجع

ALPHANDÉRY, P. and A. DUPRONT. 1954. La chrétienté et l'idée de croisade (Paris).

ANDRESSOHN, J. C. 1947. The Ancestry and Life of Godfrey of Bouillon (Bloomington).

ARBELLOT, ABBÉ. 1881. Les Chevaliers Limousins à la première croisade (Paris).

ATIYA, A. S. 1962. The Crusade: Historiography and Bibliography (Bloomington).

BALDWIN, MARSHALL W. 1940. "Some Recent Interpretations of Pope Urban's Eastern Policy". Catholic Hist. Rev. 25.

BRUNDAGE, JAMES A. 1959. "Adhémar of Puy. The Bishop and His Critics". Speculum 24.

_____. 1960. "An Errant Crusader: Stephen of Blois." Tradition 16.

_____. 1964. "Recent Crusade Historiography: Some Observations and Suggestions". Catholic Hist. Rev. 49.

CASTAING-SICARD, MIRELLE. 1961. Monnaies féodales et circulation monétaire en Languedoc (X-XIII siècles) in Cahiers de l'association Marc Bloch de Toulouse, études d'histoire méridionale (Toulouse).

DALY, WILLIAM. 1960. "Christian Fraternity, the Crusaders, and the Security of Constantinople, 1097-1204: The Precarious Survival of an Ideal". Mediaeval Studies 22.

DAVID, CHARLES W. 1920. Robert Curthose, Duke of Normandy (Cambridge).

DESHAMPS, PAUL. 1934. Les Châteaux des croisés en Terre

Rev. 53.

LA MONTE, JOHN L. 1940. "Some Problems in Crusading Historiography". *Speculum* 15.

LEA, H. C. 1892. *Superstition and Force* (Philadelphia).

MAURY, ALFRED. 1896. *Croyances et légendes du Moyen Age* (Paris).

MAYER, HANS EBERHARD. 1960. *Bibliographie zur Geschichte der Kreuzzüge* (Hannover).

_____. 1960. "Zur Beurteilung Adhemars von Le Puy". *Deutsches Archiv* n. 2.

MUNRO, DANA C. 1906. "The Speech of Pope Urban II at Clermont, 1095". *Amer. Hist. Rev.* 11.

NICHOLSON, ROBERT LAWRENCE. 1940. *Tancred: A Study of His Career and Work in Their Relation to the First Crusade and the Establishment of the Latin States in Syria and Palestine* (Chicago).

PAPON, JEAN-PIERRE. 1778. *Historie générale de Provence* 2 (Paris).

PORGES, WALTER. 1946. "The Clergy, the Poor, and the Non-Combatants on the First Crusade". *Speculum* 21.

RÉAU, LOUIS. 1955. *Iconographie de l'art Chrétien* (Paris).

REY, EDOUARD G. 1869. *Les Familles d'outre-mer, de du Cange* (Paris).

RIANT, PAUL. 1881. "Inventaire critique des lettres historiques des croisades". *Archives de l'Orient Latin* 1.

ROUSSET, P. 1945. *Les Origines et les caractères de la première croisade* (Neuchâtel).

RUNCIMAN, STEVEN. 1951. *A History of the Crusades* 1 (Cambridge).

Rev. 58.

HILL, JOHN HUGH and LAURITA L. 1954. "Justification historique du titre de Raymond de Saint-Gilles: 'Christianæ milicie excellentissimus princeps'". *Annales du Midi* 66.

HILL, JOHN HUGH and LAURITA L. 1955. "Contemporary Accounts and the Later Reputation of Adhémar, Bishop of Puy". *Medievalia et Humanistica* 9.

HILL, JOHN HUGH and LAURITA L. 1959. Raymond IV de Saint-Gilles 1041 (ou 1042)-1105. *Bibliothèque Méridionale, Série historique* 35 (Toulouse).

HILL, JOHN HUGH and LAURITA L. 1960. L'Allégorie chrétienne dans les récits relatifs au Wineland". *Le Moyen Age* n.1-2.

HILL, JOHN HUGH and LAURITA L. 1962. Raymond IV, Count of Toulouse (Syracuse).

HOWORTH, SIR HENRY H. 1912. *Saint Gregory the Great* (London).

JAURGAIN, JEAN DE. 1902. *La Vasconie, étude historique et critique sur les origines du royaume de Navarre, du duché de Gascogne, des comtés de Comminges d'Aragon, de Foix, de Bigorre, d'Alava et de Biscaye, de la vicomté de Béarn et des grands fiefs du duché de Gascogne* 2 (Pau).

KLEIN, CLEMENS. 1892. *Raimond von A guilers, Quellenstudie zur Geschichte des ersten Kreuzzuges* (Berlin).

KNAPPEN, MARSHALL, M. 1928. "Robert II of Flanders in the First Crusade". *The Crusades and other Historical Essays Presented to Dana C. Munro* (New York).

KREY, A. C. 1958. *The First Crusade* (Cloucester).

_____. 1948. "Urban's Crusade—Success or Failure". *Amer. Hist.*

محتويات الكتاب

- _____. 1950. "The Holy Lance Found at Antioch". *Analecta Bollandiana* 68.
- SETTON, KENNETH, M. 1955. *A History of the First Crusade, The First Hundred Years 1* (ed. Marshall Baldwin, Philadelphia).
- SMAIL, R. C. 1956. *Crusading Warfare (1097-1193). A Contribution to Medieval Military History* (Cambridge).
- SUMBERG, L. A. M. 1959. "The Tafurs' and the First Crusade". *Medieval Studies* 21.
- TEYSSÉDRE, BERNARD. 1959. *Le Sacramentaire de Gellone* (Toulouse).
- VILLEY, M. 1942. *La Croisade. Essai sur la formation d'une théorie juridique* (Paris).
- WILLARD, RUDOLPH. 1935. Two Apocrypha in Old English Homilies in *Beiträge zur Englischen Philologie* 30.
- YEWDALE, RALPH BAILEY, 1917. *Bohemond 1, Prince of Antioch* (Princeton).

الموضوع	الصفحة
فهرست الخرائط	
- خريطة رقم (١) : خط سير القوات البيزنطية حتى أنطاكية	٦٧
- خريطة رقم (٢) : الصليبيون في بلاد الشام وفلسطين	١٠١
- قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الترجمة العربية في ٢٧٣ - ٢٨٦	
المقدمة والتعليق	
- قائمة مصادر ومراجع الترجمة الإنجليزية	٢٨٧ - ٢٩٤
محتويات الكتاب	٢٩٥ - ٢٩٧

الموضوع	الصفحة
تقديم بقلم الاستاذ الدكتور / جوزيف نسيم يوسف	٧ - ١٠
تصدير الترجمة العربية	١١ - ١٣
مقدمة الترجمة العربية :	١٥ - ٣٤
- الحملة الصليبية الأولى	١٥ - ٢٢
- الإنجاز الأدبي للحملة الصليبية الأولى	٢٢ - ٢٩
- ريمونداجيل وكتابه	٣٠ - ٣٤
مقدمة الترجمة الإنجليزية	٣٥ - ٥٣
الفصل الأول : الرحلة خلال دلماشيا وخيانة البيزنطيين	٥٤ - ٦٦
الفصل الثاني : الرحلة عبر الأراضى البيزنطية ، والعلاقات بين ريموند ساجيل وألكسيس كومنين	٦٩ - ٧٦
الفصل الثالث : حصار نيقية وعبور الأناضول	٧٧ - ٨٤
الفصل الرابع : إغلاق الطرق وبداية حصار أنطاكية	٨٥ - ١٠٠
الفصل الخامس : المرحلة المتأخرة في حصار أنطاكية . تشديد الحصار	١٠٣ - ١١٧
الفصل السادس : الاستيلاء على أنطاكية	١١٩ - ١٢٦
الفصل السابع : حصار كبروغا لأنطاكية والعثور على الحرية المقدسة	١٢٧ - ١٣٩
الفصل الثامن : هزيمة كبروغا	١٤١ - ١٥٠
الفصل التاسع : موت أدهيمار ، والإبلاغ عن رؤى	١٥١ - ١٦١
الفصل العاشر : الاستيلاء على البيرة ومعرة النعمان	١٦٣ - ١٧٢
الفصل الحادي عشر : إستئناف الزحف ، وبداية حصار عرقة	١٨١ - ١٩٤
الفصل الثاني عشر : رؤى ومحنة الحرية المقدسة	١٩٧ - ٢١٣
الفصل الثالث عشر : التخلي عن حصار عرقة ، واستئناف الرحلة إلى بيت المقدس	٢١٤ - ٢٣٣
الفصل الرابع عشر : حصار مدينة بيت المقدس والاستيلاء عليها	٢٣٤ - ٢٤٤
الفصل الخامس عشر : الأحبسات التي تلت سقوط بيت المقدس ، ومعركة عسقلان	٢٤٧ - ٢٦٨
تسليخ أهم الأحداث التاريخية	٢٦٩ - ٢٧١

